

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الاول - المجلد الخمسون

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م



مجلة المجمع العلمي

الجزء الاول ـ المجلد الخمسون
بغـداد
١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م



شروط النشر وضوابطه

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعى الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة أخرى .

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية :

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ج ـ يجب أن لا تزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفياً للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقاً تاماً حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط أو بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضع على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربياً .

ز ـ يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

ح ـ تكتب الكلمات الدالة باللغة الانكليزية .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشرة مستلات من بحثه .

البحوث لاتعبر بالضرورة عن راي المجمع العلمي

مجلـة المجمـع العلمـي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

- توجـه البحـوث والمراسلات الـى : رئيس تحرير مجلـة المجمـع العلمـي المجمع العلمـي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغـداد ـ جمهـوريـة العـراق هاتـف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فـاكس : ٤٢٥٤٥٢٣ / ١ ـ ٩٦٤
- الاشتراكات : داخـل العـراق (٤٠٠٠) دينار سنويا .

خارج العراق (٥٠) دولار امريكي سنويا وتضاف أجرة البريد .

الفهـــرس

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــــــم

يصدر هــذا العدد من مجلة المجمع بعد تأخير بسبب ما تعــرض له المجمع من نهب وتدمير وسرقة لمكتبته ومخطوطاته واجزاء مهمـــة من مطبعته القديمة التي ظل المجمع يعتمد عليها بطريقة الطبـــع التـــي اصبحت منقرضة تقريباً ، ومع ذلك عمد المخربون إلى تخريبها وسرقة أجزائها ويجد المجمـــع امكاناته في مواصلة العمل الاكاديمي المرجعي وقد ارتدت إلى الصفر .

وإذا كان المجمـــع لم يحـــظ بالدعـــــم المادي والمعنوي المتوقـــع سابقاً ، لكون عمله غير متعلق بالموضوعات السياسية الســـاخنة التـــي تحرص الحكومات على ان تحظى بالاولوية ، وكذا يبدو الحال الان في مسألة اعادة اعماره . ولكن المجمع قد حظى بمشاعر المواطنين التـــي عبرت عن الدعم المعنوي والاهتمام بدوره وحظى بمثل هذا الدعم مـــن المهتمين بالمعرفة والعلم الذي يخدم الحقيقة ويدعم التقدم الاكاديمي فـــي الاوقات كلها . وفي هذه الأثناء ظهرت تساؤلات كثيرة تشـــير بشـــكل مباشر أو غير مباشر إلى فهم دور المجمع على انه يهتم فقـــط باللغـــة وتطورها ووضع المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية . وبالتـــأكيد فأن هذه المهمة اساسية في عمل المجمع ، وهو بذلك يوازي في عملـــه المجامع اللغوية العربية الاخرى ، اضافة إلى اهتمامه بتطويـــر اللغـــة

الكردية واللغة السريانية ، باعتبارهما من مكونات الحضارة والثقافة في العراق على امتداد تأريخه القديم والحديث . وفوق كل ذلك يعمل المجمع كأكاديمية وطنية للعلوم للاختصاصات كافة ، العلوم الانسانية والعلوم الصرف والعلوم التطبيقية والتراث العربي والإسلامي والمصطلحات اضافة الى اللغة العربية وهيئة اللغة الكردية وهيئة اللغة السريانية .

ولا شك في ان ممارسة المجمع لهذا الدور يتطلب ان يلتف حوله العلماء والمختصون في مجالات العمل والبحث المختلفة ، لتحقيق هدفه بأن يصبح المظلة الشاملة للعمل الاكاديمي المرجعي الذي يعمل على تطوير البحث العلمي والدراسات التي تحقق التقدم في هذه المجالات ، ولكي يستطيع ان يتكافأ مع الاكاديميات الاخرى في مختلف دول العالم في التعاون العلمي والثقافي . وإذا كان هذا الدور للمجمع لا يزال بعيداً عن ان يحقق الهدف المنشود وربما غائباً عن تصور الكثير من الاكاديميين والمثقفين ومنهم معنيون بادارة العلوم في المستويات المختلفة ، فأنه دور مهم ومطلوب للمرحلة الحاضرة وفي المستقبل ، ولكي يتحقق لا بد من تامين الصلة بالجامعات والاقسام والمؤسسات والمراكز العلمية والبحثية ، والجميع مدعوون الى بذل الجهود في هذا السبيل .

ان المجمعيين والاكاديميين يتطلعون الى مناخ فكري وثقافي يتيح لهم الانتاج والعطاء الحر والمستند الى منهجية سليمة همها الاساس البحث عن الحقيقة والحوار مع الفكر بصورة تلقائية وحرة وبطريقة لا تصادر الرأي الآخر بل تتفاعل وتتلاقح معه لكي تكون النظرة اكثر تكاملاً وأقرب الى الحقيقة كما هي بدون ضغط او التواء ، وقد كان

ذلك ديدن المجمع دائماً . وإذا كان ما قد يشير الى طروحات لها علاقة بالشعارات السياسية التي قد تكون مطروحة في مرحلة ما ، فذلك فقط من خلال النظرة المتخصصة من جهة ومن خلال الاطار العام لموقف المثقفين عموماً من اشكالات التقدم الحضاري والاجتماعي للعراق والوطن العربي من جهة أخرى . ولا يخفى على الباحثين المتتبعين مدى حرص المجمع والذين عملوا تحت مظلته على طرح مسألة الحرية والديمقراطية للوطن عموماً واهميتها بالنسبة للمثقف والباحث خصوصاً ، وليس اكثر من المجمعيين تقاطعاً مع كل اساليب القتل والوحشية والاستبداد لفرض فكرة معينة أو حكم أو مصالح فئة مهما كانت ، وليس أحرص منهم على احترام الانسان وقيمته العليا والحس بمشاعر التضامن الانساني والاجتماعي . ان الدعوة المتجددة اليوم إلى الحرية وتحقيق التضامن في المجتمع تتطلب أولاً احترام العمل الأكاديمي والتخصصي من دون أي نوع من انواع الضغوط والاضطهاد النفسي سواء بالاقاويل او الاتهامات او باية اغطية تحد من حركة التفكير والنتاج العلمي الملتزم والرصين . ان ما ندعو اليه هو احترام العلم والموضوعية واحترام الانسان وهذه مسؤولية كل المثقفين والعلماء في الوطن .

ان هذه المجلة ، تعتمد في الدراسات التي تنشرها على توافر منهجية علمية وعلى رأي المحكمين المختصين ، وهي بالاساس تعبّر عن اراء مؤلفيها ، التي نأمل أنها مستندة الى البحث العلمي الرصين ، ومع ذلك فان هيئة التحرير تفتح صدرها للاراء النقدية للمقالات المنشورة ، من خلال الرسائل التي توجه الى المحرر ، وستهتم المجلة بهذه الرسائل النقدية اذا كانت مستندة

إلى منهجية البحث والوقائـــــع المحـــــددة وليـــــس إلـــى التعليقـــات العمومية ، وسوف تهمل تلك الانتقادات القائمة على مجرد التحيز إلـــى الرأي بدون ان يكون لها محتوى من الحقائق أو قيمة علميـــة مضافـــة أو تلك التي تخرج عن الاسلوب الموضوعي المقبول ، ونحـــن نـــأمل بذلك أن نعمـــق الحوار وتفاعل الاراء وصـــولاً إلى نظرة أكثر اقتراباً من الحقيـــقـــة كما هي .

رئيس التحرير

حركة الأحرار اليمنيين في عدن
١٩٤٤ ـ ١٩٤٧

الدكتور ابراهيم خلف العبيدي
عضو المجمع العلمي
أستاذ التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة بغداد

الملخص :

يهدف البحث دراسة حركة الاحرار اليمنيين ، التي أسهمت بشكل كبير في التطور السياسي في اليمن الشمالي ، وموقفها من الامامة الذي توج بانقلاب ١٩٤٨ .

وكان نشاط هذه الحركة في عدن . حيث هاجر قادتها من الشمال الى هذه المدينة ، التي وجدوا فيها نوعاً من الحرية النسبية ، كما أقاموا نوعاً من العلاقات مع بعض القوى السياسية في الخارج ، لاسيما مصر . كما يدرس البحث الفكر السياسي للحركة ، وأسباب اخفاقها في تحقيق مبادئها .

بعد تسلم الإمام يحيى[1] مقاليد السلطة في اليمن (١٩٠٤ ــ ١٩٤٨) ألغى جميع المؤسسات التي اضطر العثمانيون الى إنشائها ، والتي تحقق للمواطنين شيئا من الحرية ، وصادر جميع التركات المالية والعمرانية وضمها الى ممتلكاته ، وحول معظم المدارس والمستشفيات الى قصور له ولأبنائه ، وسجونا لمناوئيه .[2]

واصطبغ نظام حكم الإمام يحيى بالطابع الفردي المستند الى مفاهيم دينية من أجل تثبيت امامته ، وسلطته المركزية مبتعدا عن المفاهيم والنظم السياسية الحديثة ، ومؤسساتها الدستورية والادارية ، ممارسا حكما استبداديا مطلقا ، جامعا بين يديه السلطتين الدينية والدنيوية وأضفى على نفسه صفة القداسة.[3]

استمر هذا النهج طوال حكمه على الرغم من إنشائه في السنوات العشر الأخيرة من حكمه وزارة تقلدها القاضي عبدالله العمري وبعض أبنائه وبعض القضاة المقربين . وقد أسهمت هذه الوزارة في تكريس الواقع المتخلف واستغلال المواطنين حيث اعتمد كل قرار حكومي على موافقة الإمام الشخصية فلا يبت وزراؤه وموظفوه في أي أمر مهما بلغت تفاهة ذلك الأمر من دون الرجوع اليه واخذ موافقته .[4]

---

(١) هو يحيى بن محمد حميد الدين ولد عام ١٨٦٩ عاش سنواته الاولى مع والده وكان يشاهد الأحداث عن كثب وشارك اباه مشاركة فعلية في ادارة البلاد وبعد وفاة والده عام ١٩٠٤ بويع بالامامة وتلقب بالمتوكل واستمر في حكم اليمن حتى اغتيل عام ١٩٤٨ . للتفاصيل عن حياته ينظر : ــ السيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث ، اليمن والامام يحيى ١٩٠٤ــ ١٩٤٨ ، القاهرة ١٩٦٣ .

(٢) عبدالله احمد الثور ، الثورة ، ثورة اليمن ١٩٤٨ ــ ١٩٦٨ ، القاهرة ١٩٦٨ ، ص٦ .

(٣) السيد مصطفى سالم ، المصدر السابق ، ص٢٥٤ ؛ محمد سعيد العطار ، التخلف الاقتصادي والاجتماعي في اليمن ، بيروت ١٩٦٥ ، ص٧٦ .

(٤) شاكر محمود خضر ، الحركة الوطنية في اليمن ، الشطر الشمالي ١٩١٨ ــ ١٩٦٢ ، رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ١٩٨٩ .

ولم يضع لجهازه الاداري أية قوانين ، تحـدد الأعمال وتوزع المسؤوليات فكانت سلطة موظفيه محددة جدا لاتكفي لاتخاذ أبسط القـرارات الثانوية ، حتى كاد نشاطهم يقتصر على تحصيل الضرائب والمحافظة على الأمن • ومن التي اعتمدها (نظام الرهائن) وذلك من أجل ضمان بقـاء شيوخ القبائل التي خاض ضدها معارك شديدة استمرت حتى عام ١٩١٤ تحت حكمه • فكان يأخذ مـن أبنائهم الصغار رهائن تحجز في قصوره وفي السجون المنتشرة في اليمن ، ليضمن بذلك ولاءهم • والنظام الآخر هو نظام (الخطاط) ويقصـد بـه اباحة ارض القبيلة المعارضة للقبائل الأخرى • ولا يقتصر الأمر على أولاد زعمـاء القبائل بل شمل أيضا أولاد كبار موظفي الدولة والجيش •[٥]

أما الوضع الاجتماعي فلم يطرأ عليه أي تغيير ، بل تعمقت فيه القيم القبلية والطائفية ، والتمايز بين الفئات الاجتماعية وبقي المواطـن اليمني أسير انعدام الوعي وزج تحت وطأة الجهل والامية والخرافـات والمرض وتدنـي مستوى المعيشة والتعرض للظلم والاستغلال ، والافتقار لأي مظهر من مظاهـر الحرية وابداء الرأي ، وخضوعه لنظام أمن شديد يتعرض فيه منتقدو سياسـة الإمام الى الاعتقاد والحبس في سجون رهيبة من دون محاكمة بعـد التشهير والصاق تهمة الخروج عن الدين بهم •[٦]

إن محاولات الإمام يحيى التخلص من المعارضة ، واستبداده المطلق كانا حافزين أساسيين لمناهضة حكمه من الشعب اليمني واتسمت المعارضة في البداية بالنقد لشؤون البلاد . وقد اخذ هذا النقد شكلا غير مباشر ، عن طريق الأدب• فالكتاب الشباب الذين قرأوا الكتب العربية والمجـلات التي تسربت من عدن وعن طريق الحجاج ،كانوا قد تأثروا بالأفكار الجديدة وابتعـدوا عن الأشكال

---

(٥) المصدر نفسه ، ص٣٦ ؛ سالم ، المصدر السابق ، ص٤٧٢ .

(٦) شاكر خضر ، المصدر السابق ، ص٦٤ .

التقليدية اليمنية في النثر والشعر ، وبدأ وعيهم السياسي يوجه نحو الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدعوة الى حكم الشورى .[٧]

وبرز هناك اتجاهان ، اتجاه نحو حياة متطورة متحررة من قيود الزيدية والحكم المطلق ومن كل ما يقف في طريق التقدم باليمن الى مستوى الحضارة المعاصرة ، على أن يكون ذلك التقدم في اطار الشريعة الاسلامية وهذا ما كان يستهدفه المستنيرون من الشباب . واتجاه آخر يطالب بالاصلاح إلا انه يربطه بالدعوة الزيدية وامامتها فهو يرى ضرورة مطالبة الإمام يحيى بأصلاح جهاز حكومته بادخال عناصر قوية من ذوي الكفاية والنزاهة قادرة على القيام بتقدم اليمن وحماية الدعوة الزيدية من التعثر .[٨]

تمثلت البداية بمجموعة قليلة من المستنيرين وكان عملها الوطني همسا فقد كان يتم افراز الهمسات والهموم وما يجول في الخواطر عند اجتماع المقيل[٩] ، أو عند اللقاءات بين الجماعات المتنورة وكان يجمع بين هذه المجموعات وحدة الأفكار والاتجاهات اكثر مما تضمنها تنظيمات سرية .[١٠]

وبرز خلال هذه الحقبة ، بداية الثلاثينيات ، الحاج محمد المحلوي الذي يمثل مرحلة قائمة بذاتها . ويحدد السنيدار بداية التجمع الذي قاده المحلوي بعام ١٩٣١ حيث يقدم وصفا لطبيعة العمل في تلك الحقبة ، وكانت تحصل مواقف في المقيل سياسية وتاريخية وعلمية من أروع ما يكون ، وكان المحلوي

---

(٧) « القاضي عبدالرحمن الارياني» مجلة الحكمة، ١٨ ،صنعاء١٩٧٣ن ص٣٩.

(٨) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ثورة ١٩٤٨ الميلاد والمسيرة والمؤثرات، بيروت ١٩٨٢ ، ص٢٤ــ٢٥ .

(٩) كان اليمنيون يجتمعون بعد الظهر لمضغ القات وكانت هذه الجلسات تتحول الى منتديات سياسية لمناقشة أوضاع البلاد .

(١٠) عبدالله أحمد يحيى ؛ حركة الأحرار في اليمن وعلاقتها بالاخوان المسلمين ١٩٣٨ ــ ١٩٤٨ ، بحث مقدم جزءا من متطلبات الحصول على الدبلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٤ ، ص١٦ ؛ عبدالواسع الواسعي، تاريخ اليمن ، المسمى فرحة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ ، ص٢٦٤ .

يردد ما كنت أن يحصل هذا ، وعندما يرى الجمـع في المجلس يستريح ، ويعد نفسه أنه قد انتصر انتصارا كبيرا ، وكان يسنده في هذا الموقف الشيخ حسن الدعيسي الذي أطلق عليه معاصروه (فيلسوف الثـورة) وكانت له اتصالات بعبد الوهاب نعمان الذي يمثل الجنـوب اليمني • ويضيف السنيدار « وكان المعين لنا في نشر الفكرة وهو العون الكبير هي أعمال الإمام وأولاده وأعوانه ، فكنا ننشر أعماله والظلم والاستبداد واعمال أولاده »•[11]

لقد اتسع التجمع وازداد أعضائه ، وازداد العمل بالمقابـل تعقيدا وسرية وأصبح اكثر تطورا وتنظيما ، وذلك في بداية عام ١٩٣٥ • وقـد اختلف الرواة والمؤرخون في مولد هذا التجمع وفي تسميته • ولم يرد لهذا التجمـع تسمية محددة سوى ما رواه القاضي عبدالله الشماحي والذي أطلق عليه (هيئة النضال) وتناقلها عنه الباحثون •

وترأس هذه الهيئة أحمد بن المطاع العلوي ، أحد أصدقاء المحلوي الذي كان يحضر مجالسه • لقد عمل المطاع على تأسيس منظمة سرية يكـون مركزها صنعاء ، ولها فروع وأعضاء في عموم اليمن ، ولإخراج هذه المنظمـة الى حيز العمل والواقع ، قرر القيام بجولة في اليمـن ، تمكن خلالهـا من كسب تقدير الكثير من البارزين في الجهاز الحكومي ، • مما سهل له الاتصال بكل شخصية يرى فيها الاستعداد للنضال ، وحينما عاد الى صنعـاء شـرع بتشكيل المركز الرئيس لهيئة النضال التي ضمت مجموعة من الشخصيات البـارزة في المجتمع اليمني •[12]

---

(١١) مذكرات العربي صالح السنيدار غير المنشورة ، نقـلا عن عبدالله يحيى ، المصدر السابق ص١٦ •

(١٢) من أبرز الاعضاء عبدالسلام صبرة ، ومحمد المحلـوي ، والعربـي صالح السنيدار ، وعلي محمد السنيدار ، وعبدالله العـزب ، وعلي الشماحـي ، ومحمد بن احمد المطاع ، ومحيي الديـن العنسي ، واحمد قاسم العنسي ، ومحمد عكلرس ، ومحمد حسين عبدالقادر •

(١٣) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص١٤ •

نجحت الهيئة الى حد كبير في وصول بعض أعضائها الى الجهاز الحكومي واربالك الإمام يحيى بشأن إحياء الدعوة الزيدية ، واثارة الخلاف بين الإمام وأولاده وبين معظم رجالات الحكومة واثارة المنافسة بين أبناء الامام أنفسهم ، وبين رئيس الوزراء العمري • ولكن تلك التحركات أدت بالنتيجة الى اتساع موجة الارهاب والاعتقال المصحوبة بالدعاية المشوهة لهيئة النضال بأنها تحارب الدين وتريد ادخال النصارى الى اليمن ، ومما روج ضدها أنها تحاول اختصار القرآن الى ستة أجزاء فتم اعتقال أحمد المطوع وأنصاره في عام ١٩٣٦ •[١٣]

واتجهت المعارضة بعد ذلك الى أسلوب النصح والوعظ للإمام في خطب الجمعة ، وما كان يقوم بنشره بعض الشخصيات في صحف الشـورى والإيمان ومنبر الاسلام ومجلة الفتح وغيرها بأسماء مستعارة وقد احتوت هذه الكتابات نقد العديد من سلبيات النظام السياسي •[١٤]

وكان للأفكار التي نادت بها مدرسة (مجلة الحكمة اليمنية)[١٥] المعبرة عن أفكـار الشبـاب الذيـن تجمعوا حـول المجلة ورئيس تحريرهـا أحمد عبدالوهاب الوريث ، والتي كانت خلاصة لاجتهادات أبناء ذلك الجيل للخروج باليمن من وهدة التخلف ، وعلى الرغـم من أن هـذه المدرسة كانت تدعو الى آرائها بالحكمة والموعظة الحسنة • إلا أن أسلوب الإرهاب الـذي اتبعه الإمام يحيى اتجاه كل جديد دفعت به الى أن يتخلص من رئيس تحرير المجلة عن طريق السـم •[١٦]

---

(١٤) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص١٧ .

(١٥) مجلة علمية ادبية تاريخية جامعة اكدت على مسألة الوطن وواجب الجميع تجاهه صدر العدد الاول في كانون الثاني ١٩٣٩ وصدر العدد الاخير منها في آذار ١٩٤١ وكان مجموع أعدادها (٢٨) عددا فقط .

(١٦) د. سيد مصطفى سالم ، مجلة الحكمة اليمانية ١٩٣٨ ــ ١٩٤١ ، ودورها في حركة الاصلاح في اليمن ، دراسـة ومقـالات القاهـرة ، ١٩٧٦ . يذكر البعض انه توفي اثر حمى حادة لم تمهله سوى ثلاثة أيام بسبب تاثره مـن تصرف الامام يحيى معه بخصوص الديون التي كانت بذمة احمد الوريث .

والى جانب مجلة الحكمة ظهرت بعض الأندية الثقافيـة مثل نادي الثقافة في الحجرية ، والجمعية الأدبية ، والمدرسة الأهلية في قريـة ذبحان التي أسسها أحمد محمد نعمان ،[١٧] الممثل البارز لاسـرة النعمـان . وتكلونت بعد ذلك جمعيات مماثلة في كل من مدن اب وذمار وغيرهما من المدن الأخرى .[١٨]

وقد مثلت هذه الجمعيات نوعا محدودا من أنواع الاحتجاج الاجتماعي ، الأمر الذي يؤكد زوال الجمود الـذي سـاد المجتمع اليمني في الشمال وبدء الصحوة الفكرية التي أخذت تقلق نظام الإمام .

ففي النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين ، وعلى أثر قيام العلاقات مع الأقطار العربية الأخرى ، اتخذ الإمام بعض الاجـراءات الحـذرة لتحديث دولته ، ففي عام ١٩٣٦ سافرت مجموعتان من الشباب اليمني بلغ عددهم خمسة عشر شخصـا الى العراق لدراسة العلـوم العسكرية ، واستقبل اليمن في عام ١٠٣٨ مجموعة من الأخصائيين المصريين الذين افتتحوا بعض المشاغل ، وثلاث مدارس لاعداد العمال المهرة . وفي الوقت نفسه جهز السوريون مستشفى في صنعاء ، أعقب ذلك زيارة البعثة العسكرية العراقيـة اليمن ، كما فتحت بعض المدارس في المدن الكبيرة وقد تركت هذه البعثات والمدارس أثـرا واضحا في نمو الوعي الوطني وتطوره .[١٩]

وفي غمرة النضال اليمني تعددت أشكال النضال وبـرزت بعض المنظمات ذات الطابع السياسي التي أدت دورها النضالـي بشكل واضح ومـن أبرزها

---

(١٧) ولد بالحجرية في قرية ذبحان عام ١٩٠٤ اكمل المدرسة الدينية ثـم اكمل دراسته في جامعة الازهر بدأ عمله الوطني في حركة المعارضـة اعتبارا مـن الثلاثينيات وتعرض للسجن كغيره من الأحرار وظل حتى قيام الثورة ١٩٦٢ يقود حركة الاحرار مع زميله ورفيق نضاله الشهيد الزبيري وتولى مناصب كثيرة اهمها رئاسة الوزراء .

(١٨) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

(١٩) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ص٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

نادي الإصلاح الأدبي في تعز[٢٠] ، وجمعية الإصلاح في إب[٢١] وغيرها من التجمعات .[٢٢]

ولا يقتصر الأمر على هذه الجمعيات فقد أسهم اليمنيون الموجودون في خارج اليمن لا سيما في القاهرة ، والذين ذهبوا للدراسة ، بدور كبير في تشكيل نواة المعارضة اليمنية . فقد تشبع هؤلاء بالأفكار الاسلامية واتصلوا بالحركات السياسية الموجودة في القاهرة ، ولا سيما جماعة الأخوان المسلمين واظهروا جانبا من نشاطهم عبر صحيفة اليمن الخضراء التي أصدرها محمد احمد نعمان في القاهرة عام ١٩٣٩م ، فضلا عن ذلك فقد كان لمحمد محمود الزبيري[٢٣] . الذي كان يدرس في القاهرة اثر كبير من خلال تأسيس بعض

---

(٢٠) اسسه احمد محمد نعمان عام ١٩٣٤ بمدينة الحجرية من لواء تعز وكان في الاصل مكتبة واسعة ملحقة بمدرسة الحجرية الاهلية ومن اهدافه تنوير وتوسيع مدارك الطلبة والمواطنين في المنطقة عن طريق الكتب الحديثة والصحف والمجلات التي جلبت من عدن فضلا عن المحاضرات والندوات الادبية التي كان النادي ينظمها وقد أدى النادي دورا مهما في بث الحماسة والوعي الثقافي لدى الشباب في مدينة الحجرية . شاكر محمود ، المصدر السابق ، ص١٠٦ .

(٢١) تأسست في كانون الثاني ١٩٤٤ بعد عدة اجتماعات كانت قد تمت بين مؤسسيها وقد اتفق على وضع نظام داخلي يحدد برنامج عملها وعهد برئاستها الى القاضي محمد بن علي الاكوع واتخذت من مدينة إب مركزا رئيسا لها . للتفاصيل عن نشاط الجمعية وأهدافها ينظر : شاكر محمود ، المصدر السابق ، ص١١٥ — ١١٧ .

(٢٢) من أبرز هذه التجمعات ، تجمعات صنعاء ، وتجمعات تعز .. هناك تفصيلات عن نشاطها في شاكر محمود ، المصدر السابق ، ص١٠٨—١١٤، ص١١٧—١١٨ .

(٢٣) ولد في صنعاء عام ١٣٢٨هـ من أسرة تنتمي الى الطبقة الوسطى وقد نشأ نشأة روحية متصوفة وبدأ حياته السياسية وهو طالب في القاهرة في كلية دار العلوم وهو شاعر ومناضل وصحفي وروائي وكاتب استشهد برصاص الغدر وهو يؤدي عملا وطنيا لارساء قواعد السلام في اليمن في ٣٠ آذار ١٩٦٥ وقد عانى كثيرا في سبيل مبادئه فقد تعرض للسجن والتشريد والاغتراب . للتفاصيل ينر : عبدلعز المقالح ، الزبيري ضمير اليمن الثقافي ، بيروت ، ١٩٨٠ .

المنظمات السياسية اليمنية وهي كتيبة الشباب اليمني[٢٤] السرية التي أسسها في القاهرة عام ١٩٤٠ وجمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تعد امتدادا لكتيبة الشباب والتي انتقل نشاطها الى اليمن بعد عودة الزبيري .

عاد الزبيري الى اليمن حاملا مشعل التنوير من خلال جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن خلال كتاباته التي صور فيها أوضاع اليمن ، التي أطلق عليها أرض الواق واق . كما قدم الزبيري منهاجا اصلاحيا للإمام وضع فيه تصوره للأمور ووضع يده على مكامن الداء ووضع تصوراً للدواء وقد أحال الإمام هذا المنهاج على لجنة وقد أثنت اللجنة عليه فأوصت العمل به غير أن الامام أودعه الأدراج وغض الطرف عنه . ومع ذلك لم يسكت الزبيري بل اتخذ من المسجد منبرا يوظفه لنشر أفكاره واتخذ أسلوب النصح والوعظ للإمام في خطب الجمعة وبلغ تأثير هذه الخطب في الناس تأثيرا كبيرا فنفد صبر الامام فأمر بسجنه عام١٩٤١ وظل فيه عاما كاملا ، بعد ذلك انتقل الزبيري الى تعز العاصمة الثانية لليمن .[٢٥]

والأمر الاكثر أثرا في تطور حركة المعارضة في شمال اليمن هو مشاركة بعض أفراد الاسرة الحاكمة فيها . والسبب الرئيس في مشاركتهم الرغبة في الحصول على تأييد المعارضة في الصراع من اجل العرش والنفوذ . فقد دخل ولي العهد الأمير أحمد في نهاية الثلاثينيات مع عناصر المعارضة في كل ألوان اللعب السياسية . فأصبحت مدينة تعز في السنوات الأولى من ولايته ١٩٣٨

---

(٢٤) تشكلت في الثامن والعشرين من أيلول ١٩٤٠ تحت شعار (الاسلام العرب الوطن) وتمثلت أهدافها بنشر الوعي الوطني ومحاربة اليأس والخلافات والنعرات المذهبية وتحقيق الوحدة الوطنية وانهاء عزلة البلاد أصدرت نشرة أسمتها (الانة الاولى) وجهت الى ولي العهد موقعة باسم (اليمنيون الهاجرون) لم تستمر بنشاطها سوى بضعة اشهر حيث غير اسمها .

(٢٥) عبدالعزيز المقالح ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .

مركزا فريدا لحركة المعارضة فتجمعت فيها الشخصيات الوطنية البارزة بمن فيهم احمد محمد نعمان ومحمد محمود الزبيري • وقد قلب الامير أحمد ظهر المجن ، مما اضطر قادتها للهرب الى عدن بعدها جزءا من اليمن ، وقد عدت عدن (دار الهجرة) بالنسبة للساخطين على نظام الامام لتوفر الحريـة النسبية التي كانوا محرومين منها في الشمال ، مما أهلها لأن تصبح نقطة تجمع طبيعيـة للمعارضة وسط مجاميع من المهاجرين اليمنيين الذين دعموا بفعالية حركة المعارضة •[٢٦]

ظهـور حركـة الأحـرار في عـدن :

وصلت في الرابع عشر من أيار ١٩٤٤ أول مجموعة من المعارضين الى عدن بزعامة مطيع دماج [٢٧]، وفي الرابع من حزيران وصل اليها احمد محمد نعمان ، ومحمد محمود الزبيري اللذان استمرا يمثلان مراكز هامـة في كـل الحركات السياسية في المنفى حتى قيادة ثـورة ١٩٦٢ • وبعدها مباشـرة ظهـر في عدن احمد الشامي[٢٨] والشيخ أحمد أبو راس والشاعر زيد الموشكي[٢٩] واخرون وشرعوا في اعداد الخطة السياسية لحركة المعارضة التي أضحت قيادتهـا خارج الوطن •[٣٠]

---

(٢٦) احمد محمد الشماحي ، رياح التغيير في اليمن ، بلا ١٩٨٤ ، ص ١١٥٠

(٢٧) من الطليعة الاولى من مشايخ اليمن الذين جاهروا بمعارضتهم لحكم الطغاة وانتقل الى عدن يجاهر بصوتـه ويفضح ممارسـات الطغاة على صفحـات جريدة (فتاة الجزيرة) ظل وفيا لمبادئه توفي في السبعينيات .

(٢٨) اديب وشاعر اسهم في حركة الأحرار وتعرض من اجل ذلك الى الكثير مـن المتاعب له العديد من المؤلفات الادبية .

(٢٩) من الأشراف خريج المدرسة العلمية اسهم في حركـة الاحرار وضحى بكـل شيء من أجل اليمن استشهد في أعقاب اخفاق ثورة ١٩٤٨ .

(٣٠) حسن ابراهيم حسن ، اليمن البلاد السعيد ، دار المعـارف بمصر ١٩٥٨ ، ص١٣٥ .

أن هجرة هؤلاء جاءت على اثر زيارة الشيخ عبدالله الحكيمي[٣١] الى تعز في صيف ١٩٤٣ ، وحال وصوله الى تعز القي القبض عليه من لدن سيف الاسلام احمد الذي كان يخشى أن يؤسس الحكيمي فرعا لتنظيمه في اليمن وقبل اعتقاله ونفيه من اليمن حاول استدراج نعمان والزبيري للانتقال الى عدن حيث يمكنهما الاستفادة من الحريات السياسية الممنوحة من المستعمرة للإدلاء بأصواتهم بهدف ادخال الاصلاح •

وقد راود نعمان والزبيري الشك للوهلة الأولى ، وكان يقلقهما امكانية الحصول على المساعدة المالية وفي رده عليهما أشار الحكيمي الى وجود ما يقارب خمسة وعشرين ألف شافعي من اليمنيين المنحدرين من الشمال للعمل في عدن ، وأعلبهم من مقاطعة الحجرية التي تشتهر فيها عائلة نعمان وتتمتع فيها بالاحترام• لذلك يمكن الاعتماد عليهم في التبرع • كما قام الحكيمي بتنسيق علاقة بين نعمان والزبيري وبين تاجر يمني في عدن هو حازم علي الهروي الذي وعد بتقديم المساعدة المالية • كما هيأ سيارة نقلتهما الى عدن •[٣٢]

وكانت في عدن مجموعة جيدة من الجماهير الحسنة الاطلاع على أوضاع اليمن وعلى حركة الاصلاح لا سيما تلك المرتبطة بالمنتديات الموجودة في عدن وفي مقدمتها المنتدى الأدبي العربي • غير أن هذه المنتديات لم تقدم المساعدة المرجوة للمهاجرين الجدد على الرغم من صلتها بهم بالقدر الذي قدمته الصحف

---

(٣١) من ابرز الشخصيات اليمنية المهاجرة التقى في أواخر العشرينيات بالقائد الروحي المتصوف احمد العلوي في المغرب الذي نصحه بالذهاب الى بريطانيا لقيادة المجموعة الاسلامية هناك وبعد أن استقر في مدينة كارديف ١٩٣١ عين عين نفسه رئيسا للطائفة العلوية والمجموعة الاسلامية في بريطانيا أسهم في انشاء المدارس والمكتبات ومسجد نور الاسلام وأصدو مجلة بعنوان السلام وفي الاربعينيات اسس فروعا اخرى في المدن البريطانية الكبرى وبتكليف من الجمعية اليمانية الكبرى فيعدن أشرف على تأسيس لجنة الدفاع عن اليمن له بعض المؤلفات قدم دعما كبيرا لحركة الأحرار في اليمن .

(٣٢) القيادة القومية ، مكتب الخليج والجزيرة العربية ، تقرير خاص عن حركة الأحرار ، ص١ .

وفي مقدمتها صحيفة فتاة الجزيرة التي يصدرها محمد علي لقمان الـــذي شارك حركة المعارضة اهتماماً بادخال الاصلاح الى اليمن وكرس جريدته لذلك .(٣٣)

فقد نشر سلسلة من المقالات تحت اسم مستعار هو (صديق النملة) قدم فيها محاورات خيالية مع النملة متوخيا من خلال هـــذا الاسلوب تأييد فكـــرة ادخال الاصلاح الى اليمن . وتصدت احدى المقالات من هذه السلسلة للنظام الاتوقراطي « قالت النملة ني أن الملـــوك والأمراء هـــم المسؤولون عن سقوط الأمم وموت الشعوب » وكانت هذه الضربة الأولى لفكرة الامامة في اليمن.(٣٤)

وهكذا تبنت الجريدة قضية المنفيين وبدأت تنشر المقالات بشأن الدولة في اليمن . وعلى الرغم من ادعاء المنفيين انهم كانوا ينشرون النقـــد الجاد والبناء المتعلق فقط بحكم الامام وسياسته الاقتصاديـــة والداخلية الا انه يمكن القول بان جزءا كبيرا من تلك المنشـــورات كان لا يخـــرج عن السب في محتوياته . وكيفما كان الأمر فأن مسألة نشر تلك المقالات سرعان ما جذبت اهتمام الامام الذي احتج لدى السلطات البريطانية ، التي استطاعت بدورها جعـــل الجريدة تحد من هجماتها ضده بعض الوقت .(٣٥)

والى جانب جريدة فتاة الجزيرة وجد نعمـــان والزبيري تعاطفـــا ودياً مع قضيتهما ، ودعما كبيرا لأهدافهما على الرغـــم من انهما احتاجا الى أسابيع قليلة لتعبئة ذلك. فقد اعتقد العدنيون أن وصولهما لايعني شيئا جديدا. فقد اعتادوا على استقبال اللاجئين السياسيين القادمين من الشمال الذين كانوا يعودون الى

---

(٣٣) صدر العدد الاول من جريدة فتاة الجزيرة في كانـــون الثاني ١٩٤٠ وكانت الجريدة في البداية تعبر عن أصوات المحافظين من أصحاب النفوذ التجاري الذين يحتكرون نوادي الاصـــلاح العربيـــة وقامت بنشر نتائج المبـــاريات الشعرية والادبية ونشر المقالات الطويلة بشأن الشـــؤون الدينية والوحدة العربية فضلا عن المقالات الرنانـــة والخالية من الموضوعيـــة حول جهـــود بريطانيا العسكرية فكانت بين مـــدة وأخري تقـــدم التقاريـــر عن الأحداث الدائرة في شمال اليمن .

(٣٤) تقرير خاص ، ص٩١ .

(٣٥) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٢٨ .

منازلهم بعد أسابيع قليلة بعد قبولهم الرشوة المقدمة من الامام وعملائه العدنيين سرا ، أو بتأثير التهديد ضد أسرهم • ولكن حينما علم العدنيون بنيتهما البقاء لتأسيس حزب سياسي ظلوا غير متيقنين ومترددين في الاستجابة لهما •

فلم يجد نعمان والزبيري ورفاقهما في المرحلة الأولى من يتحدث اليهم ، أو يشاركهم أو يفهم ما يقولون ، لذا أحسوا بهوة بينهم وبين الجالية اليمنية فحاولوا مقاومتها بما يملكون من وسائل • والطريقة الوحيدة التي استطاعوا بها التسلل الى مجتمعات التجار والأندية هو قدوم عامل تعز وبعض الموظفين اليمنيين ، وكان مجيء هؤلاء بقصد التأثير على المعارضة ومحاولة التوسط بينهم وبين ولي العهد • واستثمر قادة المعارضة ذلك ، وجعلوا من هذه اللقاءات سبيلا الى بث دعوتهم • ولكن هذا لم يحسم الموقف لأن الحاضرين يمثلون التجار فقط • وهؤلاء لهم مصالح تمنعهم أن يكونوا سندا قويا وجريئا لفكرتهم • كما كانوا اقل عددا من أن تتألف منهم قاعدة شعبية واسعة وان مساعدة هؤلاء تتضاءل كلما أحسوا باحتجاج الامام أو تهديد عوائلهم واقاربهم في الداخل • كما كان بعضهم يشتد خوفه اذا أحس بضغط من السلطات البريطانية في عدن على المعارضة • ومع ذلك أصبح صوت المعارضة مسموعا من لدن شريحة مهمة في أوساط النازحين من الشمال •[٣٦]

فاتجه نعمان والزبيري الى الأندية والاتحادات القروية التي شكلها النازحون اليمنيون ومن أبرزها نادي الذبحان الذي سمي على اسم القرية التي جاء منها احمد نعمان ، ونادي الاتحاد الأغبري الذي كان يوحد القرى الموجودة في منطقة حيفان ، ونادي المقاطرة ، وعلى الرغم من أن أهداف هذه الاتحادات ومسؤولياتها كانت ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية الا أن أعضاءها كانوا لا يفتقرون الى الوعي السياسي • ولكن امتناع تلك الاتحادات واحجامها عن ممارسة العمل في التنظيمات السياسية يعود الى كونها اتحادات ومنظمات غير مشروعة قانونيا من وجهة نظر حكومة عدن • ثم أن لأعضاء هذه التجمعات

---

(٣٦) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ص٩١ .

أسرا في اليمن ، لذلك كانوا يخشون على سلامتهم ، ان عارضوا الامام جهرا . والأمر الآخر أن أغلب المهاجرين كانــوا غير متعلمين بدرجــة كافية ويجهلون وسائل التعبير عن قضيتهم السياسية .(٣٧)

وبصورة عامة كان على قادة المعارضة التعامــل مع قاعدة عريضــة ضمت خليطا من جميع الفئات (كانوا علماء دين ، وفلاحين ، وعمالا ، وتجارا وطلابا) والى جانب هذه العناصر كانت هناك عناصر أخرى اختلفت مشاربهــا وأهدافها في معارضة الامام ، فبعضها حاربت الامام سابقا لعــدم اعترافها بسيادتــه على الأرض اليمنية بعد خروج العثمانيين ، وأخرى أرهقتهــا الضرائب ونقمت على اسلوب عساكر الامام في معاملتهم لأهل الريف ، وثالثة قلص الامــام سلطتها وقيد حريتها بعد أن كانت تعمل معه ، وتريــد أن تستأثر بالحكم مــن دونه أو تريد التخلص منه نقمة وحقدا ، ورابعة عناصر واعية ، وهي التي زارت الأقطار العربية وتمتلك ثقافة وطنية دينية . وأخذت دور المبادرة في التحــرك لأسباب وطنية وذاتية .(٣٨)

لذلك يمكن القول أن الاسابيع الأولى كانت مدة فوضى وفقدان أمــان وثقة للزبيري ونعمان ورفاقهما ، ومع ذلك صمما على تأسيس حزب سياسي على الطراز الغربي في عدن ينسجم مع الأحــزاب العصريــة للتعبير عن مطاليبهم في تطبيق الاصلاحات . وبغية الحصول على مساعدة لتنسيق مثل هــذه الجهود لجأ الاثنان الى أسرة لقمان التي تمتلك رؤية لتأسيس مثل هذا الحزب . لاسيما محمد علي لقمان رئيس تحرير جريدة فتاة الجزيرة ونائب رئيس النادي العربي الاصلاحي في عدن منذ منتصف الثلاثينيات وكــان على اطــلاع على الموقــف السياسي الداخلي .

---

(٣٧) تقرير خاص ص٦ .

(٣٨) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص١٣٠ .

(٣٩) تقرير خاص ، ص٧ .

وعند البدء بالعمل ، دارت مناقشات ومشاورات بشأن اسم الحركة الجديدة ، فاقترح الزبيري ابقاء اسم (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) اسما للحركة ولكن نعمان أقنعه بان اسم (حزب الأحرار اليمنيين) هو الأفضل ، وهو الاسم الذي تم الاتفاق عليه .(٣٩)

ويعد هذا الحزب المحاولة الأولى لتنظيم أعمال المعارضة تلك التي ظهرت في منهاج الحزب الذي اكتسب أهمية خاصة في مسيرة المعارضة لأنه استمر دليل عمل لهم حتى قيام ثورة ١٩٤٨ . على الرغم من توقف نشاط الحزب العلني لمدة قصيرة ، ثم ظهرت تحت اسم آخر هو الجمعية اليمانية الكبرى .(٤٠)

اشتمل منهاج الحزب على مقدمة وعدد من المواد . وقد جاء في مقدمة المنهاج (برنامج حزب الأحرار اليمني ، بصنعاء ، الذي انعقد عام ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨) على الرغم من أن الحزب تأسس فعلا في عدن عام ١٩٤٤ . غير أن هدف الأحرار من هذا لفت أنظار النظام الحاكم بأن الحزب تأسس في الداخل حيث توجد قاعدته الحقيقية وليس للمهاجرين الى الشطر الجنوبي دور أساسي في تكوينه .(٤١)

وقد ركز الحزب في منهاجه على رفع المظالم عن الناس لاسيما المظالم المالية المتمثلة بالضرائب وما يتبعها من خطاط وتنافيذ ورشوة . ورفع المظالم العامة والسجون التعسفية واطلاق الحريات بوجه عام . كما اكد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في دعوته ، والاحتكام الى الكتاب والسنة والاتفاق على المساجد والتعليم كذلك طالب الحزب في منهاجه اجراء اصلاحات شاملة في جهاز الدولة والمرافق العامة واعانة الفلاحين وانشاء المدارس وارسال البعثات الى الخارج وضرورة الاستعانة بالخبرات العربية . كذلك دعا كل من يؤمن بهذه المطالب ان يعمل من اجلها وان اليمن لايمكن ان تقوم له قائمة الا على يد ابنائه الذين سيشاركون الامام في الادارة والتدبير(٤٢) .

---

(٤٠) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٣٨ .
(٤١) برنامج حزب الاحرار اليمني، مطبعة فتاة الجزيرة بعدن، طبع عام ١٩٤٤ .
(٤٢) للتفاصيل ينظر برنامج حزب الاحرار .

وفي غضون اسابيع أنشأ الحزب مقرا له في كريتر (أحد احياء عدن) حيث يوجد معظم اليمنيين مستفيدين بذلك من التبرعات التي جمعها نعمان من المهاجرين اليمنيين في عدن واثيوبيا وبريطانيا . فأجريت الانتخابات الاولية ووزعت المناصب على النحو الآتي : احمد محمد نعمان رئيسا ، والقاضي محمد محمود الزبيري مديرا ، وزيد الموشكي نائبا للرئيس ، وأحمد الشامي أمينا ، والحاج عبدالله عثمان مسؤولا للخزينة(٤٣) .

ولم يسهم اليمنيون الموجودون في عدن بهذه الانتخابات لخوفهم من ان تعاطفهم مع الحزب علنا يدفع الامام للانتقام من أسرهم في اليمن . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى راودهم الشك بأن مشاركة السيد زيد الموشكي أحد ابرز العناصر الزيدية .

وبصورة عامة كانت المناصب موزعه على الوافدين الجدد من اليمن باستثناء عبدالله عثمان الذي كان معروفا وحسن السمعة لدى الاوساط اليمنية في الداخل وموضع الثقة داخل التنظيم(٤٤) .

ان الطريقة التي وزعت بها المناصب تعبر عن العلاقة بين الشافعيين والزيديين ، ولأن الحزب كان يعتمد على مساعدة الشافعيين في عدن فلا غرو أن يصبح أحمد نعمان رئيسا للحزب لكونه ينتمي اليهم . لذلك فان مساعيه في كسب ثقة الهاجرين الشافعيين ومساعداتهم المالية . كانت مساعي موفقة ، لكونهم يرتابون من الزيديين ويعتقدون انهم يطمحون قدر ما يستطيعون لامتصاص ثرواتهم لذلك كان من المحتمل عدم استجابتهم في مسألة التبرع لو تقدم بها الزبيري .

ان اختيار نعمان رئيسا للحزب كان بمثابة اهانة لكبرياء الزبيري ، وبما ان الحزب كان يطمح في الحصول على مساعدة المعارضة الزيدية داخل اليمن فقد اتفق على حل وسط بتعيين الزبيري مديرا للحزب ويوازي هذا

(٤٣) عبدالرحمن العمراني،الزبيري شاعر اليمن الثائر ، صنعاء ، ١٩٧٠، ص٤٧ .
(٤٤) تقرير خاص ، ص٨ .

المنصب منصب الرئيس وكانت البيانات التي يصدرها الحزب يوقعها نعمان والزبيري على السواء .

وعلى الرغم من الضعف الشديد في امكانية الاحرار في بداية نشاطهم فان الجرأة التي واجهوا بها الامام يحيى أفزعت الحكومة فأحدثت ضجة كبيرة لدى الشعب اليمني بأجمعه لان مواجهة الاحرار قوة الدولة وقداسة الامام وهيبته كانت اول معارضة جدية عرفتها المين .

لذلك كانت ردود فعل الحكومة اليمنية عنيفة اتجاه هروب نعمان والزبيري وتأسيس الحزب الجديد فاعتقلت مجموعة كبيرة من جماعة الشباب. وكان من بين المعتقلين شخصيات معروفة تلقت تعليمها خارج اليمن واقترنت أسماؤها بـ (هيئة النضال) و (مجلة الحكمة)و (شباب الامر بالمعروف). كما اعتقل العديد من الوطنيين في تعز واب وضمر الى جانب اقرباء نعمان من الشافعيين وكان السجناء يلقون معاملة قاسية فكانوا يساقون مسافات شاسعة مغلولة أعناقهم ويرجمون بالحجارة ويركلون بالاقدام ويجلدون بالسياط مما ادى الى وفاة عدد منهم كما أن دور بعضهم قد هدمت[٤٥] .

وعلى الرغم من هذا الارهاب فان أعدادا من المعارضين بدأت تفكر بالهرب فقد نشرت مجلة الصداقة في كانون الثاني ١٩٤٦ اسماء اليمنيين البارزين الذين بقوا في حجة للالتحاق بنعمان والزبيري وتسعة من الشباب الزيديين وتسعة من رؤساء وشيوخ القبائل وثلاثة وعشرين آخرين من الشافعيين منهم مسؤولون حكوميون وتجار . فضلا عن ذلك فقد حاول احد ابناء الامام وهو سيف الاسلام اسماعيل الهرب من صنعاء مع بعض مؤيديه والقي القبض عليه قبل ان يصل الحدود وبعد اسابيع اعتقل الامام ولديه سيف الاسلام ابراهيم وسيف الاسلام علي[٤٦] .

---

(٤٥) علي محمد عبدة ، تطور ومسار الحركة الوطنية في اليمن صنعاء ، ١٩٧٠ ، ص٤٧ .

(٤٦) تقرير خاص ، ص١١ .

وبلغ جزع الامام ان بعث رسالة شخصية الى الملك جورج السادس يشكو فيها الاحرار في عدن . لذلك قامت السلطات البريطانية في عدن بحل الحزب الذي تأسس بصورة غير قانونية ، لانه لم يحصل على ترخيص[٤٧] .

اما ردود الفعل البريطانية فكانت متوقفة على العلاقات مع اليمن لاسيما ان تأسيس الحزب كان خلال الحرب العالمية الثانية . فمن ناحية كانت حكومة عدن تتعاطف مع قضية الاحرار اليمنيين ، ومن ناحية اخرى كانت هناك معاهدة تربطها مع الامام يحيى . لذلك لم تشأ ان ينظر اليها طرفا يساعد اللاجئين اليمنيين ، فقد وافق حاكم عدن على منح قادة حزب الاحرار الموافقة على البقاء في عدن في تموز ١٩٤٤ . لكنه أصر على تجريدهم من أي نشاط سياسي كما حذر لقمان من نشر أي شيء يهاجم الامام ونظامه . وبذلك رفضت بريطانيا تأسيس حزب سياسي رسمي يعارض الامام . وبقي حزب الاحرار حزبا بالاسم فقط . وقد اشار الى هذا الموقف المعارض نعمان والزبيري في رسالة لهما الى المهاجرين في بريطانيا ، جاء فيها ، ان حكومة عدن اشترطت عليهم ان لايتكلموا ولا يعقدوا اجتماعا ولا يتصلوا بأحد ووضعوا القباء عليهم .. وانهم عاملونا معاملة قاسية كمعاملة أسرى الحرب لا معاملة لاجئين سياسيين[٤٨] .

ومن جانب آخر كانت حكومة عدن تنظر الى هؤلاء الوافدين الجدد على انهم (النخبة) والطليعة التقدمية لليمن ، لذلك منحتهم الاقامة المؤقتة شريطة عدم ممارسة أي نشاط سياسي . وان (حكومة عدن) غير مستعدة لتسليمهم . فقد كتب جامبين حاكم عدن الى الامام ان تسليم اللاجئين مناف للعرف وان على اليمن ألا تستغني عن خدمة أولئك الرجال المثقفين الذين ربما سيقتنعون بالعودة[٤٩] .

---

(٤٧) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٩١ .
(٤٨) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٤٩٣ .
(٤٩) تقرير خاص ، ص١١ .

وهكذا عانى الاحرار من التقلبات السياسية ومن سياسة بريطانيا تجاههم ولكن المشكلة الاساسية التي كانوا يعانون منها هي المسألة المادية. فقد كان الاحرار اليمنيون يتضورون جوعا ولاقوا صعوبة في الحصول على المعونات والمساعدات المنظورة ، بسبب اعتقال جاسم الهروي الممول الرئيس للحزب وتخوف بقية التجار من ان يقوم النظام بالانتقام من أسرهم فيما لو شاركوا بالدعم المادي .

وكان على المهاجرين الى عدن البحث عن العمل حيث كانت فرص العمل قليلة لمثل هؤلاء ذوي التعليم التقليدي ، إذ ان جهلهم بالاعمال الحرة وعدم درايتهم باللغات الاجنبية حرمتهم من امكانية العمل في الكثير من الشركات التجارية العديدة التي كانت تعمل في عدن آنذاك . وحصل أغلبهم في آخر الامر على وظائف التدريس في مدرسة اهلية . وكانت دخولهم باعطاء دروس خصوصية في اللغة العربية لأعضاء الجالية الهندية من المسلمين في عدن . ويذكر ان كل واحد من المهاجرين حصل على (٤٥) روبية أي ما يعادل (٢ر٧) باون استرليني في كل شهر من التبرعات التي جمعها الاحرار[٥٠] .

ان هذه الظروف زعزعت معنويات الاحرار وضعفت ثقتهم بأنفسهم ، وساءت العلاقات بينهم واخذ كل منهم في عتاب الآخر ولومه وسوء الظن به. وظهرت الشكوى لدى بعضهم من اتباع الحزب من الزيديين الذين لم يقتنعوا بوظيفة التدريس . فعلى سبيل المثال فان زيد الموشكي كان يقول: « اريد ان أصبح ملكا او حاكما لا اريد أن اكون مدرسا في مدرسة للاولاد وهذا آخر ما أستطيع تحمله »[٥١] وكان غضب الموسكي نابعا من انه كان يعد حزب الاحرار وسيلة للحصول على السلطة وليس وسيلة لادخال الاصلاحات . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى لم يكن الزيديون جادين في معارضة الامام وان مثل هذه المعارضة قد تشجع مناوئيهم في صنعاء بأن يتهموهم بأنهم باعوا أنفسهم للبريطانيين .

---

(٥٠) المصدر نفسه ، ص١١-١٢ .　　(٥١) تقرير خاص ، ص١٢ .

وبعد أن ارسل سيف الاسلام أحمد مندوبين الى عدن يتوسطون بينه وبين الاحرار ، ويعرضون الصلح • انقسم الاحرار الى قسمين ، فريق يرى ضرورة التمسك بالموقف اليائس من الحكومة ، واستمرار النضال واذا كان لابد من مفاوضة في شأن مطالب الاحرار فلتكن • وفريق اقتنع بآراء ولي العهد سيف الاسلام أحمد ، فطلبوا في كانون الثاني ١٩٤٥ السماح لهم بالعودة الى اليمن • وفي غضون اسبوعين أصدر ولي العهد عفوا عنهم فعاد الموشكي وأحمد الشامي ثم تبعهما بعد مدة قصيرة الاعضاء الاخرون البارزون من الزيديين تاركين نعمان والزبيري في عدن[٥٢] •

ان مغادرة قادة الزيديين بعد مرور ستة أشهر فقط على هربهم ، اسدل الستار على طموحات نعمان والزبيري بإنشاء حزب يمني حر للضغط على النظام بغية ادخال الاصلاحات • وعلى الرغم من استمرار تسمية الحزب حتى نهاية عام ١٩٤٥ فان حاكم عدن جامبيون عبر عن رأيه في آذار ١٩٤٥ « ليس ثمة احتمال لان يكون للحزب دور مهم لسبب رئيس يتلخص بأنه لم يبق من اعضائه غير اثنين »[٥٣] •

وكان شتاء ١٩٤٥ حقبة تأمل وتردد لنعمان والزبيري إذ كان عليهما اتخاذ أحد القرارين ، إما الاستمرار في النضال في عدن ، واما العودة الذليلة الى اليمن لمواجهة مصير غير معلوم •

كانا ينظران الى الحقبة التي قضياها على انها حقبة ناجحة بعد ان حصلوا على تأييد الاندية القروية الشافعية ، وتأييد النادي الاصلاحي العربي ، والسياسيين المحليين ، والصحافة المتعاطفة معهم • فضلا عن تعاطف الادارة البريطانية في ظل حكم جامبيون • وأعلنا جهارا عن القضية التي يدعون اليها من خلال العديد من المقالات في جريدة فتاة الجزيرة ، والرسالة التي أرسلاها

---

(٥٢) المصدر نفسه ، ص١٣ ؛ سلطان ناجي ، التاريخ العسكري اليمن ١٨٣٩ ـ ١٩٦٧ (د.ت) ص١٣ .

(٥٣) تقرير خاص ، ص١٣ .

الى الامام طالبين فيها انهاء نظام التنفيذ ، وتوسيع التعليم ، ومنح حرية الرأي والاجتماعات ، دلائل لاعادة النهوض باليمن . فضلا عن ذلك ، فان حصولهم على رد من الامام بأن هناك أملا ان يفتحوا حوارا مع الامام في عدن . لذلك كان قرارهم البقاء ومواصلة الضغط . فقد كتب الزبيري ، ان عدن بالمقارنة مع صنعاء هي جنة من النور والحرية والعدالة ، وانها المكان الوحيد الذي يتمكن فيه الاحرار اليمنيون مجابهة الامام(٥٤) .

ومن الناحية الفكرية لم يقدم الحزب الكثير الى الحركة غير الاعلان عن الاهداف والقيم في رسالة مطولة في السابع عشر من كانون الاول ١٩٤٥ قدمها نعمان والزبيري الى المبعوث الاميركي في جدة ، يعارضان فيها الزيارة المرتقبة التي يزمع ان يقوم بها الى اليمن وفي هذه الرسالة انتقدا النظام الاوثوقراطي الذي جعل السلطة بأيدي أسرة حميدالدين فقط ، وأشارا الى ان الامام استخدم الدين وسيلة لاستعباد الشعب ، وقيامه بنهب ثروات الامة وزرعه الجهل والفقر والمرض والاضطهاد والتعذيب والجوع ، في الوقت الذي تمتلىء فيه المخازن بالحبوب وتكفي الشعب لبضع سنوات ، وواصلا في الرسالة هجومهما على أبناء الامام واتهامهم بالفساد وعجزهم عن قيادة الامة»(٥٥).

وتعد هذه الرسالة وثيقة تختلف عن المنهاج الذي أصدره الحزب ،الذي خلا من أي هجوم سافر على نظام الامام . كما انها عبرت عن الوسيلة التي اختارها نعمان والزبيري بتشكيل الجمعية اليمنية الكبرى .

الجمعية اليمانية الكبرى

استمر الزبيري ونعمان معظم عام ١٩٤٥ يطوران علاقاتهما مع الاندية القروية والتجار المحليين وغيرهم ممن توقعوا منهم الحصول على مساعدة مالية او دعم لتأسيس حركة المعارضة من جديد .

---

(٥٤) تقرير خاص ، ص١٣ .

(٥٥) مؤلف مجهول ، اليمن ، اليمن باطنها وظاهرها ، د.ت . ص ٦١–٦٤ .

وكان لنعمان دور متميز في هذا الجانب ، فقد وسع علاقاته مع قـادة المجموعات اليمنية في الخارج لاسيما اولئك الذين يقيمون في شرق افـريقيا وجيبوتي واثيوبيا في محاولة للحصول على مساعدة أكبـر . وكانت تلـك المجموعات تتمتع بثراء لا بأس به ، وتأمل في ادخال الاصلاحـات الى اليمن ولكنه لاقى صعوبة في اقناع اولئك المهاجرين لمساعدة حركة المعارضة من دون خوف من أي انتقام يقوم به الامام حيال أسرهم . وفي نهايـة المطاف حصل على المساعدات بعد ان وعدهم بأنه سيكون الشخص الوحيد الذي سيطلـع على هويات الذين سيقدمون المساعدات للحزب[٥٦] .

وأعطى هذا النشاط نعمان تأثيرا اكبر في الحركة ولكنه ادى الى خاق المشاكل مع أنصاره الزيديين في صنعاء الذيـن كانـوا يشعرون ان قيـادة المجموعات اليمنية المعارضة للامام يجب ان تكون حصرا عليهم .

ومع ذلك عقدت سلسلة من الاجتماعات في عدن مع القـادة اليمنيـين المحليين وممثلي المجموعات اليمنية في الخارج وقد نتج عن تلك الاجتمـاعات اعلان نعمان والزبيري تأسيس (الجمعية اليمانية الكبرى) في الرابع من كانون الثـاني ١٩٤٦ »[٥٧] .

وأعلنت الجمعية لأن هدفها جمع شمل ابناء اليمن وبث روح التعـاون والاخاء بينهم وتوجيههم لما فيه خير اليمن والارشاد أي التمسك بكتـاب الله وسنة رسوله الأعظـم .

وأصدرت الجمعية قانونا خاصا بها مكونا من تسع مواد واشتملـت على العناوين الآتية : مجلس الادارة ، أعضاء الجمعية ، ماليـة الجمعيـة ، مصاريف الجمعية ، المجلس اليمني العام ، انعقاد المجلس . كما تقرر اصدار

---

(٥٦) تقرير خاص ، ص١٥ .

(٥٧) عبدالله الشماحي ، اليمن ، الانسـان والحضـارة ، القاهـرة ، ١٩٧٢ ، ص١٩١ ؛ اللواء عبدالله جزيلان ، التاريخ السـري للثورة اليمنية ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢ ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص١٣ .

جريدة اسبوعية تكون لسان حال الجمعية وتسمى (صوت اليمن) تقوم بنشر أغراض الجمعية التي جاءت في المادة الثانية من قانونها وهي :

١ ـ دعوة ابناء اليمن الى الاخاء والتعاون والاتحاد وتبادل الثقة بينهم .

٢ ـ نشر الثقافة بين الجاليات اليمنية وتوجيهها الى ما يجب عليها دينيا وأخلاقيا وثقافيا واجتماعيا .

٣ ـ الاتصال بالهيئات العربية لتوجيه الجمعية ومساعدتها[٥٨] .

أعطى قانون الجمعية انطباعا عن هذه الجمعية لايعكس في الواقع حقيقتها ، فعلى سبيل المثال لم تجر الانتخابات على الرغم من توفر المقاعد للرئيس والامين العام والامين المساعد وأمين الصندوق والمجلس التنفيذي المؤلف من ثمانية أعضاء[٥٩] .

كما كان الدستور مصمما بطريقة خاصة لاعطاء انطباع مضلل بشأن آراء الجمعية . فلا يذكر الدستور هدف الاصلاح في اليمن الذي هو النقطة الجوهرية في قيام الجمعية لأن ذلك سيؤدي الى خرق الاتفاق مع السلطات البريطانية في عدن ، والقاضي بوقف المشاركة الفعلية بالنشاطات السياسية. وبدلا من ذلك فان الدستور يعبر عن مشاعر غير واضحة (لتعزيز روح الثقة والاخوة والتعاون بين أبناء اليمن والعمل على كل ما هو ضروري في الجوانب الدينية والاجتماعية والاخلاقية والثقافية وهديهم على أساس الكتاب والسنة)[٦٠] .

ولم ينخدع البريطانيون بذلك الادعاء ، وهو ان أهداف الجمعية كانت أساسا أهدافا اجتماعية وثقافية . فقد عقب حاكم عدن على ذلك « ليس من المعقول أن لا تتورط الجمعية في موضوع سياسي كموضوع فساد الادارة الحكومية » .

---

(٥٨) برنامج الجمعية اليمانية الكبرى ، المادة الثانية .

(٥٩) تقرير خاص ، ص١٥ .

(٦٠) برنامج الجمعية .

وكما أشرنا فقد أقرت الجمعية في قانونها اصدار جريدة تكون لسان حالها باسم (صوت اليمن) وكذلك شراء مطبعة لطبعها وطبع الرسائل الاخرى للجمعية وكان شراء المطبعة اول دليل على مدى المساعدة التي قدمها اليمنيون للجمعية • لا سيما المهاجرون فقد تبرع ثلاثة من التجار اليمنيين في اثيوبيا بـ (٣٠) الف ريال او ما يعادل (٤٥٠) باون استرليني • وقام احمد المسمري وهو احد اليمنيين الذين يدرسون في القاهرة بشراء المطبعة وشحنها الى عدن وفي أواخر الصيف كانت مطبعة (النهضة اليمنية) جاهزة وفي الحادي والثلاثين من تشرين الاول ١٩٤٦ صدر العدد الاول من جريدة صوت اليمن[٦١] •

كانت الجريدة تشبه الى حد كبير جريدة فتاة الجزيرة وظلت سنتين تنشر آراء الاحرار في أوساط الرأي العام العدني كما نشرت مقالات عن العقيدة الدينية ، وواجبات المسلم ، كما نشرت تقارير عن نشاطات الاتحادات وتطورها في الاندية القروية ، وأعادت نشر المقالات المتعاطفة مع القضية اليمنية التي تنشرها الصحف العربية والحوارات بين هذه الاندية والامام ، والرسائل التي يكتبها المهاجرون اليمنيون[٦٢] •

وتعد صوت اليمن نقلة في مسيرة المعارضة ، انتقل فيها الاحرار من دور التلميح الى التصريح وسعت في كتاباتها لتحديد مجمل المطالب أهمها تكوين مجلس شورى له الحق في الاشراف على الحكومة ودراسة المشروعات ووضع المقترحات ، واصدار الانظمة كما هو الحال في الاقطار العربية • فضلا عن ذلك شنت حملة على حكم الامام عن طريق نقل صور المظالم المتمثلة بالاعتقالات وفرض الضرائب التعسفية والفساد الاداري • كما كانت سفيرا لحركة الاحرار تنقل أخبارهم الى كل المهاجرين اليمنيين في مختلف البلاد التي يسكنونها مثل بريطانيا وشرق افريقيا والسودان

(٦١) تقرير خاص ، ص١٥ .

(٦٢) محمد عبدالملك ، الصحافة اليمنية نشأتها وتطورها ، ص١٣١ ؛ عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

ومصر والسعودية وغيرها • وكانت نتيجة ذلك تجميع اولئك المهاجرين حول فكرة الاحرار وضرورة القيام بعمل ايجابي لانقاذ الارض والانسان[٦٣] •

ولم تشغلها قضيتها عن الاهتمام بالقضايا العربية فقد اهتمت بالقضية الفلسطيينة وتطوراتها ودعت الى ضرورة انقاذ فلسطين وأعلنت فتح باب التطوع والدعم المالي الى جانب الاهتمام بالقضايا الدولية لاسيما الاسلامية منها • وكانت صوت اليمن تصل الشطر الشمالي بواسطة التجار وكان الاحرار في الداخل ينشرون فيها أفكارهم وآراءهم بأسماء مستعارة الى جانب جريدة (الصداقة) التي تصدر في القاهرة ويسهم في تحريرها المسمري وكانت هاتان الصحيفتان توزعان في جميع القطاعات المدنية والعسكرية وكانتا الوسيلة في توحيد صفوف المعارضة في الداخل • لذلك أعاد الامام اصدار جريدة (صوت الايمان) وهاجم من خلالها الجمعية اليمنية وجريدتها صوت اليمن[٦٤] •

وكرد فعل على هذه النشاطات قام ولي العهد سيف الاسلام أحمد بزيارة رسمية لعدن واستقبل من السلطات البريطانية فيها ، وسرعان ما دخل في صراع مع حركة المعارضة ، مستغلا زيارته للتصدي لنشاط الجمعية ، واستمالة مؤيديها فكان يلتقي يوميا بالمهاجرين اليمنيين ويقدم الاموال لهم، كما كان يعمل على الثأر من نعمان والزبيري كما يتضح من برقية حاكم عدن الى حكومته في لندن جاء فيها ، لما كان الغدر والمناورات التي قام بهما أحمد هما اللذان أتيا به الى عدن ، وعليه قرر الاستفادة من هذه المناسبة للتغلب على (المنشقين) إما بالتهديد أو اعطاء الوعود ولكنهما رفضا الذهاب اليه وهذه إهانة جعلت ولي العهد يهتاج غيظا وأقسم بأنه سيقتلهما ولما كان لولي العهد اتباع قادرون على تنفيذ القتل كان من الضروري نصح نعمان والزبيري بمغادرة مقر سكناهما كما قمنا بتأمين الحماية الامنية لهما[٦٥] •

---

(٦٣) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٤٢ .

(٦٤) المصدر نفسه ؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٨٣–٢٨٤ .

(٦٥) تقرير خاص ، ص١٧ .

وفي ضوء الاجراءات البريطانية لحماية نعمان والزبيري تراجع ولي العهد عن أي خطة للتخلص منهما وقرر مواجهتهما اعلاميا من خلال جريدة فتاة الجزيرة فأعلن « ان الحكومة اليمنية مستعدة للدخول في علاقات مباشرة مع بقية العالم العربي وستتبادل البعثات الرسمية مع الدول الاسلامية وستستغل مناجم البلاد كما أنها مستعدة أن تنشر التعليم بمقتضى سياسة الجامعة العربية »(٦٦) .

فاجأ هذا التصريح الاحرار تماما فبعضهم اخذ التصريح على علاته فذهب يعد ولي العهد (منقذ اليمن) الا ان الاغلبية لم يكونوا بمثل هذه السذاجة فاستمرا في طرح مطالبهم فقدم نعمان والزبيري مجموعة جديدة من المطالب باسم الجمعية الى ولي العهد من خلال الشيخ محمد سليم البيحني (عضو مجلس علماء عدن وخريج جامعة الازهر) وكانت المطالب على النحو الآتي :

١ ـ تأسيس مجلس وزراء كما هو متعارف عليه في بقية الدول العربية .
٢ ـ تأسيس مجلس استشاري قوامه العلماء وقادة القبائل يقوم بمهمة ترتيب الخطط لغرض الاصلاح .
٣ ـ منع أبناء الامام من التدخل في الشؤون الادارية للبلاد .
٤ ـ اعلان الامام عن تأييده انشاء مجلس وزاري ومجلس شورى .
٥ ـ تأسيس مجلس يتكون من الوطنيين يشرف على تطبيق هذه القرارات كما هو معمول به في القاهرة وعدن(٦٧) .

لم يستجب ولي العهد لهذه المطالب ولم يتمكن من اقناع الاحرار بالعدول عن مطالبهم لذلك عاد الى تعز بعد أن قضى في عدن قرابة (٣٦) يوما تاركا وراءه الجمعية اليمانية تحظى باحترام كبير .

---

(٦٦) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٨٣ .

(٦٧)عبدالله السلال واخرون ، من وراء الاسرار ، بيروت ، بلا ، ص١١ ؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٣٣ ؛ شاكر محمود ، المصدر السابق ، ص١٣٠ .

وتلقت الجمعية اليمانية دعما آخر عندما وصل سيف الاسلام ابـراهيم (الابن التاسع للامام يحيى) الى عدن في العشرين من تشريـن الاول ١٩٤٦ مقدما مساعدته للجمعية[٦٨] • واختلفت الآراء بشـأن ارتباطـه بالحركة ، فبعضهم يرى ان السبب ادراكه للنظام الفاسد الذي يحكم اليمن ورغبته في استبدال هذا النظام بحكومة عادلة وانه وجد في هذه الجمعية المنبر المناسب للإدلاء بآرائه بشأن اجراء الاصلاحات في اليمن وهي سياسـة نادى بهـا بصـدق •

ويرى آخرون ان السبب في هرب ابراهيم لم يكن بسبب موقفه الوطني السليم بقدر ما كان بسبب طموحه في الحصـول على الامـامة وانه سعـى للحصول على المساعدة بعد أن ادرك ان فرصته لتولي الحكم فرصة ضئيلـة اذا بقي في اليمن أمام منافسة أخيه سيف الاسلام أحمد المدعوم من الامام •
ومهما يكن من أمر ، فقد أعلن الاحرار على الفور عن اختياره زعيمـا للحركة ، وملأ هذا الحادث أعضاء الجمعية حبورا لان ذلك معناه انـه قـد أصبح للحركة أخيرا قائد لايعترف به اليمنيون فحسب وانمـا تعتـرف بـه الاقطار العربية الاخرى • ولكون سيف الحق وهو اللقب الجديد الذي أطلق عليه ، تمييزا له عن أخوانه ، زيديا وسيدان ومن العائلة المالكة ، فان تـوليه القيادة معناه انه سيكون نقطة استقطاب لكل الاطراف المتباينة من اليمنيـين الاحرار كما أنه سينفي الادعاءات عن الحركة بأن الشافعيين وأنصارهم هـم المهيمنين على الجمعية[٦٩] •

وبصورة عامة كان سيف الحق ابراهيم رئيسا صوريا وبقيـت الامـور العملية تحت اشراف نعمان والزبيري • وكان يقوم بتوقيع الرسائل والبرقيات التي ترسلها الجمعية الى الحكومات العربية المختلفة والى المنظمات العـربية

---

(٦٨) للتفاصيل عن وصول سيف الحق ينظر : شاكر محمود ، المصدر السابق ، ص١٣٠–١٣٢ ؛ عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٤٣ .
(٦٩) تقرير خاص ، ص٢٠ .

والدولية كما حضر العديد من الحفلات الرسمية والاجتماعات التي نظمتها الجمعية ونادي عدن الاصلاحي والاندية القروية .

وأجرى سيف الحق ابراهيم حوارات مطولة مع والده حثه فيها على ادخال الاصلاحات وكانت هذه المراسلات تنشر في صوت اليمن . وقد ركز سيف الحق بعده ممثلا للجمعية اليمانية على ثلاثة اتجاهات ، الاتجاه الاول نحو والده واخوته ، طالبهم بتعديل أساليبهم في الحكم والقيام بالاصلاحات المختلفة والسريعة ، ولم تؤد نتيجة أمام تعنت الامام واصراره على القسوة واضطهاد الشعب لذلك نجده في احدى رسائلها الى والده يقول « ان سبعة ملايين يمني يعانون داخل البلاد وخارجها من ظلم الحكام وعايه فأنا ضد حكمكم الذي لا يعبر مطلقا عن حاجات الشعب بل يولد النقمة عليكم»[70].

أما الاتجاه الثاني فكان نحو الاقطار العربية ولاسيما جامعة الدول العربية التي ظل يطرق ابوابها حتى كلت يداه من دون جدوى ، وحينما اعلنت القبائل اليمنية تذمرها من الامام انتهز الفرصة وبعث برقية الى الامين العام للجامعة اوضح فيها سوء الاوضاع في اليمن وكرر طلب الاحرار للنجدة العربية . واكدت البرقية نقطة هامة هي الرغبة الكاملة في الاصلاح والتغيير عن طريق الامام . اي ان الاحرار لم يقرروا بعد التخلص من الامام أو القيام بالثورة[71] .

وكان الاتجاه الثالث نحو مصر ومحاولة توثيق صلة الاحرار بها واتجه برسائله الى الشعب وليس الحكام وذلك عبر الصحف المصرية التي ظلت تتبنى القضية اليمنية حتى ثورة ١٩٤٨ لاسيما صحيفتا الصداقة والرابطة العربية كما راسل عددا من الاحزاب والجمعيات وقد استجابت حركة الاخوان

---

(٧٠) راشد البراوي ، اليمن الانقلاب الاخير ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص٢٥ .
(٧١) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٤٣ .

المسلمين الى النداء وجندت نفسها وصحفها للتحدث باسم اليمن وتحمل قضية الاحرار ومتابعتها[٧٢] .

ان وصول سيف الحق ابراهيم وصدور صوت اليمن أحدثا تغييرا نوعيا في طبيعة حركة الاحرار فلم تعد الجمعية اليمانية تمثل مجموعة من الاشخاص تحت قيادة متنافسة ومتناقضة بل أصبح لها قائد يمتلك دغما كبيراً كما عبرت عن ذلك صفحات جريدة صوت اليمن فقد كانت أعدادها الاولى مفعمة برسائل وبرقيات التي أرسلها اليمنيون في شرق أفريقيا وبريطانيا والسودان وجيبوتي واثيوبيا والكونغو وفرنسا والدانمارك والولايات المتحدة . تعد بمساعدة سيف الحق ابراهيم والجمعية اليمنية . كما كانت هناك بعض البرقيات المرفوعة من التجمعات الطلابية العربية من غير اليمنيين في القاهرة والعواصم العربية . ان كل ذلك يؤكد ان الجمعية اصبحت في نظر اليمنيين وغيرهم قوة سياسية مهمة[٧٣] .

ولمجابهة ذلك أعاد الامام اصدار جريدة صدى الايمان وبدأ من خلالها مهاجمة سيف الحق والجمعية اليمانية . ففي عددها الصادر في الثالث والعشرين من آذار ١٩٤٧ اتهم الامام ابنه ابراهيم بالجنون ، كما اتهم جميع المرتبطين بصوت اليمن باتهامات مختلفة وأطلق عليهم تسمية الرعاع . واستمر الامام وولي عهده بشتى وسائل الترغيب والترهيب للحد من نشاط ولده والجمعية ، ولكن ذلك لم يثن سيف الحق والجمعية عن مواصلة نشاطهم الذي بدأ يتصاعد مع مرور الايام[٧٤] .

---

(٧٢) ثريا منقوش ، « الممهدات النظرية لحركة ١٩٤٨ »، مجلة الحكمة ، ع٦٧ و ٦٨ ، كانون الثاني وشباط ١٩٧٨ ، عدن ، ص١٢٨ .

(٧٣) محمد احمد نعمان ، الأطراف المعنية في اليمن، القاهرة ١٩٦٥ ، ص٥٨–٥٩ ؛ تقرير خاص ، ص٢٢–٢٣ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص٢٤–٢٥ .

نشاط الجمعية والتطورات الفكرية :

أعلنت الجمعية في شباط ١٩٤٧ بعد التحاق سيف الحق عن خططها لاعادة تنظيمها وتأليف مجالس خاصة لاتخاذ القرارات السياسية والمالية وكل ما يتعلق بالنشر والاتصال مع اليمنيين الموجودين في داخل اليمن وخارجه والعلاقات مع الصحافة العربية والحركات السياسية والحكومات . فضلا عن تشكيل لجان للارشاد والتعبئة العسكرية ، ولجنة للصالح العام تقوم بتوفير فرص العمل للمهاجرين في عدن . ووسعت الجمعية نشاطها بتوسيع عدد فروعها كما نجحت في تقوية العلاقات مع الاندية القروية الشافعية والتشجيع على تأسيس أندية قروية اخرى وذلك لتوفير مصادر منتظمة لجمع التبرعات والاشتراكات وتقديم المعلومات(٧٥) .

ومن جانب آخر عملت الجمعية على استقطاب المجموعات اليمنية الموجودة في الخارج التي يقدر عددها بمليون شخص موزعين على أوربا وأفريقيا واميركا ، ومعظمهم من الشافعيين ومن المناطق الحدودية وكانت أولى المجموعات التي أعلنت تأييدها للجمعية هي المجموعة الموجودة في بريطانيا التي يقدر عددها بـ (٦٠) ألف مهاجر وانشط هذه المجموعة سياسيا المجموعة الموجودة في كارديف التي يرأسها الشيخ عبدالله علي الحكيمي . كما حققت الجمعية نجاحا في البلدان الاخرى وكان فرع كينيا أنشط الفروع حيث أسس ما يعرف بـ (الاتحاد الوطني اليمني) الذي قام بجولة في كينيا وافريقيا لكسب التأييد والحصول على المساعدات المالية من المهاجرين اليمنيين(٧٦) .

والجانب الآخر من النشاط السياسي تمثل بالزيارات الشخصية لقادة الجمعية للجاليات اليمنية والتباحث مع مسؤولي الدول بشأن أوضاع هذه الجاليات واقناع المسؤولين بمشروعية الشكاوى التي ترفعها ضد الامام والتعريف بسوء الاحوال المعاشية هناك . فقد قام كل من احمد نعمان وأحمد

---

(٧٥) تقرير خاص ، ص٢٩ .

(٧٦) المصدر نفسه .

براق في نيسان ١٩٤٧ بجولة في الدول العربية وحملا رسائل من سيف الحق الى ملوك ورؤساء هذه الحكومات لطرح القضية اليمنية على الرأي العام العربي •

ان هذه الرغبة في الاعلان عن القضية اليمنية وعن أهداف الجمعية جعلت نعمان والزبيري ورفاقهما يضعون ثقتهم التي قد تكون ثقة مبكرة وساذجة في آن واحد في قدرات الجامعة العربية وصلاحياتها ، فقد كتب سيف الحق الى الامين العام للجامعة يدعوه الى التدخل لحل المشكلة اليمنية بشكل جدي ، كما أسهب في رسالة اخرى في الحديث عن أوضاع اليمن مشيرا الى أهم الاخطار التي تحيق باليمن(٧٧) •

كما سعت الجمعية الى طلب المساعدة من بعض الدول العربية والاجنبية ولا سيما بريطانيا ظنا منها أنها ستقدم لها المساعدة • والى جانب ذلك كانت للجمعية اتصالات مع عدد من الاحزاب والتجمعات السياسية العربية لا سيما المصرية • فقد كانت هناك علاقات متينة بين الجمعية وجماعة الاخوان المسلمين منذ ثلاثينيات القرن الماضي واربعينياته أي منذ تأسيس كتيبة الشباب اليمني بل أن بعض أعضاء المعارضة كانوا اعضاء في جماعة الاخوان مثل محمد صالح المسمري الذي اصبح صلة الوصل بين الجمعية وجماعة الاخوان ، وبعضهم تربطهم صلات وشيجة معها مثل الزبيري ونعمان •

ان هذه الصلات دفعت بلجنة القرارات التابعة للجمعية تخويل حسن البنا المرشد العام للاخوان تمثيلها في جامعة الدول العربية والمنظمات الحكومية الاخرى • بل ان سيف الحق كتب الى الامين العام للجامعة العربية رسالة أكد فيها ان حسن البنا يعمل بالنيابة عن الجمعية اليمانية وانه مفوض تفويضا كاملا للتحدث باسمهم(٧٨) •

---

(٧٧) تقرير خاص ، ص٢٩ •

(٧٨) للتفاصيل عن علاقة الاخوان المسلمين بحركة الاحرار ينظر : عبدالله أحمد يحيى ، حركة الاحرار وعلاقتها بالاخوان المسلمين ١٩٣٨–١٩٤٨ •

وبرز دور الفضيل الورتلاني[٧٩] الذي أوفدته جماعة الاخوان الى اليمن في الاحداث السياسية ، وبلورة نشاط المعارضة وتحديد مهامها ، بل تحديد شكل الحكم المطلوب • ويؤكد المروني ان الورتلاني كان شخصية مؤثرة وشبهه بالذي يحمل عصا سحرية يسوي بها كل من يستمع اليه بسرعة فائقة وبمنطق مقنع عجيب[٨٠] . وبصورة عامة اصبح الورتلاني همزة الوصل بين الاحرار في عدن وقوى المعارضة في داخل اليمن ويؤكد ذلك القاضي محمد الاكوع حيث يقول انه اطلع على رسالة من نعمان من عدن الى اخوانه المعتقلين في منفى حجة ،وكان الاكوع معهم جاء فيها «لقد وصل من يضرب آخر مسمار في نعش الامام يحيى » ويقصد به الورتلاني[٨١] •

ان هذه الصلات ويأس حركة الاحرار من الامام ، دفع الحركة الى التفكير في الثورة على الامام ، وهذا ما حدث عام ١٩٤٨ • ان تخطيط حركة الاحرار للثورة والاسهام فيها لم يكن أمرا مفاجئا بل جاء نتيجة التطورات السياسية والفكرية التي مرت بها الحركة ، حيث اتسمت المرحلة الاولى من تأسيس الحركة بالتطور السلمي ، واعداد مناهج الاصلاح • ويمكن عد اقرار الميثاق المقدس في الرابع عشر من أيلول ١٩٤٧ نهاية تلك المرحلة ، وبداية مرحلة جديدة •

---

(٧٩) ولد عام ١٩٠٧ في الجزائر ، وكان من المعارضين للاستعمار الفرنسي ، لجا الى مصر فارا خلال الحرب العالمية الثانية والتحق بالجامع الازهر وانضم الى جماعة الاخوان المسلمين زار اليمن منتدبا من شركة محمد سالم للسيارات وكان وراء هذه الزيارة يمكن غرض سياسي وذلك لعلاقاته المتينة مع عدد من اليمنيين . يعده احمد الشامي مهندس ثورة ١٩٤٨ خرج من اليمن بأمر من قيادة الثورة لمفاوضة وفد الجامعة العربية ، وبعد اخفاق الثورة عاد الى مصر وتوفي فيها عام ١٩٥٧ .

(٨٠) عبدالله يحيى ، المصدر السابق ، ص٤٦ ؛ مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

ففي المرحلة السابقة لاعلان الميثاق لم يستطع الاحرار تجاوز الفكر الاقطاعي السائد في تلك المرحلة الا في حدود ضيقة • نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية ، كما ان الفئات والعناصر التي تقود الحركة وانتماءاتها الاجتماعية والفكرية هو الذي حدد أسلوب العمل فبدأت بالنصح مع عدم الايمان بالجماهير • كما أنها لم ترفع شعار مناوأة الامامة والاستعمار ، ولم تعمل على الاتصال بالفئات الشعبية لاسباب تتعلق بخطها النظري والاقطاعي[٨٢] •

إلا أن هذا الوصف لاينطبق على جميع قادة الحركة فقد أدرك بعضهم أهمية الجماهير وعد أبعادها نقصا خطيرا في فكر الحركة ويعبر الزبيري عن ذلك احسن تعبير بقوله «ان حركة الاحرار ليست إلا استجابة طبيعية لروح الجماهير الكادحة المظلومة المتذمرة التي هي صانعة الاحداث الحقيقية وهي الينبوع الاول لنضال الاحرار والملهم الاول لمبادئهم وأهدافهم ومثلهم العلياء فالاحرار هم الملايين المسخرة من القبائل والمزارعون هم الجماهير الشعبية التي أنشبت فيها مخالب الطغيان وامتصت دماءها وما كادت الطبقة المتنورة تدرك الكارثة التي يعيش فيها الشعب حتى أخذت تتفاعل مع روحه وتدرس مشاكل الامة ، وتأكد للاحرار ان كل محاولة لاقناع الامام والتأثير عليه انما هي ضرب من خداع النفس وخداع الشعب معا »[٨٤] •

وقد حدد الزبيري أهداف حركة الاحرار بعدد من النقاط أهمها :ـ

مقاومة حكم الاستبداد مشيرا الى ان الشعب اليمني لا يمكن أن يتطور تطورا طبيعيا ولو بعد نصف قرن ما دام الامام موجودا . أما الهدف الثاني فهو سعادة الشعب اليمني مبينا الاصلاحات التي يمكن ان تسعد الشعب

---

(٨١) جلوبو فسكايا ، ثورة ٢٦ سبتمبر في اليمن ، ترجمة قائد محمد طربوش ، مراجعة حسن العزعزي ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص١٧٩ •

(٨٢) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص١١٤ •

(٨٣) عبدالعزيز المقالح ، المصدر السابق ، ص١٠٤ •

اليمني ، أما الهدف الثالث فقد حدده بحكم الشعب ، عن طريق الديمقراطية. أما الهدف الرابع فقد تمثل بوحدة الشعب عن طريق توحيد اليمن ، وحدد الهدف الخامس باستقلال الشعب وذلك بالمحافظة على استقلال الشطر الشمالي والكفاح من اجل تحرير الشطر الجنوبي من الاستعمار . أما الهدف الاخير فيتمثل بالاتحاد العربي إذ يعد الشعب اليمني جزءا من الامة العربية(٨٤) .

وتبدو هذه الآراء واقعية ومنطقية وتعبر عن واقع اليمن وطموحات الاحرار ولكنها لم تلق قبولا من جميع قادة الحركة. إلا أنها لاقت قبولا عند الكثيرين ويتضح هذا في الميثاق المقدس الذي عبر عن آمال المعارضة وطموحها . وشكل الخطوة الاخيرة في عملية الاستقطاب بين الاتجاهين المتعارضين في حياة البلاد السياسية ، فقد مثلت الفئات سيطرة الطبقة الاقطاعية وعلى رأسها الامام . في حين عبرت القوى السياسية في المهجر والتجمعات السياسية الليبرالية في الداخل عن معسكر المعارضة(٨٥) .

وسرعان ما انتقل الجانبان المتصارعان من طور المحاولات الى مجال الفعل القسري ، فتم اغتيال الامام وأعلنت الثورة ووصل قادة حركة المعارضة الذين عاشوا في المهجر وفي مقدمتهم سيف الحق والزبيري ونعمان الى اليمن لقيادة الحكم الجديد الذي لم يستمر سوى شهرين فهربوا ثانية الى الخارج.

واذا كان لابد من تقييم حركة الاحرار في عدن واسباب اخفاقها في تحقيق أهدافها يمكن عد تقييم الزبيري واضحا ومنطقيا ، فقد أشار في كتاباته الى أن الاحرار وقعوا في خطأين وهما ، خلق هوة بينهم وبين القاعدة الشعبية في عدن ، ولم يعتمدوا على الكفاح الشاق بل ينتظرون عون الاحرار التجار قبل ان يؤمن هؤلاء التجار ايمانا قويا بالقضية اليمنية .

---

(٨٤) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٦٩ـ٧٢ ، ٩٤ .

(٨٥) تكون الميثاق المقدس من (٣٩) مادة وملحق بأربعة قوائم وقسم خاص بالبيعة ، للتفاصيل عن الميثاق ينظر مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٢٦٦ـ٢٦٨ .

ففيما يتعلق بالجانب الاول فان الاحرار هاجموا اصناما كانت ما تزال لها قدسيتها عند العامة فتحدوا بذلك شعورها وصعب عليهم بعد ذلك ان يحدثوا في عقليتها اثرا سريعا بل صعب عليهم مجرد الاتصال بهم . كما انهم كانوا يرون في الموظفين عموما صغارا وكبارا ضحايا للسلطة الرئيسية وللنظام التأله وانهم ليسوا مصدرا من مصادر الفساد ، وكان هؤلاء يستريحون لهذا التصور ويحرصون عليه وفي الوقت نفسه لم يترددوا في محاربة الحركة والغدر بها . وكانت النتيجة أن كبرت الجبهة المعادية للاحرار واتسعت وتعددت عكس ما كان يريده الاحرار فقد انحاز جانب كبير من الجماهير الى الجبهة المعادية ولم يكسب الاحرار حقيقيا غير عدد صغير من ذوي الضمائر الحية في الشريحة الواعية وهؤلاء هم الذين قامت الحركة على عاتقهم[٨٦] .

أما الشق الثاني من الخطأ ، فالاحرار لم يعتمدوا على النضال الشاق فقد كان فيهم من لا يعرف الحياة في الخارج ويتعود على صعوبتها ، كما انهم لم يتخذوا من الارصفة والموانىء والمصانع والمساجدمراكز طبيعية لنشاطهم حتى يتغلغلوا في أعماق المجتمع ويبثوا رسالتهم في القاعدة الشعبية التي لا تهزم ولا تساوم ولا تتراجع ولا تخون ، بل ركزوا جهدهم على التجار الذين لم يشعروا بالالم والضيم . فضلا عن ذلك فلم يكن للاحرار امكانية مالية تكفي لايواء المهاجرين الى عدن ، كما لم يكن لديهم بعثات في الاقطار العربية تشرح قضيتهم . وهكذا ظلت القضية اليمنية برجالها ومبادئها وفروعها موضوعة أمام ستين ألف يمني نازح الى عدن لاتمتلك حولا ولا قوة لذلك نظر اليها النازحون نظرة اتهام وكما يقول الزبيري «فكانت هذه القضية تعامل كما يعامل الشحاذون وتنبذ كما ينبذ المشبوهون المتهمون » وتظهر المبالغة في هذا القول فقد لقيت الحركة تعاونا من عناصر عديدة وتركت أثرا واضحا في عدن واليمن وقد توج ذلك بثورة ١٩٤٨[٨٧] .

---

(٨٦) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ٩٤ .
(٨٧) مركز الدراسات والبحوث اليمني ، المصدر السابق ، ص٩٨ .

اللغــة العربيــة وتحــديات العولمــة

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي وامينه العام

الملخــص :

شهدت اللغة العربية كثيرا من التحديات خلال القرن العشرين ، ومــن أهمها في مطلعه الدعــوة الى العاميــة ، وكادت هذه الدعوة تموت لــولا أن انبعثت بالعولمة التي تدعو الى انصهار الثقافات وسيطرة لغــة من اللغــات العــالميــة .

والعربية وهي لغة القرآن الكريم ظلت تتحــدى الدعوات المشبوهــة ، وقد أولى العراق عناية عظيمة لها ، وأصدر قانونا للحفاظ عليها .

وهذا البحث يعرض لمخاطر العولمة وموقف العراق ويضع بعض المقترحات التي تصون اللغة لتظل معبــرة عن الثقافة العربية ووحــدة الأمــة وكيــانها الأصيــل .

(١)

تظهر بين حين وآخر دعوات في ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، فمن دعوة الى اللهجات المحكية وتغيير الحرف العربي ؛ ودعوة الى الشرق أوسطية واندماج العرب بغيرهم ، ودعوة الى ثقافة حوض البحر الابيض المتوسط ، وغير ذلك من الدعوات التي تسعى الى إذابة الامة العربية وعقيدتها ولغتها في أتون الدول الداعية الى مثل ذلك لتستحوذ على مواردها الطبيعية ، وتعطل طاقاتها الانتاجية والابداعية ، وتمحق حضارتها ، وتزعزع لغتها التي نزل بها القرآن الكريم على النبي العربي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

وتذّر العولمة اليوم بقرنيها في الوطن العربي والعالم الاسلامي ، فرحب بها قوم وروّجوا لها ، ونأى عنها قوم وكشفوا زيفها ومراميها .

(٢)

لقد تفاوت الباحثون في تسمياتها فسماها بعضهم « العولمة » وهي ترجمة كلمة globalization وسماها بعضهم « الكوكبة » و « الكونية » لتنال القبول بعد أن مقتها المؤمنون بعقيدتهم السمحة وأمتهم الخالدة .

ولا يخفى ما وراء العولمة من أهداف خططت لها الرأسمالية العالمية والصهيونية ، ورسمت معالمها ، وهي خطوات يُفضي بعضها الى بعض حتى اذا ما اكتملت الخطوات ضاقت الحلقة وأصبحت طوقا لا يمكن تحطيمه إلا بشقّ الأنفس والنضال المرير .

لقد طرحت العولمة أول ما طرحت القضايا الاقتصادية لما للاقتصاد في حياة الشعوب من أهمية بالغة وأثر كبير ، ولا سيما الدول النامية التي يرزح معظمها تحت نير الفقر والحرمان .

ودعت الى اندماج العالم في حقول التجارة والاستثمارات والقوى العاملة، وتأسيس الشركات الكبرى المتعددة الجنسية لتحكم قبضتها على التجارة العالمية ، وتعلي شأن الاقتصاد الدولي الذي يمكن أن يقوم بالتعاون بين الدول على أساس المصالح المشتركة ، لا الدمج الذي يساب الدولة خططها التنموية ومشاريعها الاستثمارية .

ورحّب بعض أصحاب المال في الوطن العربي بها ، وظنوا أن أرباحهم ستزيد وأن شركاتهم ستتسع ، ونسوا أن اندماجهم هذا يفقدهم حريتهم وقد يؤدي بهم الى الافلاس اذا ما تركوا مقاليد أمورهم للشركات الرأسمالية التي هي كالسمكة الكبيرة التي تبتلع الاسماك الصغيرة ، ومن قبل قال الشاعر :

إنّ مَنْ كان ضعيفا   أكلته الأقوياء

وتبنت العولمة شعار « الانسانية » و « الأسرة العالمية الواحدة » لقيام مجتمع جديد تذوب فيه الفوارق القومية والوطنية والدينية أي جعل العالم واحدا لتسود فيه العدالة والمساواة والإخاء . وظن بعضهم أن هذا لن يتحقق إلا في ظل «العولمة» مع أن الديانات السماوية والقوانين الوضعية أكدت هذا الجانب وجعلت المواطنين متساوين في الحقوق والواجبات .

لقد كَرّم الله ــ سبحانه وتعالى ــ الانسان وقال : « ولقد كرّمنا بني آدمَ وحَمَلْناهم في البرّ والبحْرِ ورزقناهم من الطّيباتِ وفَضّلْناهم على كثيرٍ مِمَنْ خلقْنا تَفضيلا » (الإسراء ٧٠) .

وجعل الانسان خليفةً في الارض ليحيا حياة حرة كريمة فقال عزّ مِنْ قائل :« يا أيّها الناسُ إنا خلقناكم من ذَكَرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائِلَ لتعارَفوا إنّ أكرَمكُم عند اللهِ أتقاكم» (الحجرات١٣) ولم يجعلهم شعبا واحدا لئلا تتعطل القدرات وتتحكم فيهم قوى العدوان ، وتعسف الحكام .

من هنا كانت البداية وهي بداية تُفضي الى خطوات أخرى :

أولا : سيطرة القطب الواحد على العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي •
ثانيا : القضاء على الوطنية والقومية ، لأن دعاة العولمة يريدون مجتمعا موحدا تكون السيطرة لهم عليه ، ومعنى هذا أن الدولة التي تتبنى العولمة تفقد سيادتها ، وتكون تابعا يدور في فلك الرأسمالية العالمية وشركاتها الاحتكارية •

وتذوب الشخصية القومية في الأممية التي نادت بها الشيوعية من قبل ، وما دعت اليه الماسونية من الانسانية والإخاء •

ثالثا : مسخ الثقافات القومية وسيطرة ثقافة العولمة ، وبذلك تفقد الأمة هويتها الثقافية التي تنبع من واقعها ، على أن تنتفع بالثقافات الاخرى التي لا تتقاطع مع ثقافتها وتوجهاتها الفكرية ، لتظل أمة متميزة كما تميزت في ظل الاسلام •

رابعا : السيطرة على وسائل الاعلام والترويج للعولمة ، وقد نشطت الفضائيات في السنوات الاخيرة نشاطا كبيرا لشرح العولمة وما تجنيه الشعوب منها اقتصاديا وثقافيا وعلميا •

ولا يعني التصدي للعولمة الانغلاق على ثقافات الامم والشعوب الاخرى، لأن العولمة شيء والعالمية شيء آخر ، كما لا ينفي تعزيز الحوار بين الحضارات •

ان العولمة تهدد العرب والمسلمين ، حين تدعو الى الغاء الكيانات القومية والوطنية ، ومحو خصوصيات الامم والشعوب وشل طاقات الابداع وتعطيل القدرات العلمية لتظل الشعوب تحت سيطرتها تستهلك منتوجاتها بعد أن تغرق الاسواق ببضائع الشركات الكبرى التي لا تنافسها الصناعات الوطنية •

وتحقق ذلك بنشر الثقافة التي تمهد السبيل بوسائل اعلامها المختلفة ولا سيما القنوات الفضائية التي أخذت تدخل البيوت •

ان الثقافة مهمة ولكن الثقافة التي تروج لها العولمة ليست ما يضمن استقلال الشعوب الثقافي ، وانما ما يحقق أهدافها وتتبع في ذلك وسائل منها :

أولا : نشر الثقافة الموجهة لخدمة العولمة .

ثانيا : التشكيك بالثقافات القومية والوطنية ووصفها بالتخلف .

ثالثا : التشكيك بالعقيدة الدينية والدعوة الى وحدة الأديان ليعيش العالم في أمن وسلام .

رابعا : تشويه التقاليد والأعراف الاجتماعية ونشر أعراف في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب .

خامسا : التشكيك بقدرة اللغات القومية والوطنية وانكار دورها في استيعاب الحضارة الجديدة والتقدم العلمي الحديث .

سادسا : نشر اللغة الاجنبية بتقديم الجوائز وتكريم الناطقين بها لتحل محلّ اللغات القومية .

سابعا : اشاعة العامية وجعلها لغة الآداب والعلوم والفنون لانها لغة الشعوب المنطوقة . وهذا ما حاوله المستشرقون منذ مطلع القرن العشرين أمثال : ولهلم سبيتا ، وكارلو لندبرج (عمر السويدي) ، وكارل فولرس ، وولكوكس ، وسلدن ولمور ، وغيرهم من المنسوبين الى الارض العربية ، الذين قالوا ان الوطن العربي لن يتقدم ويزدهر ويلحق بالركب العالمي ما دام يستعمل لغة القرآن الكريم ، والخير كل الخير في هجرها والأخذ بالعامية .

ولم تؤتِ هذه الدعوة ثمرتها لان المخلصين من العرب والمسلمين وقفوا بوجه هذا التيار المريب وسقط القناع عن الوجوه الحاقدة ، ولم تصب القرآن الكريم ولغته المعجزة بشيء ، لأنه كما قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ « إنا نحن نزّلنا الذكرَ ، وإنا له لحافظون » (الحجر ٩) .

(٣)

ولكن هل انتهت الحملة الظالمة على لغة الذكر الحكيم ؟ إن أعداء الأمة ما يزالون يتربصون بها الدوائر ، ولا يزال الذين في قلوبهم مرض يتحينون

الفرص للقضاء على اللغة التي وحدت العرب وجمعت المسلمين على الخير والهدى وهم يقرأون القرآن الكريم صباح مساء •

وجاءت الفرصة في الاعوام الاخيرة ، واذا بدعاة العولمة يتنادون في كل واد ، واذا بهم يزينونها ويسيرون بخطى متتابعة بدأت بالاقتصاد والسياسة وثنّت بما يتبعها من ثقافة وعاؤها اللغة ، وقالوا ان الثقافة التي يدعون اليها لن تثمر اذا عبر عنها بالعربية ، لانها لغة ثقافة تخطاها العصر •

وصدّق هذا المخدوعون بسياسة القطب الواحد وأيدوه أما الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فلن يلينوا ، وسيظلون سدا منيعا يصد تحديات العولمة وهم معتصمون بحبل الله وكتابه العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين ، وكان معجزة كبرى تحدى الله به الأنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ان الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتنميتها لتستوعب المستجدات واجب كل عربي ومسلم ، ولا يكفي الاعتزاز بها فحسب ، وانما لابد من عمل مثمر متواصل ، ويتم ذلك بوسائل منها :

أولا : نشر الوعي اللغوي بوسائل الاعلام المختلفة ، وطبع الكتب والكراسات التي تبرز منزلة اللغة العربية وموقعها بين لغات العالم ، وأثرها في وحدة العرب وجمع المؤمنين •

ثانيا : اعادة النظر في مناهج تدريسها وتطبيق الطرائق الحديثة في تأليف الكتب وتدريسها •

ثالثا : تعريب التعليم في جميع مراحله ، لأن تلقي العلم باللغة الأم غير تلقيه بلغة أجنبية •

رابعا : مشاركة المجامع العربية واتحادها مشاركة فعالة في العناية باللغة العربية وتوحيد المصطلحات العلمية والالفاظ الحضارية •

خامسا : عقد المؤتمرات القومية والقطرية للوقوف على مسيرة تدريس اللغة العربية ، وتقديم المقترحات التي تحقق ازدهار العربية لتواكب العصر، وتستوعب المستجدات .

سادسا : اصدار تشريع يصون اللغة العربية كما فعل العراق حينما أصدر سنة ١٩٧٧ «قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية » الذي ألزم « الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية ، والمؤسسات ، والمصالح ، والشركات العامة ، وكذلك الجمعيات ، والنقابات ، والمنظمات الشعبية بالمحافظة على سلامة اللغة العربية، واعتمادها في وثائقها ، ومعاملاتها ، وكذلك بجعل اللغة العربية وافية بأغراضها القومية والحضارية » .

ويتجلى ذلك في :

أولا : التدريس باللغة العربية .

ثانيا : العناية بلغة الكتب ، والصحف ، والمجلات ، والنشرات .

ثالثا : الابتعاد عن العامية في الكتابة ، والسعي الى تقريبها من العربية الفصيحة .

رابعا : أن يحرر باللغة العربية :

١ ـ الوثائق ، والمذكرات ، والمكاتبات ، وغيرها من المحررات التي تقدم الى الدوائر الرسمية ، وشبه الرسمية .

٢ ـ السجلات ، والمحاضر ، وغيرها من المحررات التي يكون لممثلي الحكومة ، والمؤسسات الاطلاع عليها ، وتفتيشها .

٣ ـ العقود ، والايصالات ، والمكاتبات المتبادلة بين المؤسسات ، أو الجمعيات ، أو الشركات العامة ، أو بينها وبين الافراد .

٤ ـ اللافتات التي تضعها المؤسسات ، والمنظمات ، والجمعيات، والمحلات التجارية أو الصناعية على واجهات محالها.

خامسا : كتابة البيانات التجارية المتعلقة بأي سلعة تم انتاجها بالقطر العراقي بالعربية •

سادسا : تجنب استعمال المصطلحات الاجنبية إلا عند الضرورة ، ونص القانون ــ فيما يخص هذه الفقرة ــ على أن المجمع العلمي هو « المرجع الوحيد في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الاجهزة المعنية الرجوع اليها بشأنها » •

ولتنفيذ القانون صدر سنة ١٩٨٣م « قانون الهيئة العليا للعناية باللغة العربية » الذي نص على أن الهيئة تسعى الى تحقيق ما يأتي :

أولا : العناية باللغة العربية من جميع الوجوه بوصفها اللغة القومية للأمة العربية التي هي في مقدمة اللغات المستقلة الحية المتطورة المنتشرة على النطاق العالمي •

ثانيا : تيسير استعمال اللغة العربية لتعميم الاستفادة منها في الاغراض كافة، وفي الشؤون العلمية بوجه خاص •

ثالثا : المحافظة على أصالة اللغة العربية ، وجوهرها ، وسلامتها من الاخطاء، وخلوها من الألفاظ العامية والاجنبية •

وشرعت الوزارات ، والمؤسسات الثقافية ، والمراكز العلمية ، ووسائل الاعلام بتنفيذ القانون ، وبدأت الالفاظ الاجنبية ، والعلامات الصناعية ، والاسماء التجارية ، وأسماء الشركات والمحال تتغير ، وأخذ أصحاب المصالح يراجعون المجمع العلمي لاستحصال الموافقات على الاسماء والألفاظ التي يرغبون في استعمالها ، لأن الدوائر المختصة بشؤون قضاياهم لا تعطيهم اجازة إلا بعد موافقته الرسمية • وهذا ما يبشر بالخير ، حيث الوعي بأهمية اللغة العربية يزداد يوما بعد يوم ، وحيث الاعتزاز بها ، لأنها رمز استقلال الامة ، والحفاظ على هويتها فضلا عن أنها لغة الكتاب العزيز الذي نزل بلسان عربي مبين •

(٤)

ان اصدار قوانين في الاقطار العربية للحفاظ على سلامة لغة الضاد، وتشكيل هيئات قطرية تنفذ تلك القوانين لأمر ضروري في هذا الزمن الذي تتعرض فيه لغة القرآن الكريم ، للهجمات في السر والعلن ، وآخرها (العولمة) التي تحاول الهيمنة على العالم وتمحو ثقافات الشعوب الوطنية، وتُحجّم لغاتها القومية للوصول الى سيطرة لغة القطب الواحد .

لقد أدرك العراق مخاطر دعوات التضليل ، ولذلك شرّع قانونا يحمي اللغة العربية التي تعد من اللغات العالمية على مستوى هيئة الامم ، وعلى مستوى شعوب العالم ، ولا سيما المسلمون الذين يقرأون بها كتابهم العزيز ، ويؤدون بها الصلاة ، ويتواصلون بالعالم العربي وما لديه من حضارة عريقة، وثقافة أصيلة ، وايمان عميق بقَدَرِه ووجوده ، وهو يصارع الاستعمار والتبعية ، ويصد العدوان ، ويبني حاضرا مزدهرا ، ويستشرف مستقبلا ترفرف عليه راية الامن والسلام .

إن الامم والشعوب تناضل نضالا مشهودا للحفاظ على لغاتها الوطنية ، وهوياتها القومية ، واستقلالها الذي لايتم إلا بلغتها التي يرتبط بها أبناؤها ارتباطا وثيقا ، لأن اللغة هي القومية ، والقومية هي اللغة التي تكسبها الوجود .

وما الفرنكفونية التي تنادي بها فرنسة إلا مثل واضح على أهمية اللغة التي هي وسيلة نشر ثقافتها ، وقد أصدرت القوانين التي تحافظ على سلامة الفرنسية ، والعناية بألفاظها ، وتعويض الكلمات الاجنبية بأخرى فرنسية في المجالات المختلفة ، وهي تسعى بكل الوسائل الى نشرها ، وتقيم المؤسسات والهيئات واللجان العليا للدفاع عنها ، ومن أبرزها « المنظمة الدولية للفرنكفونية » التي نشطت في السنوات الاخيرة نشاطا ملحوظا من خلال أماناتها العامة التي تعقد المؤتمرات ، ومنها المؤتمر الذي عقد في باريس في أيار

٢٠٠٠م وحضره ممثلون من عدة أقطار ، وقدمت فيه دراسات رصدت « واقع حضور الثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي ، والثقافة الناطقة بالعربية في العالم الفرنكفوني» ، وتعرضت للوسائل « الكفيلة بتعزيز حضور الثقافة العربية ونشرها في العالم الفرنكفوني ، والثقافة الناطقة بالفرنسية في العالم العربي » وغير ذلك من الدراسات التي تعزز اللغة الفرنسية وثقافتها •

وكان من المؤمل أن تعقد الفرنكفونية قمتها في بيروت سنة ٢٠٠١م، لتكريس روح التعاون التي ظهرت في مؤتمر باريس ، ولِما تحمل الفرنكفونية في طياتها من مشروع تندرج فيه الثقافة والسياسة الى حد كبير • وتم لها ذلك في سنة ٢٠٠٢م وانتخب عبده ضيوف رئيس جمهورية السنغال ــ السابق ــ أمينا لها ، بعد أن انتهت مدة أمينها السابق بطرس غالي •

والخير كل الخير أن ينشيء العرب منظمة تُعنى باللغة العربية وتنشرها، وهي اللغة التي نطقت بها ألسنة الملايين في مشارق الارض ومغاربها ، واستوعبت العلوم والآداب والفنون ، لما فيها من ألفاظ كثيرة ، وأساليب متنوعة ، وقدرة على النماء • وإذا كان الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد حفظها في كتابه العزيز وقال : « إن علينا جَمْعَهُ وقرآنه » (القيامة ١٧) فلا يعني التواكل ، لأنها ستظل مهددة من أعداء الله والامة ، ففي كل عقد من الزمان تظهر بدعة ، وأحدثها « العولمة » التي تنفذ ما يخطط لها القطب الواحد . ولا يكفي أن تكون في الوطن العربي مجامع علمية ولغوية واتحاد يجمعها ، وانما ينبغي أن تقوم « منظمة دولية للغة العربية » تضع الخطط الكفيلة بالحفاظ على لغة القرآن الكريم ، وتنميتها ، ونشرها في العالم ، وأن يكون لها سلطان ونفوذ لتحقق أهدافها ، وبغير هذا لن يكون لها دور فاعل ، ولن يكتب لها النجاح في زمن كثرت فيه الاتجاهات ، وتصارعت الآراء ، وأصبح المؤمن بعقيدته وأمته كالقابض على الجمر في عالم يمور بكل عجيب غريب •

قصـــر الحمـــراء في غرناطـــة
ظاهـــرة معمـــارية متطورة في
فـــن عمـــارة القصور العربيـــة الاسلاميـــة

الدكتور طلعت اليـــاور
عضو المجمع العلمـــي
استاذ العمارة العربية الاسلامية

الملخـــص :

إن قصر الحمراء في غرناطة يعتبر من اشهر الاثار الباقيـــة حتى الان في الاندلس ، والذي يعتبر فخراً للعمارة العربية الاسلامية ومعجزة من معجزات الفن العربي الاسلامي العريق لما يحويه من اساليب فنية ومعمارية ، فبالاضافة الى تخطيطه المعماري فان زخارفه ونقوشه التي تزين جدرانه وسقوفه وساحاته هي الاخرى صفحة رائعة من صفحات الفن العربي الاسلامي في الانـــدلس . وذلك لان المرء يعجز لا محالة عن اعطاء وصف دقيق وصحيح وكامـــل لمـــا بلغته الحمراء من الجمال والكمال . كما انه ظفر من عنايـــة علمـــاء الاثـــار والشعراء والادباء بما لم يظفر به أي اثر آخر . وتمثل كتابات الشعراء عنصرا هاما من عناصر الزخرفة كالاشكال النباتية والهندسية ، كما نجد في كل مكان من الحمراء عبارة «ولا غالب الا الله» متكررة في الاشرطة والاطارات وهـــي كما هو معلوم شعار ملوك غرناطة .

تمهيـد :

مدينة غرناطة تعني بالاسبانية «الرمانة» ، ولغرناطة منزلة خاصة في نفوس العرب والمسلمين . وما زال التاريخ الانساني يذكر حضارة العرب فيها ، وما شادوه من عمائر ومساجد وقصور ما زالت حتى اليوم ، تعد من روائع الفنون دقة وجمالا .

وتنحصر منشآت غرناطة الاندلسية الرائعة في قسم المدينة الشرقي حيث تربض الحمراء ، التي هي بلا ريب اعظم الاثار الاندلسية الباقية . وهي لاتزال كما كانت منذ قرون تشرف بأبراجها العالية المنيعة من هضبتها على المدينة العربية الاسلاميـة القديمـة .

لم تكن غرناطة زمن الفتح العربي الاسلامي لها في عام ٧١٢م إلا ولاية صغيرة تابعة اداريا الى ولاية البيرة . واستقر الجند العرب في البيرة ولم ينزلوا في قرية غرناطة . ولكن غرناطة اخذت تنمو شيئا فشيئا منذ القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حيث اصبحت انذاك مدينة كبيرة . فلما سقطت قرطبة ، وعندما استولى البربر على انبيرة انتقل اهلها منها الى مدينة غرناطة وأصبحت حاضرة كورة البيرة ، ثم آخذ اسم غرناطة يسيطر تدريجيا على الكورة .

يرجع الفضل في انتعاش مدينة غرناطة الى بني زيري الصنهاجيين هما حبوس بن واكس ٤٩٠هـ ـ ٤٢٩هـ (١٠١٩م ـ ١٠٣٨) وابنه باديس حيث وضعوا اساس اسوار مدينة غرناطة وتحصيناتها ، وجعل مركزهم فوق الهضبة التي تقوم على تل يسمى « تل السبيكة » هو امتداد جنوبي من سلسلة جبال الثلج سيرا نيفادا . وظلت غرناطة عاصمة بربر صنهاجة حتى استولت عليها جيوش المرابطين عام ١٠٨٩م . ثم فتحها الموحدون عام ١١٤٩م . وفي نهاية عهدهم نجح ابن هود ملك بلنسية عام ١٢٣١م في ضم غرناطة آلى ملكه . وبعد وفاته عام ١٢٣٧م ضمها اليه محمد بن يوسف بن نصر الاحمر سيد حصون ارجونه وبسطة وشريش وحيان ومالقه وجعلها عاصمة مملكته .

ولكن ميلاد مدينة غرناطة الحقيقي يرجع الى القرن الثالث عشر ٦٣٥هـ ١٢٣٨م ، ذلك على أثر قيام دولة بني نصر حيث استطاع محمد بن يوسف بن الاحمر ان يشق لنفسه طريقا وسط المشاكل والفوضى التي كانت سائدة في الاندلس من تهدئة الامور وقيام مملكة صغيرة غرناطة التي استطاعت على امتداد قرنين ونصف من الزمان ان تقاوم هجوم الاسبان في الشمال •

ضمت مملكة غرناطة ايام بني الاحمر الطرف الجنوبي من الجزيرة الاندلسية الى البحر المتوسط ، حيث الجزيرة الخضراء وجبل طارق • ومن نورقة في ولاية مرسية شرقا الى البحر المتوسط ، ومن الشمال حتى قلعة يحصب الى شدونة في ولاية قادس غربا • وقد شملت ثلاث ولايات كبيرة ، ولاية غرناطة في الوسط وفيها العاصمة غرناطة وولاية المرية في الشرق ، وولاية مالقة في الجنوب والغرب[1] •

في هذا الوقت اخذت دويلات ملوك الطوائف تسقط الواحدة بعد الاخرى بيد الاسبان منها طليطلة اول قاعدة اسلامية تسقط في يد الاسبان سنة ١٠٨٥م وفي سنة ١٢٤٦م مملكة اشبيلية وبعد ذلك اصبحت غرناطة ملاذاً للمسلمين الاندلسيين الذين ارغموا على ترك اوطانهم في انحاء الاندلس[2] • التي استولى عليها المسيحيون الاسبان وبهم ربحت المملكة شعبا ممتازا ذا مستوى ثقافي وحضاري رفيع[3] عملت مجتمعة على نهضة مملكة غرناطة وانتعاشها من الناحية الثقافية والادبية والفنية حيث ازدهرت فيها فن العمارة والزخرفة بجميع اشكالها المختلفة • فقد اصبحت غرناطة في عهد بني نصر

---

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة في اخبار غرناطة جـ١ تحقيق محمد عبدالله عنان القاهرة ٩٥٥ ص ١١٥ — ١١٩ وانظر احمد عبدالله عنان الاثار الاندلسية ص ٥٥ •

(٢) خالد ، طارق ، المصدر السابق ص ١٠٩ .
وصقلية ص ٢٣ .

(٣) فون شاك ، ترجمة الطاهر احمد مكي ، الفن العربي في اسبانيا

مدينة مليئة بالابنية الفخمة عامرة بالقصور ، كقصر جنة العريف ، الا ان ابدع هذه القصور جميعا هو قصر الحمراء[٤] .

قصر الحمراء :

هناك عدة آراء حول تسمية الحمراء منها مـن الباحثين من قال إنهـا سميت كذلك لان اللون الاحمر كان يكسو جدرانهـا[٥] . ومنهـم من قال السبب هو لون التربة التي اقيمت عليها يميل الى الاحمرار[٦] . وهناك فريق آخر يعتقد ان هذا لون الاجر يميل الى اللون الاحمر الذي بنيت به الاسوار الخارجية . وكذلك القصر ومرافقه قد غلب عليه اللون الاحمر . وهناك رأي ضعيف مفاده ان ابن الاحمر مؤسس النصرية هـو الذي اطلق عليـه هـذا الاسم او الى نضارة وجه المؤسس واحمرار شعره او انـه اشقر[٧] . وقـد اشارت رواية اندلسية الى قلعة تسمى قلعة الحمراء بنيت فوق الهضبة الواقعة على ضفة نهر حدرّة اليسرى ، ثم لما تولى باديس بن حبوس حكم غـرناطة أنشأ سوراً حول هذه الهضبة وأنشأ داخل الســور قصراً سمـي بالقصبـة الحمـراء[٨].

إن هذا القصر الذي لا يزال حتى الوقت الحاضر يحتفظ بطابعه العربي الاسلامي الاصيل الذي يعتبر من اغرب الظواهر المعمارية في الاندلس وقد ظفر من عناية علماء الاثار والشعراء والادباء بما لم يظفر به اي أثر آخر . وهو يعتبر من أروع ما وصل اليه التراث المعماري العربي الاسلامي في الاندلس الذي يعود

---

(٤) ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١١٥ – ١١٩ .
(٥) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٥٦ .
(٦) بول ستانلي ، قصة العرب في اسبانيا تعريب علي الحازم بـك ، مطبعـة المعارف ٩٢٤ ص ١٨٦ .
(٧) الحمصي ، المصدر السابق ص ٤٣ .
(٨) ابن زمرك ، المصدر السابق ص ٢٥ .

اكتمال مراحل بناء منشآته الى عصور ثلاثة سلاطين لا سيما بعد ان ثبتت اسماؤهم من خلال الاشعار والنصوص الكتابيـة على جدران القصر وهم ابـو الوليد اسماعيل وابنه الحجاج يوسف سابع ملوك بني نصر الذي في عهده تم الانشاء الحقيقي لمباني الحمراء في القرن الثامن الهجري /١٤م • واخيراً على يد محمد الملقب بالغني بالله ، الذي اكمل ما بناه ابوه واضاف منشآت جديدة •

ابـواب القصـر : (شكل ــ ١)

يتم الولوج الى داخل القصر من خـلال بوابتين الاولى تعرف باسم باب الشريعة ثم باب الحمراء الذي عرف فيما بعد باسم باب الخمر تحريفا وتشويها من قبل الاسبان •

اما بالنسبة لبـاب الشريعة اول ابـواب الحمراء وهو مدخلهـا الرئيسي الذي يبلغ ارتفاعه خمسة عشر متراً • ويتوج قوسه نص كتابي من سطـرين كتب بخط مغربي يذكر اسم بانيه وتاريـخ انشاءه « أمر ببنـاء هذا البـاب المسمى بباب الشريعة أسعدالله به شريعة الاسلام ، كما جعله فخـراً باقياً على الايام ، مولانا امير المؤمنين السلطان المجاهد العادل ابو الحجاج يوسف بـن مولانا امير المؤمنين السلطان المجاهد المقدس ابو الوليد بن نصر كافأ الله في الاسلام صنائعه الزاكية وتقبل اعماله الجهادية شيد ذلك في شهـر المـولد المعظم من عام تسعة واربعـين وسبعمائة جعلـه الله عزة راقيـة وكتبـه في الاعمال الصالحة الباقية »[٩] •

ويفيدنا هذا النص ان سلاطين غرناطة كانوا اذا عزموا على تشييد بناء جعلوا للجانب الديني او العقائدي مكانا في اسم هذا البناء كالذي نلاحظـه في اسم باب الشريعة • ومن مناسبة تشييده الذي صادف في شهر المولد المعظم ، وواضح انه اراد به مولد الرسول الاعظم ــ صلى الله عليه وسلم ــ يضـاف الى ان قضاة الاندلس كانوا يتخذون مجالسهم عند هذا الباب لينظروا فـي

---

(٩) محمد عبدالله عنان ، في الاثار الاندلسية في اسبانيا والبرتغـال ، ١٩٦١ ص ١٨٦ .

قضايا المسلمين ويفصلوا فيها[١٠] والى جوار هذا النص نجد طلسما يمثل كفاً مفتوحة بجواره صورة مفتاح وحول هذا الطلسم تدور قصص لا تخلو من طرافة فالكف يرمز للقوة والبطش وهو بأصابعه الخمسة يشير فيما يحتمل الى قواعد الاسلام الخمسة . وان المفتاح فهو شعار اهل الاندلس كانوا يرسمونه على اعلامهم .

ويلي باب الشريعة باب الحمراء ويعرف اليوم باسم باب الخمر ، ان هذه التسمية الاخيرة ظهرت وشاع استخدامها بعد انتهاء حكم العرب المسلمين في غرناطة ، ومما هو جدير بالذكر ان هناك عددا من الاسماء تطلق اليوم على اجزاء من الحمراء وهي اسماء حديثة اضيفت الى مبانيه وربما أراد الاسبان الى تغيير اشياء جذرية كتحويل المسجد الى كنيسة وهدم شارلكان اجزاء مهمة من قصر الحمراء ليشيد مكانها قصوره . فليس غريبا ان يوضع مثل هذا الاسم الذي لايناسب الشرع الاسلامي .

وتتميز واجهة المدخل بالبساطة حيث زينت بعناصر نباتية بسيطة نفذت حول كوشتى العقد . ويلاحظ في الصنجة الوسطى لعقد هذا المدخل طلسم آخر يمثل مفتاح منقوش . وفي اعلاه نص كتابي يتضمن تاريخ انشائه واسم السلطان الغني بالله بن السلطان أبي الحجاج . اما بالنسبة الى الواجهة الداخلية لهذا المدخل فقد نفذت عليه عناصر زخرفية كثيرة وتتميز بأنها دقيقة .

ومن خلال دراسة تخطيط قصر الحمراء يتضح أن اجزاء كثيرة من مبانيه لاتكون وحدة متكاملة حيث بنيت من دون تخطيط مسبق خلال حكم بني الاحمر . كما ان تصميمه يعطيه صفة رسمية مبالغا فيه وهو من نوع المدنية الملكية[١١] .

---

(١٠) العبيدي ، صلاح ، قصر الحمراء ص ٤٤٣ .

(١١) سعد زغلول ،العمارة والفنون في دولة الاسلام ، ص ٥٢٣ .

إن عدم انتظام التصميم يؤكد من غير شك أن التخطيط لم يكن كذلك في اول نشأته . وقد اكتمل هذا القصر على صورته الحالية بعد عدة عمليات لتوسيعه واضافات حدثت في فترات متعاقبة الى مجموعاته .

وأهم ما يلاحظ في مباني الحمراء هو ان عددا قليلا جدا من القاعات والابهاء يمكن الوقوف على الغرض الذي انشيء من اجله من الناحية العمارية، أذ يبدو انفصال عبيب وقع بين المبنى والوظيفة التي كان يؤديها . وفي هذه النقطة يمثل قصر الحمراء ظاهرة معمارية تنطبق على العالم العربي والاسلامي، اذ ترجع اصول طريقة الاضافات هذه الى بعض الابنية في سامراء (بلكوارم) والقاهرة وإن هذه الاضافات كانت تخدم اغراضا شتى من قاعات استقبال الى الوان مختلفة من التسلية[١٢] .

وعلى الرغم من ان التصميم المعماري لقصور الحمراء ليست بجديدة على العمارة العربية في الاندلس ، فانها بنيت على طراز المباني في المشرق الاسلامي من الناحية المعمارية ، الا ان المعمار والفنان استطاع ان يبتكر ويبدع ويخرج فناً له شخصيته المتميزة التي صارت علما انفرد به[١٣] . وان هذه القصور اي قصور الحمراء فيها حدائق اقيمت بشكل فني على سطح الجبل . وتعتبر هذه الحدائق جزءا من تقليد اسلامي يمتد حتى العراق وايران[١٤] .

وقد كانت الغاية في قصور الحمراء آن يجتمع فيه السمو والزخرفة لاضافة مزيد من الغموض والتعقيد على صورة هذا القصر ، فهو لم يكن مجرد استمرار لمزاج نفسي في بناء القصور يمتد الى القصور الاولى من المنطقة العربية بل هو استحضار واع للحس الاسطوري في القصور[١٥] . إنها

---

(١٢) اوليجا جرابار، تراث الاسلام جـ١ ط ٢٠ سنة ١٩٨٨ ص ٣٨٨ .

(١٣) عبدالعزيز ، محمد ، مجلة المتحف ، الكويت سنة ١٩٨٨ ص ٢٤ .

(١٤) اوليج ، المصدر السابق ص ٣٨٧ .

(١٥) عطية ، عامر ، تحقيق لمع الادلة في اصول النحو لابي بركات كمال الدين الانباري ص ٩٣٨ .

في الواقع اسطورة القوة والثروة التي كانوا بحاجة اليهـا لتعزيـز النشاط الثقـافي .

إن قصور الحمراء في مجموعها تتكون من الناحية المعمارية من مجموعات من الابنية تحيط كل مجموعة منها ببهو مكشوف فيه بركة او نافورة[١٦] .

القصور واقسامها : (شكل ـ ١)

الباقي من قصور الحمراء لا يصـل الى نصف ما كانت عليه[١٧] ، فقـد طرأ عليها تغييرات عديدة عبر العصور منذ سقوط غرناطة وقـد فقدت الكثير من طابعها الاصيل وكادت تزول[١٨] . حيث تعرضت لكثـير مـن التغيير والتبديل . وهدمت مساحات كبيرة واقيمت في مكانها مباني اخـرى ، فقـد أقدم شارل الخامس الذي هدم مجموعة المباني الجنوبية بحـوش الـريحان في القرن السادس عشر الميلادي لكي يقيم قصره الدائري الكبير . والمساحـة التي يشغلها الان كانت تقوم عليها قصور عربية . والقصور بمجموعها كانت تتكون من ثلاث مجاميع معمارية . وفي الجنوب مدافن الامراء وجامع القصر وهو الان كنيسة .

اولا : المجموعة الاولى :

وتشمل قاعة المشور وبجوارها (القاعة الذهبية) والبهو المسمى بالبهـو المذهب وسطه نافورة . ومشوار الحمـراء كان مخصصا لاجتمـاع السلاطين برعاياهم ، ويذكر ابن فضل الله العمري ان السلطان كان يعقد للناس فيه يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع . وكان يحضر هذا المجلس معـه اولاده ونفر من قرابته ورجال حاشيته . لقد تغيرت معالم هذا الجزء من القصر في الـوقت الحاضر ، لان الذيـن استولوا على الحمـراء من الاسبان حولـوا المشور الى

---

(١٦) مؤنس حسين ، مجلة العربي ، الكويت ص ١٥ .
(١٧) مؤنس ، المصدر السابق ص ٦٤ .
(١٨) خالد ، طارق ، المصدر السابق ص ١١٢ .

كنيسة في القرن السابع عشر الميلادي[١٩] . فأزالوا القبة وأزالوا كل قطع القراميد (القاشاني) التي كانت تزين جدران هذه القاعة . وعلى الرغم من التغيير الذي اصاب هذا الجزء من قصر الحمراء فلا يزال يحتفظ بسماته العربية المتمثلة في زخارفه الجصية العربية وفي فسيفسائه وفي شعار بني الاحمر . نجد في هذه القاعة بعض الاشعار العربية نقشت على جدران الحمراء وأعمدتها ومطلع القصيدة يصف فيها قاعة المشور هي :

به البهو قد حاز البهاء وقد غدا	به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم خله حللته بحليها	من الوشي تنسى السابرى اليمانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت	على عمد بالنور بانت حواليا
فتحسبها الافلاك دارت قسيها	تظل عمود الصبح إذ لاح باديا
سواري قد جاءت بكل غريبة	فطارت بها الامثال تجري سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره	فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
اذا ما اضاءت بالشعاع تخالها	على عظم الاجرام منها لآليا[٢٠]

وخلف قاعة المشور يوجد المصلى الذي لايزال حتى اليوم يحتفظ بمحراب جميل تتوجه عبارة مكتوبة بخط كوفي نصها « اقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين »[٢١] .

ومن هذه الابيات يمكن أن نستنتج ان القاعة (قاعة المشور) عند تشييدها كانت فيها قبة تقوم على عمد من المرمر . ويقع خلف هذه القاعة الكبرى مصلى صغير باتجاه القبلة الذي لايزال يحتفظ حتى اليوم بمحراب جميل تتوجه عبارة مكتوبة بخط كوفي جميل نصها « اقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين[٢٢] .

---

(١٩) مرزوق ، عبدالعزيز ، قصر الحمراء ، المكتبة الثقافية ، ١٩٦٣ ص٤١.
(٢٠) مؤنس ، حسين ، رحلة الاندلس ص ١٨٥ .
(٢١) مرزوق المصدر السابق ص ٤٥ .
(٢٢) مرزوق ، المصدر السابق ص ٤٢ .

والى اليمين من قاعة المشور والمصلى تقع ساحة تعرف باسم ساحة المسجد او ساحة المشور وهي صغيرة اذا ما قيست بغيرها من ساحات القصر وتتوسط الساحة نافورة صغيرة والى الشمال من هذه الساحة سقيفة تتقدم قاعة يطلق عليها القاعة الذهبية وهي تسمية حديثة وقد استمدته من الزخارف المذهبة التي كانت تزدان بها (وأغلب الظن ان هذه القاعة قد خصصت لموظفي القصر ومساعدي السلطان في ادارة شؤون المملكة .

والى الجنوب من ساحة المسجد يوجد بابان توأمان يؤدي الايسر منهما الى قاعة صغيرة تؤدي الى ساحة الريحان او ساحة البركة . والباب الايمن يفضي الى المدخل الاصلي للقصر وقد سدت معالمه الان ، وفوق هذين البابين حفرت ابيات من الاشعار :

منصبي تاج وبابي ومفرق	يحسد المغرب في المشرق
والغني بالله اوصاني ان	اشرع الفتح لفتح يطرق
فأنا منتظر طلعته	قبل ما يبدي الصباح الافق
احسن الله الصنع كما	حسن الخلق له والخلق

ثانياً : المجموعة الثانية :

يعرف بـ بهو الريحان وهو يشمل ساحة البركة وقاعة البركة ثم قاعة العرش عليها أيضا قاعة السفراء . وهذا القسم محتفظ الى حد كبير بتصميمه القديم ويكاد يكون مستقلا بذاته عن القسم السابق عليه .

ان ساحة البركة سميت بذلك لوجود بركة كبيرة تتوسطه وهي بركة من الماء وتظلله اشجار الريحان وتزدان الجدران المحيطة بهذه الساحة (ساحة البركة) بزخرفة في غاية الجمال ولم يبق منها الا القليل . والى جانب هذه الزخرفة نقشت كلمات وابيات من الشعر . ومن الكلمات « السعادة » « والبركة » « والازدهار » « والصحة والعافية » « والحمد لله على نعمة الاسلام » .

والى جانب هذه الكلمات نقشت ابيات من الشعر لابن زمرك على الافريز الرخامي في القاعة الشمالية وهي :

تبارك من ولا امر عباده	فأولا بك الاسلام فضلا وانعما
فكم بلدة الكفر صبحت اهلها	وامسيت في اعمارها متحكما
وطوقتهم طوق الاساور فأصبحوا	ببابك ينون القصور تخدما
وفتحت بالسيف الجزيرة عنوة	ففتحت بابا كان للنصر مبهما
ومن قبلها استفتحت عشرين معقلا	وصيرت ما فيها لجيشك مغنما
فلو خير الاسلام فيما يُريده	لما اختار الا ان يعيش وتسلما
طلعت بأفق المالكية رحمة	ليجلو ما قد كان بالظلم اظلما
فأمنت حتى الغصن من نفحةالصبا	وارهبت حتى النجم في كبد السما
فان رعشت زهر اللجوم فخيفة	وان مال غصن البان شكرك يمما

وقد نقشت فوق الابيات المذكورة وتحتها عبارة ولا غالب الا الله بتكرار(٢٤) .

وهذه النقوش الكتابية وهي للتحية او تمثل شعار بني نصر وهي مكتوبة بالخط الكوفي حين ان الآيات القرآنية وابيات الشعر نقشت في خط الرقعة(٢٥) .

والى شمال ساحة الريحان تقع قاعة البركة . وعند كل من طرفيها الشمالي والجنوبي سقيفة تتكون من عقود غاية في الدقة والجمال . وهذه العقود تقوم على ثمانية اعمدة رخامية رشيقة ، يتوسطها عقد كبير ، ويوجد على جانبيه حنية صغيرة ذات عقد صغير من الرخام تزينه ابيات من شعر ابن زمرك قالها بمناسبة المولد النبوي ، وقد نقش في الحنية الابيات التالية :

---

(٢٣) مرزوق ، المصدر السابق ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(٢٤) عنان ، محمد عبدالله ، الاثار الاندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال ط٢ سنة ١٩٦١ ص ١٩٤ .

(٢٥) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٦١ .

انــــا محــــلاة عــروس ذات حســـــن وكمـــال
فانظــر الابــريق تعــرف فضــل صدقــي في مقــال
واعتبــر تاجــي تجــده مشبهـــا تــاج الهــلال
وابــن نصر شمس ملـــك في ضيـــاء وجمـــال
دام في رفعـــة شـــان امنـــا وقـت الزوال [26]

وفي الحنية اليسرى نقرأ :

وانــا فخـــر لصـــلاة سمته سمـت السعــاده
تحســب الابريــق فيهـــا قائمــا يقضـــي عبـــاده
كلمـــا يفــرغ منهـــا وجــدت فيــه الاعــادة

واذا اخذنا في الاعتبار هذه الاشعار التي تزين الحنيتين تتحدث عن الاباريق نستطيع ان نستنتج ان كلتا الحنيتين كانت معدة لوضع الاباريــق المملوءة بالماء المعد للوضوء ، وليست كما يعتقد بعض الاوربيين انها كــانت معدة لوضع الاحذية فيها بعد خلعها تهيأ للدخول الى قاعة العرش التي تلـي هذه القاعة[27] .

وتقضي قاعــة البركة من بابها الشمالي الى بــرج يعرف ببــرج قمارش تقع بداخله قاعة العرش او قاعة السفراء او قاعة الحنايا او قاعــة قمارش او قاعات قماريات ، وهذه القاعة يعلوها عقدان بينهما قبو ، وقد نقشت في عقد باب القاعة العبارة الاتية : « الحمد لله على نعمــة الاســلام وعز لمــولانا ابو الحجاج عز نصره » .

وعلى جانب هذا القبو من الداخل حنيتان مثل اللتين في قاعة البركــة ، كما تزين الحنية اليمنى والحنية اليسرى ابيات من الشعر ، ففي الحنيــة اليمنى الابيــات الاتيــة :

---

(٢٦) عنان ، المصدر السابق ص ١٩٤ ، ومرزوق المصدر السابق ص ٩٣ .
(٢٧) مرزوق ، المصدر السابق ص ٥٣ ، انظر فان شاك ص ١٠٨ .

فقت الحسان بحليتي وتاجي ... وهوت الى الشهب في الابراج
يبدو إناء الماء فيّ كعابد ... في قبلة المحراب قام يناجي
ضمنت على سر الزمان مكارمي ... رمى الاوام وحاجة المحتاج
فكأنني استقريت اثار الندى ... من كف مولانا ابن الحجاج
لا زال بدرا في سمائي لائحا ... ما لاح بدر في الظلام الداجي

وفي الحنية اليسرى الابيات الاتية :

رقمت انامل صانعي ديباج ... عن بعد ما نظمت جواهر تاجي
وحكيت كرسي العروس وزدته ... اني ضمنت سعادة الازواج
من جاءني يشكو الظمأ فموردي ... صرف الزلال العذب دون مزاج

ان التسميات الثلاث التي اطلقت على هذه القاعة تدعو الى تحليل هذه هذه التسميات • يرجح انها مستمدة من طبيعة القاعة نفسها وما تزينها من نقوش وزخارف وعناصر معمارية مختلفة • فهي قاعة العرش لان عرش سلاطين بني الاحمر كانوا فيها كما تدل على ذلك أبيات الشعر التي تزين القاعة المذكورة وهي قاعة السفراء لان سفراء الدول الاجنبية كانوا يستقبلون فيها وهي قاعة الحنايا لكثرة ما بها من الحنايا • وهي قاعة قمارش او قاعة القماريات ، وهي المناور الصغيرة المزينة بالزجاج الملون[٢٨] •

اما قاعة السفراء فهي اكبر قاعات الحمراء وافخمها لسعتها وارتفاع سقفها الذي حفرت زخارفها على شكل نجوم • وتشرف هذه القاعة على حافة الهضبة بشرفات ذات اقواس تقوم على عمد من الرخام • فالقاعة مربعة الشكل• وكل جانب من جوانبها ٩م وعلو جدرانها ١٨م وسقفها تعلوه قبة خشبية صغيرة تزينها[٢٩] زخارف هندسية شتى واشكال نجوم وتعد زخارف هذه القبة من اروع ما في قاعة السفراء • وللقاعة تسع نوافذ ثلاث من كل جهة • اما الجهة الرابعة فمقفلة لانها تحاذي قاعة السفينة • ان هذه النوافذ تشبه غرفا

---

(٢٨) مؤنس ، رحلة الاندلس ص ١٨٩ ومرزوق ، قصر الحمراء ص ٥٤ .
(٢٩) يوسف شرالف ، آفاق عربية عدد ٨ نيسان ١٩٧٦ ص ٦١.

حقيقية لان كل واحدة منها لا تقل عن ثلاثة امتار طولا وتسعة امتار ارتفـاعاً والثلاث الوسطى من النوافذ مزدوجة مقطعة بأعمدة صغيرة واقــواس[٣٠] . وفي اسفل جدرانها تزدان بنقوش شتى غاية في الابداع حيث نرى القــراميد المختلفة الالوان من اسفل والنقوش الزخرفية الجصية من اعلى التــي تبــدو كأنها قطع ذهبية او رخامية محفورة بدقة واتقان[٣١] . وقد نقش في عقد باب هذه القاعة وفي بعض جوانبه ، عبارات الحمد وابيات شعرية مختلفة بالاضافة الى شعار بني نصر «ولا غالب الا الله » هذا الشعار الذي تكرر نفسه بشكل شامل ومنتظم في الزخارف الجصية[٣٢] . وقد بلغت الزخرفة الجصيــة في هذه القاعة غاية نضجها فقد نقشت جدرانها بنقوش متغايرة غاية في الابداع . وعلى الرغم من ان العناصر الزخرفية التي استعملت محدودة الا ان الفنان استطاع ان يجعلها تبدو كما لو كانت مختلفة غير مكررة وتخالها نقشا متطابقا .

ومما يؤسف له ... ان جنود نابليون قلعوا قطعا كثيرة مــن الموزائيــك ونقلوها الى فرنسا كتذكار لزيارتهم الى قصر الحمراء ، فتركوا بعض الجدران خاليــة من الزخارف[٣٣] .

ومن نقوش قاعة الاستقبال يجدر بنا ان نشير الى الشعــر الجميــل الذي كان يزين الحنية في الجانب الشمالي في مواجهة عقد المدخل حيث كــان العرش الذي يقول فيه الشاعر :

نحييك من حين تصبح او تمســي	تغور المنى واليمن والسعد والانس
هي القبــة العليــا ونحــن بناتها	ولكن لي الفضل والعز في جنس
جوارح كنت القلب لا شك بينها	وفي القلب تبدو قوة الروح والنفس
وان كان اشكاني بروح سمائهــا	ففي عــدا ما بينها شرف الشمس

---

(٣٠) يوسف ، المصدر السابق ص ٦١ .
(٣١) طارق ، المصدر السابق ص ١١٦ .
(٣٢) ابن زمرك ، ص ٣٢ .
(٣٣) جواد ، المصدر السابق ص ٧١ .

كساني مولاي المؤيد يوسف ملابس فخر واصطناع بلا لبس
وسيّرني كرسيّ ملك فأبدت علاء بحق النور والعرش والكرسي[٣٤]

ومن ساحة الريحان يفضي الداخل الى قاعة اخرى تعرف **بقاعة المقرنص** او « المقربص » وهي غنية بزخارفها التي تعد أروع ما ابتكره الفنان • ولهذه القاعة ثلاثة مداخل تفضي الى ساحة الاسود او بهو الاسود •

ثالثاً : بهو السباع او ساحة الاسود : ـ

وهي الساحة التي لا يقل شهرتها واهميتها عن بهو الريحان هي ساحة السباع مع النافورة الجميلة التي اعطت هذا المكان اسمه وقد قام بانشاء هذه الساحة السلطان محمد الغني بالله وقد نقش اسمه في مواضع كثيرة ، كما تدل على ذلك النقوش الكتابية التي تزين الجدران• وهو القصر الخاص بسكنى السلاطين ، ويعتبر اشهر اجنحة قصر الحمراء واجملها • وهو عبارة عن ساحة مستطيلة الشكل مكشوفة في وسطها نافورة الماء (بركة الماء) الشهيرة التي يحملها حوضها المرمري المستدير الضخم قطرها ٥ر١٠ قدم ، وعمقها قدمان[٣٥] ، ويدور حول حافتها العليا من الخارج نقش كتابي عبارة عن ابيات الشعر من نظم ابن زمرك فيقول :

تبارك من اعطى الامام محمداً مغاني زانت بالجمال مغانيا
والا فهذا الروض فيه بدايع الى الله ان يلقى لها الحسن ثانيا
ومنحوتة من لؤلؤ شق نورها تحلى بمرفض الجمان النواعيا
يذوب لجين سال من جواهر غدا مثلها في الحسن ابيض صافيا
تشابه جار للعيون بجامد فلم ندر أيا منهما : كان جاريا

ويحمل هذا الحوض اثنا عشر اسدا صفت هذه الاسود على شكل دائرة منحوتة من الرخام الابيض ينقصها الاتقان في النحت ، يخرج الماء من افواهها

---

(٣٤) عنان ، المصدر السابق ص ١٩٧ ومرزوق ، المصدر السابق ص ٥٧ـ٥٨ وفان شاك المصدر السابق ص ١٦٩ •
(٣٥) محرز ، المصدر السابق ص ٩٥ـ٩٦ •

لتصب في اربعة جداول متقاطعة تنساب في مجاري لتنتهي اثنتان منهما في نافورتين صغيرتين داخل القاعتين (اي قاعة بني سراج وقاعة الاختين) • أما الجدولان الاخران ينتهيان بنافورتين في صحن ساحة السباع[٣٦] • وليس ابلغ من وصف شوقي لهذه الساحة البديعة :

وترى مجلس السباع خلاء ... مقفر القاع من ظباء وخنس
لا الثريا ولا جواري الثريا ... ينزلن فيه اقمار انس
مرمر قامت الاسود عليه ... كله الظفر لبنات المجس
تنثر الماء من الحياض جمانا ... يتنزى على ترائب ملس

الى آخر القصيدة[٣٧] •

ويصل الماء الى قصر الحمراء من نهر حدرة وهو عمل هندسي رائع يدل على براعة المهندسين المسلمين ، اذ استطاعوا ان يرفعوا الماء من اسفل الى قمته[٣٨] •

ويحيط بساحة الاسود من جوانبها الاربعة اروقة ذات اعمدة رخامية رفيعة تعتبر مثالا للرشاقة والجمال في فنون العمارة • ويبلغ عدد هذه الاعمدة ١٢٤ عمودا موزعا حوله مفردة ومزدوجة تحمل اقواسا حدوية ومفصصة[٣٩]• وتيجان هذه الاعمدة تحمل كتابات تعود الى محمد الخامس ، كما ان اقواس الاروقة غطيت بالزخرفة الجصية المعقدة التي امتازت بها قصور الحمراء وهي عبارة عن كتابات واشكال هندسية •

ويلاحظ ان الفنان استطاع التمويه عن الوظيفة الاساسية للاعمدة والاقواس وهو القدرة على الجمع بين الناحية الجمالية والناحية العملية في البناء ، أي تحويلها من عناصر عمارية بحتة الى عناصر زخرفية وذلك عن طريق

---

(٣٦) وجدان ، علي بن نايف ، الامويون ، العباسيون ، الاندلسيون ص ١٩٧.
(٣٧) محرز ، المصدر السابق ص ٩٦ •
(٣٨) خالد ، المصدر السابق ص ١٥٠•
(٣٩) وجدان ، المصدر السابق ص ١٩٦ وانظر محرز، المصدر السابق ص٩٧•

التلاعب بفتحة القوس ورفعه الى ارتفاع اعلى من المعتاد فيبدو كأنه معلق في الهواء .

وفي الجانبين القصيرين تبرز سقيفتان (شكل ٧) مقبيتان على هيئة كشك الى الساحة بشكل يتجلى فيه التناسق والتناسب يحملها اعمدة ذات عقود رشيقة ذات تيجان مزينة بنقوش كتابية ومزخرفة بالجص المخرم وكأنه الدانتيلا مما يزيد في شفافيته ونعومة مظهره . ومن خلف هذين الجوسقان والاعمدة المقامة حول الفناء رواق (ممر) عرضه ٥ر٧ قدما ، يدور حول الساحة من جهاته الاربع ، حيث تقوم اربع غرف رئيسة . اثنتان منها بكل من الضلعين الكبيرين تسمى احداهما قاعة بني سراج والثانية تسمى بقاعة الاختين . اما القاعتان الجانبيتان للساحة شمالا وجنوبا فهما من اروع ما اجاد به فن العمارة العربية الاسلامية في الاندلس .

قاعة بني سراج :

ان هذه التسمية جاءت نسبة الى احدى الاسر العربية التي سكنت غرناطة التي كان لها دور هام في تاريخ غرناطة الاخير .

وجدران القاعة المربعة مؤلفة من حنايا ترتكز على اعمدة منحوتة من المرمر ذات تيجان زرقاء اللون غاية في الجمال والاتقان[٤٠] ، وقواعد مزينة بالقراميد اضيفت الى القاعة بتأريخ لاحق . والقاعة غنية بزخارفها المقرنصة والنقوش النباتية والكتابات العربية المنمقة حفرت على الجص . ويعلو القاعة قبة غنية بزخارفها المقرنصة والنقوش . ويوجد في القاعة ست عشرة نافذة وهي التي تزود القاعة بالضوء . والجدير بالذكر ان النوافذ في قصر الحمراء تقع على مقربة من الارض لان الاندلسيين مثل باقي العرب كانوا يجلسون على الدواوين المنخفضة ويتكئون على المخدات ، وكون المخدات منخفضة العلو يمكنهم من مشاهدة المناظر الخارجية وهم جلوس في أماكنهم . كما يوجد في وسط ارضيتها حوض مستدير من الرخام الابيض تتخلله عروق حمراء

---

(٤٠) مرزوق ، المصدر السابق ص ٧٣ .

يظنها بعض الناس انها دماء بني سراج التي اريقت في هذه القاعة . وتغطى هذه القاعة قبة مضلعة الشكل وهي على شكل نجم مغطى بالمقرنصات والنقوش النباتية والكتابات العربية المنمقة وقد نقشت في دائرة القبة الوسطى « ولا غالب إلا الله » بالخط الكوفي والنسخي ، ويزين جدران القاعة بعض ابيات من نظم ابن زمرك ففي دائرتين بالجهة اليمنى واليسرى نقرأ :

فتحسبها الافلاك دارت قسيها   تظل عمود الصبح اذ لاح باديا

وفي الصدر :

فبيت له خنس الثريا معيذة   ويصبح مثل النواسيم رواقيا

وهناك رواية تقول ان السلطان الغالب بالله قتل بني سراج جميعا في هذه القاعة ولهذا سميت بهذا الاسم وهذه الرواية لاتستند الى الحقائق التاريخية الثابتة[٤١] .

واما القاعة الشمالية المقابلة لقاعة بنى سراج فهى قاعة الاختين[٤٢] .

قاعة الاختين :

وقد سميت بهذا الاسم ربما لوجود حنيتين متشابهتين في الشكل وفي اللون وفي الحجم . او لان ارضها مرصوفة بقطعتين كبيرتين متشابهتين من المرمر فريدتين في ضخامة الحجم . وتعتبر هذه القاعة وقبتها من روائع العمارة العربية الاندلسية لما تحويه من نقوش وزخارف جصية وهندسية تتقاطع اطرافها وحواشيها وتتشابك وتخلق اشكالا عديدة ومتنوعة فالفسيفساء فيها اجمل منه في اي قاعة اخرى وقراميدها تفوق في تناسق الوانها قراميد الغرف الاخرى وزخارفها الجصية غاية في الروعة[٤٢] . وتوميء الى خيال ممتاز وقوي ويبدو ان الفنان الذي قام بتنفيذ هذه الزخارف استنفذ واستهلك كل التركيبات التي يمكن تصورها وتظهر قدرته على خلق الزخارف المختلفة وتوليد بعضها من بعض[٤٣] .

---

(٤١) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٧٤ .
(٤٢) مرزوق ، المصدر السابق ص ٨٤ـ٨٥ .
(٤٣) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٧٤ .

وتمتاز هذه القاعة بنافورتها البديعة وزخارفها المقرنصة التي بلغت الغاية في التعقيد بأشكالها الهندسية المثمنة . وتمتد هذه الصالة الى الداخل حيث توجد شرفة ذات نوافذ تكسوها النقوش والزخارف البديعة ، وتطل على حديقة من الجانب الاخر . ومما يزيد في روعة وجمال هذه القاعة تلك النقوش الكتابية والابيات الشعرية التي نجدها منقوشة على مدخلها كتابة بالخط الكوفي نصها « ولا غالب إلا الله » مكررة . ونقش تحتها بأبيات شعرية جميلة لابن زمرك تصف عظمة هذا البناء منها قوله :

أنا الروض قد اصبحت بالحسن حاليا ... تأمل جمالي تستفد شرح حاليا
اباهي من المولى الامام محمد ... بأكرم من يأتي ومن كان ماضيا
ولله مبناه الجميل فانه ... يفوق على حكم السمو المباليا
فكم فيه للابصار من متنزه ... تجد به نفس الحليم الاماليا
به القبة الغبراء قل نظيرها ... ترى الحسن فيها مستكنا وباديا
وتمد لها الجوزاء كف مصافح ... ويدنو لها بدر السماء مناجيا
وتهوى النجوم الزهر لو ثبتت بها ... ولم تك في افق السماء جواريا
ولو مثلت في ساحتها وسابقت ... الى خدمة ترضيه فيها الجواريا
وبه المرمر المجلو قد شف نوره ... فيجلو من الظلماء ما كان راجيا
اذا ما أضاءت بالشعاع تخالها ... على عظم الاجرام منها لآليا
ولم تر قصرا منه أعلى مظاهرا ... واوضح افاقا وافسح ناديا
ولم تر روضا منه انعم نضرة ... واعطر ارجاء واطلى مجانيا

قاعة الملوك :

وتسمى بعدة اسماء : فهي قاعة العدل وقاعة المحكمة (الشريعة) وقاعة الصور . وهي في غاية الفخامة والابهة ، وتمتاز هذه القاعة عن قاعات القصر الاخرى بأنها مستطيلة ، بل بأنها تخرج في استطالتها عن المألوف في هذا البناء[٤٤] . وتقسمها عقود مقرنصة الى سبعة اقسام ، وفيها ثلاث حنايا .

---

(٤٤) مرزوق ، المصدر السابق ص ٧٩ .

وتمتاز هذه القاعة ايضا بالتصاوير الادمية الملونة التي تغطي سقفها الاوسط. والصورة الرئيسية تمثل مجلسا لعشرة رجال في ملابس بيض ومتعممين وملتحين[٤٥] ، واسند كل واحد منهم ذراعه الى خنجر . وتبدو على الهيئة التي كانوا عليها بأنهم على جانب كبير من الهيبة والوقار .

وقد كانت هذه الصور مثار نقاش واستنتاجات من الباحثين الذين درسوا هذه الصور الموجودة في سقف هذه القاعة . فان الاعتقاد بأن هذه الصور تمثل مجلسا لعشرة قضاة جلسوا في ساحة العدل ومن هنا سميت القاعة بـ «قاعة العدل او قاعة المحكمة » .ويعتقد آخرون ان هؤلاء الرجال يمثلون عشرة ملوك غرناطيين[٤٦] . اولهم الغني بالله وآخرهم السلطان ابو الحسن والد ابي عبدالله آخر ملوك بني نصر . وليس ثمة مجال للشك فيما يتصل بالموضوع الذي تمثله هذه الصورة بأنه يمثل سلاطين بني الاحمر العشرة . ويستنتج من طبيعة الصور والجلسة وهيئة الجالسين وما يحملون من سلاح وعلى وجوههم الوقار والهيبة فان الصورة تعبر عن مجلس لرجال مرموقين في الدولة يجلسون للتشاور في شؤون المملكة وكأنهم مجلس شورى الدولة .

والرسمان الاخران يمثلان مشاهد متنوعة بالغة الاثارة لمغامرات تمثل مناظر وحب وفي الرسم أيضا يظهر بناء قلعة ذات أبراج ويغلب على الظن ان موضوعات الرسمين مأخوذة من حكايات وقصص غرناطية معروفة وكم كان العرب يحبون هذا اللون من القصص[٤٧] .

زخارف قصر الحمراء : الاشكال من : (٢ ــ ٨)

ان قصر الحمراء في غرناطة يعتبر من اشهر الاثار الباقية حتى الان في الاندلس . والذي يعتبر فخرا للعمارة العربية الاسلامية ومعجزة من معجزات الفن العربي الاسلامي العريق . لما يحويه من اساليب فنية ومعمارية ،

---

(٤٥) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٧٦ .
(٤٦) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٧٦ .
(٤٧) فون شاك ، المصدر السابق ص ١٧٧ .

فبالاضافة الى تخطيطه المعماري فان زخارفه ونقوشه التي تزين جدرانه وسقوفه وساحاته هي الاخرى صفحة رائعة من صفحات الفن العربي الاسلامي في الاندلس[٤٨] . وذلك لان المرء يعجز لا محالة عن اعطاء وصف دقيق وصحيح وكامل لما بلغته الحمراء من الجمال والكمال . كما انه ظفر من عناية علماء الاثار والشعراء والادباء بما لم يظفر به اثر آخر . ويمكن تصنيف زخرفة الحمراء الجدارية كالاتي :

١ ــ العناصر العمارية مثل اعمدة الرخام الرقيقة بأقواسها الدائرية والمقرنصة التي استخدمت في بهو السباع وهي مجردة من وظيفة الحمل[٤٩] .

٢ ــ اما الزخارف النباتية في قصر الحمراء فقد أظهرت لنا بوضوح جمال الزخرفة العربية في العصر الاسلامي بالاندلس ولا سيما في عهد ملوك الطوائف . كما ابرزت لنا عبقرية الفنان العربي المسلم الذي خلق هذه الزخرفة . والواقع ان اجزاء كثيرة من قصور الحمراء يزدان بزخارف محفورة من العناصر النباتية والكتابية التي تتجلى في رسمها الخصائص الاندلسية . ولعل ابرز ما يلفت النظر في زخرفة الجدران انهم افرطوا في زخرفة بواطن العقود والواجهات فزينوها بزخارف حفرت بالجص ومن امثلة الزخارف الجصية ايضا ما نراه في الواجهات واماكن متعددة في الحمراء كتابات (لا غالب إلا الله) . ولعل اروعها ما نشاهده في القبة في قاعةالاختين وقاعة بني سراج وقاعة السفراء من زخارف نباتية وهندسية .

٣ ــ اما زخارف قصر الحمراء الاخرى فقد تنوعت ، منها ما هو منقوش في الجص او محفور في الرخام ومنها الفسيفساء ومنها القراميد الخزفية المختلفة . وان اهم ما يختص به قصر الحمراء هو ما يأتي :جدرانه المغطاة

---

(٤٨) العبيدي ، المصدر السابق ص ١٥٩ .

بقطع ملونة مصنوعة في القوالب وعمده الافقية الخطوط حاملة تيجانا منقوشة على شكل الاغصان المتشابكة وسقوفه المغطاة بالمقرنصات والمتدليات وكانت جدران قصر الحمراء وواجهاته الخارجية مزخرفة ومزينة بأزهى الالوان وبأنواع مختلفة من الزخارف النباتية .واستخدم الفنان الاندلسي هذا النوع من الزخرفة كعنصر اساسي وكخلفية لرسومه وكتاباته .

من هذه العناصر النباتية كانت الزهور المركبة وورقة وعناقيد العنب من العناصر التي اهتم الفنان بتسجيلها على الجدران حيث نجد ان الفنان استعمل في الزخرفة فرعا نباتيا حلزونيا تخرج منه اوراق من العنب والى جانبها عناقيد العنب موضوعة بالتبادل على يمين ويسار الفرع . وتعرض لنا قاعة الاختين نموذجا آخر من الزخارف النباتية تتألف من زهور واوراق نباتية موضوعة داخل اشكال هندسية تجاورها زخرفة نباتية اخرى ذات تصاميم مختلفة مؤلفة من اوراق وزهور وفواكه بالاضافة الى نوع من الزخرفة النباتية المعروفة بالنخيلية . كما زخرفت قبة العدل وقاعة قمارش بزخارف نباتية لاتختلف عن سابقتها .

واذا كانت الزخارف النباتية المحفورة على الجص قد لعبت دورا هاما في تزيين جدران هذا القصر فان المقرنص كان له هو الاخر دور كبير فيه ويكفي ان نذكر ان في القصر قاعة اطلق عليها مؤرخو الفن اسم قاعة المقرنص لاحتوائها على نماذج لهذا العنصر المعماري يعجز عن الوصف وتفوق في جمالها الاخاذ كل تصور او خيال . وتظهر هذه الزخارف الجصية مدى التطور الذي اصاب هذا الفن العريق من حيث التقنية والتنوع في الاشكال والتعقيد في التشكيلات الهندسية والنباتية وتآلفها بشكل يجلب انتباه المشاهد . فكانت عناصر الارابسك من النقوش الخطية والتوريق والمشبكات

الهندسية مما يظهر في كل مساحات تلك الزخرفة • وان غلب عليها تكرار الخط النسخي مفردا في رنك من رنوك ملوك غرناطة حيث لا غالب إلا الله واذا كان التوريق النباتي قد غلب على الارابسك فقد وجدت الاشكال الهندسية تجات اقصى مراحل الغلو والاسراف في التعقيدات الزخرفية في قصر الحمراء •

كما ان للرسوم الجدارية التي كانت تزين قاعة الملوك وقاعات اخرى في القصر دورها الفني في تزيين سقف قاعة الملوك • وتضم هذه الرسوم أشكالا بشرية رسمت جميعها بألوان مائية على طبقة من الجص • وهذه الرسوم تكشف عن عدة امور مهمة في مجال التصوير والحياة في ذلك الوقت •

ان موضوع هذه التصاوير تعكس الى حد ما صورة سلاطين بني الاحمر وتمثل هذه الرسوم بمجموعها مدرسة التصوير الاسلامي من حيث الموضوع والاسلوب والتقنية(٤٩) • وان هذه المدرسة كانت واضحة ومتميزة بمكان ، وبغض النظر عمن قام بتصويرها فان مشاهد الحياة اليومية في هذه الرسوم تعتبر اثمن وادق الوثائق البصرية لعادات اهل الاندلس في القرن الرابع عشر الميلادي وتقاليدهم مثل وضع العمامة والطيلسان واس العباءة وتسديل اللحية وحمل السيف ونوعه(٥٠) •

والجدير بالذكر أن رسوم قاعة العرش في الحمراء يشبهون بعض رسوم مدرسة بغداد في التصوير التي ازدهرت في ١٣م بملابسهم العربية وعمائمهم وكفهم العربية(٥١) •

وتجدر الاشارة الى ان فن النحت في قصر الحمراء هناك تحف منقولة وغير منقولة مصنوعة من الحجر ومن الرخام تتمثل في احواض كبيرة تزدان بزخارف

---

(٤٩) سلمان ، وآخرون ، جـ٢ ص ٤٩ •
(٥٠) وجدان علي ، المصدر السابق ص١٩٩ •
(٥١) جمال ، المصدر السابق ص ٩٩ ـ ١٠٠ •

محفورة حفرا عميقا على الرخام أو الحــجر ، والزخــارف تجمع بيــن الحيوانيــة والعناصر النباتية . فقد عثر على حوض في قصر الحمــراء وقوام زخرفته أربعــة غزلان وتظهر أربعة اسود وهي تنقــض على الغزلان(٥٢).

وهناك مثال آخر ثابــت في مكانه لانه جزء من النافورة التي تتوســط ســاحة الأســود في قصر الحمــراء . ان النافورتيــن التي تتكون مــن قصــعتين مــن الرخام ، العليا صغيرة والسفلى كبيرة محمولة على اثنــي عشر أسداً نحتــت مــن الحجر نحتاً غير دقيق(٥٣). وتثير صور الحيوانات على أحواض الأندلس وقصــر الحمراء ســؤالاً :

ترى ما هدف الفنان من رسمها او نحتها ؟ أيقصد الزخرفة فقــط ام ان هنــاك معنى رمزياً وراء حفرها ؟

لقد حاول بعض رجال الآثار تفسير هذه الصور الحيوانيــة فعلى سبيل المثــال يذكر مورينو(٥٤) ((ان النسر يرمز الى الكبرياء والأسد يرمز الى القوة والغزال يرمز الى الضعف وانقضاض الأسد على الغزال يرمز الى الانتصار)) .

ويرجح ان فكرة هذه الصور أي صور الأسود قد تأثرت بأنموذج شرقي ولاسيما في العراق حيث نرى النسر في مدينة الحضر والأسد في مدينة بابل .

ويلاحظ ان إشعار مشاعر الحمراء ابن زمرك قد نقشت على الجص من قصــائد هذا الشاعر كما نقشت على حوض النافورة الذي تحمله السباع وفي قصيدتــه هــذه يمتدح محمد الخامس . كما انه يصف كيف تجري المياه في النافورة .

---

(٥٢) مرزوق ، عبد العزيــز ، الفنون العربــية الإسلامــية في المغرب والأندلس ص ١٤٥ ، وانظر مورينو المصــدر السابق ص ٣٢٤

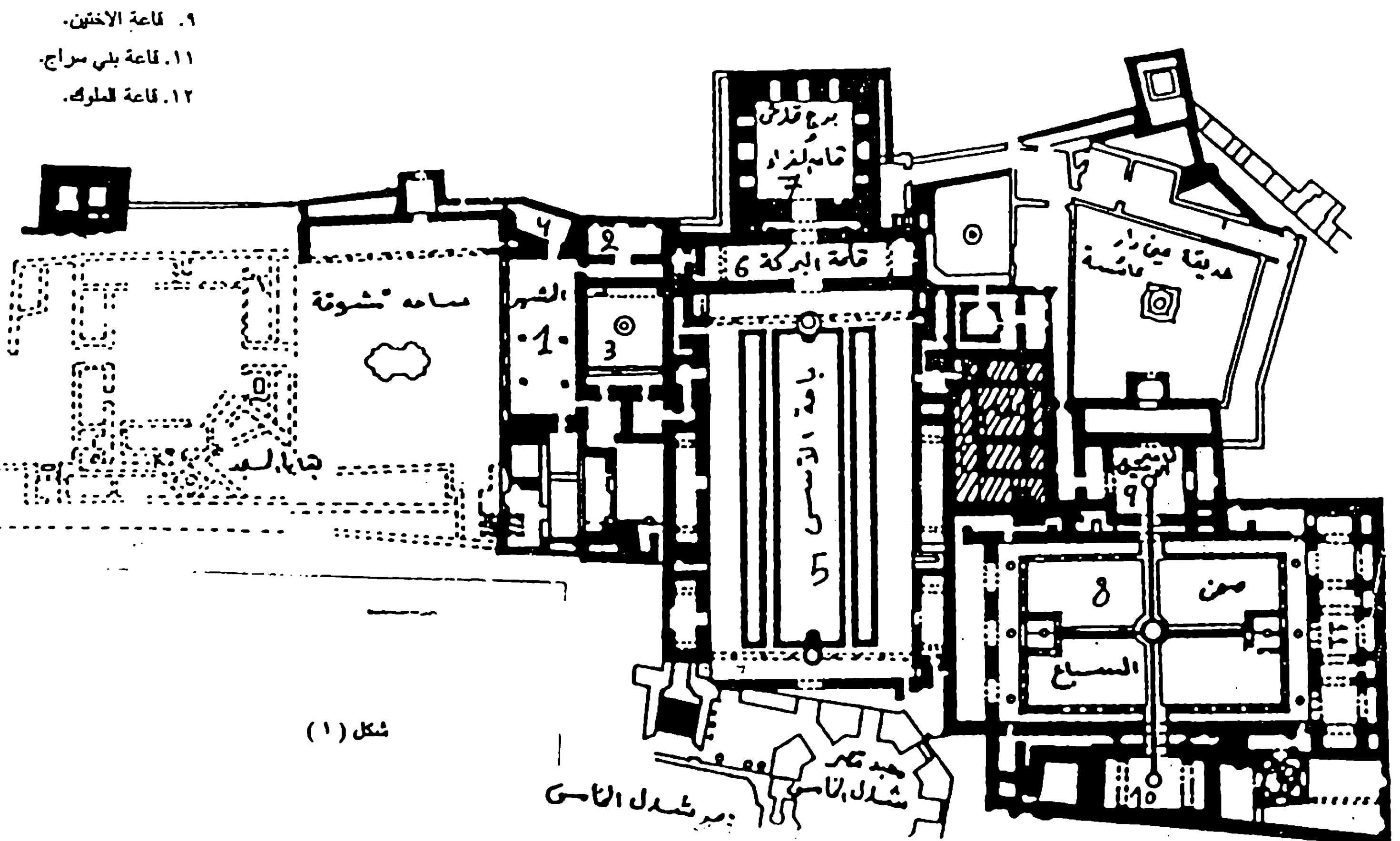
(٥٣) مرزوق ، قصــر الحمراء ص ٦٧ .

(٥٤) مورينو، المصــدر السابق ص ٢٢١ ومرزوق الفنون العربية في الأندلس ص ١٤٢ .

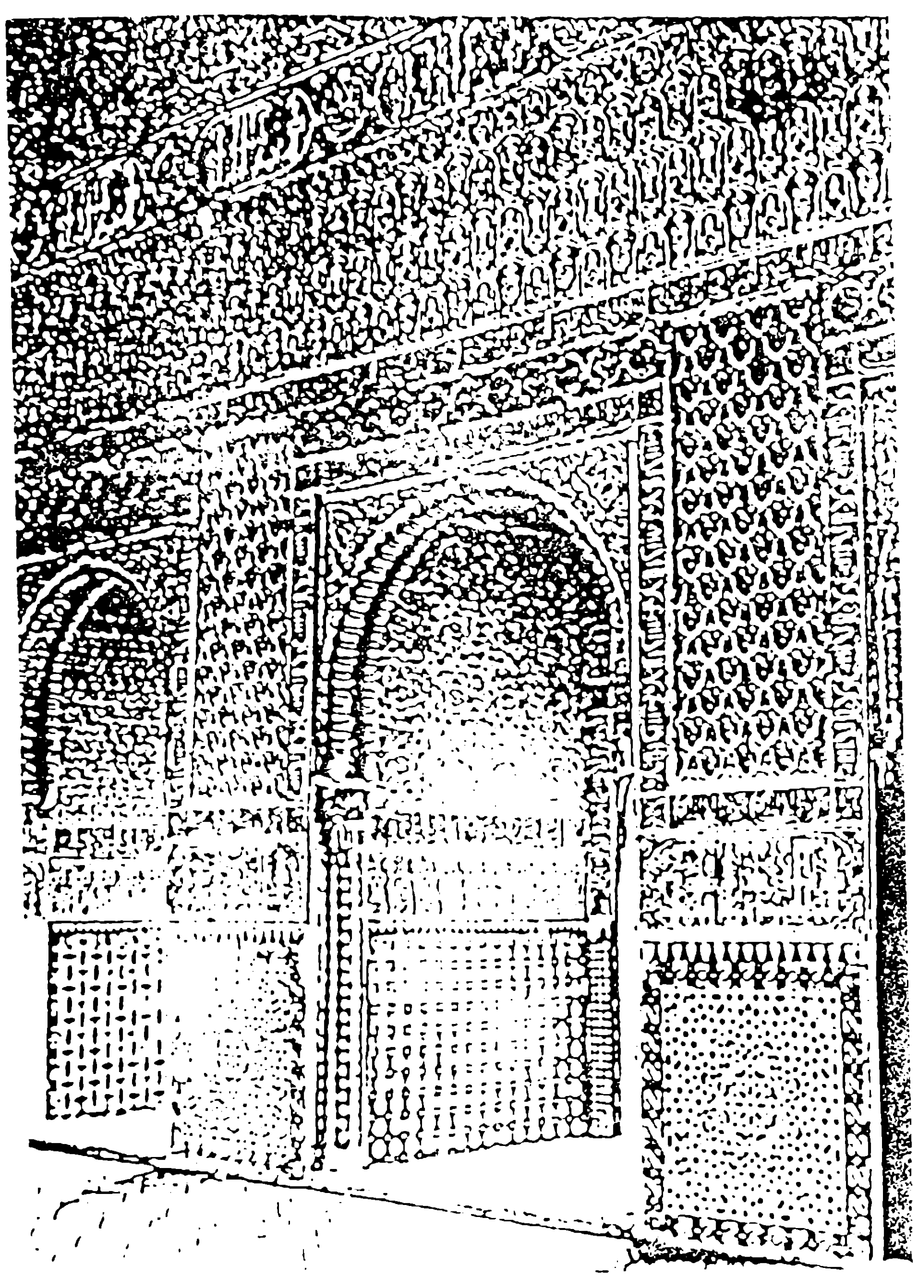
ومن أساليب الزخرفة الأخرى فقد أظهرت تيجان الأعمدة وطنوفها وقواعدهـــا وبعض اللوحـــات الحجرية عن فن رفيع في الحفـــر العمـــيق الغائـــر في الحجـــر والرخام وهذا العمـــق يؤدي إلى إكســـاب الزخرفة نوعـــاً من التعابـــير والتبـــاين الحاد بين الظل والضـــوء .

والمهم في النهاية ان قصـــر الحمراء كان مجالا لابـــراز النشاط الفني الجديـد تجلى أقصى مراحل الغلو والإسراف في التعقيدات الزخرفية والمعمارية وهي التـــي تجعله يحتل المكانة الأولى في هذا الميـــدان في المغـــرب والأندلـــس من حيث إنها تمثل تغييرات جديدة في الزخرفة النباتية والهندســـية والمعمارية .

١. قاعة المشور.
٢. القاعة الأهبية.
٣. ساحة المشور.
٤. المسجد.
٥. ساحة الريحان.
٦. قاعة البركة.
٧. القاعة الذهبية.
٨. بهو السباع.
٩. قاعة الأختين.
١١. قاعة بني سراج.
١٢. قاعة الملوك.

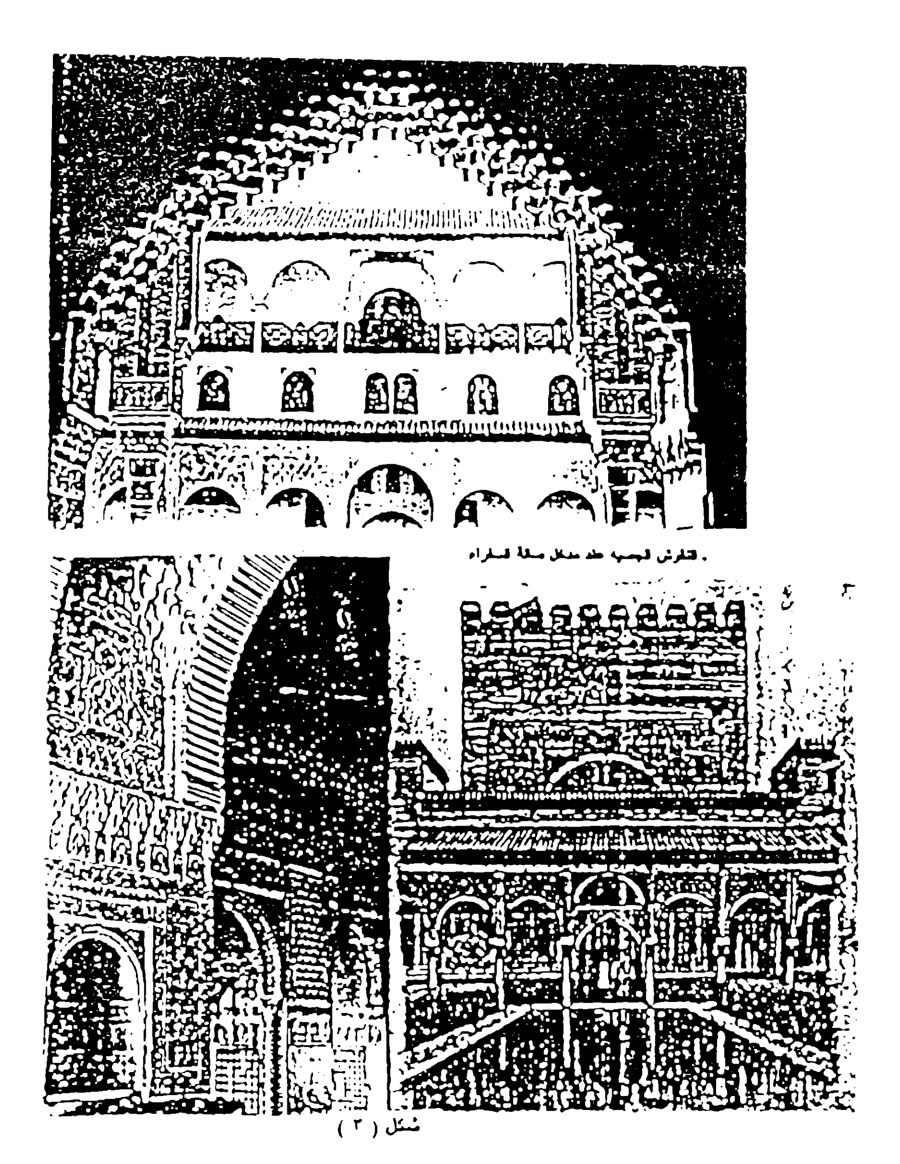


شكل (١)



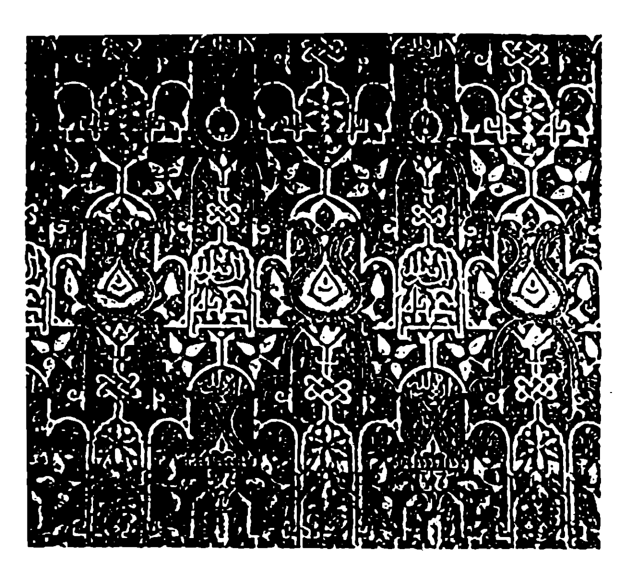
جانب من صالة السفراء . مثال على الزخارف الجصية التي تغطي جدران صالات قصر الحمراء

شكل (٢)



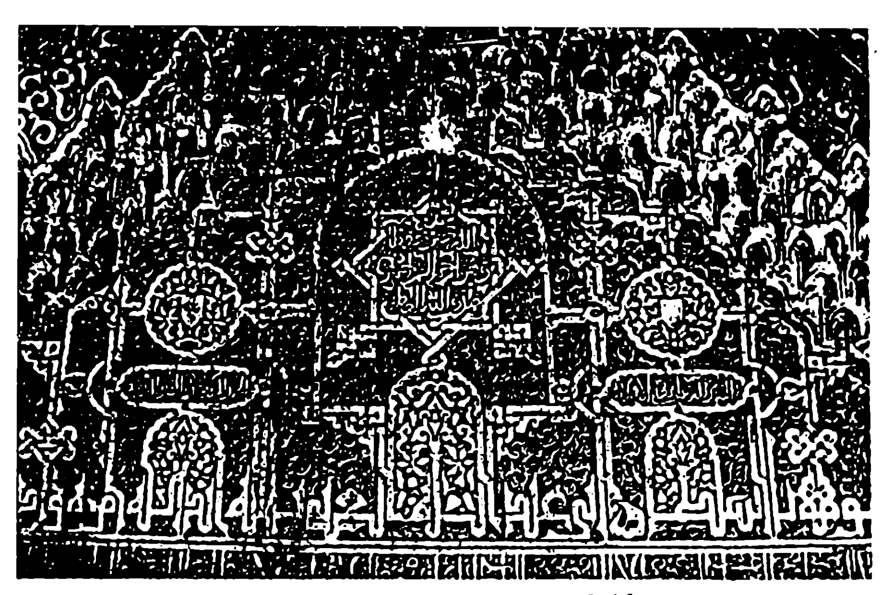
المقرنص الجصية عند مدخل قاعة السفراء .

شكل (٣)

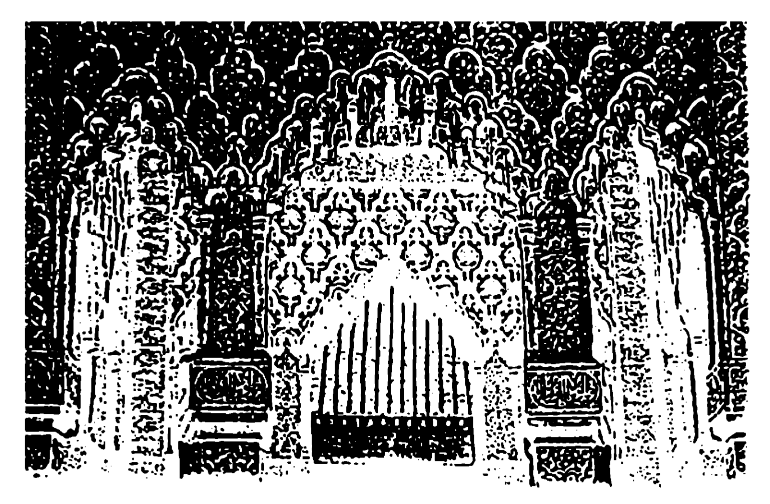


. مثال على فنون الزخرفة في قصر الحمراء

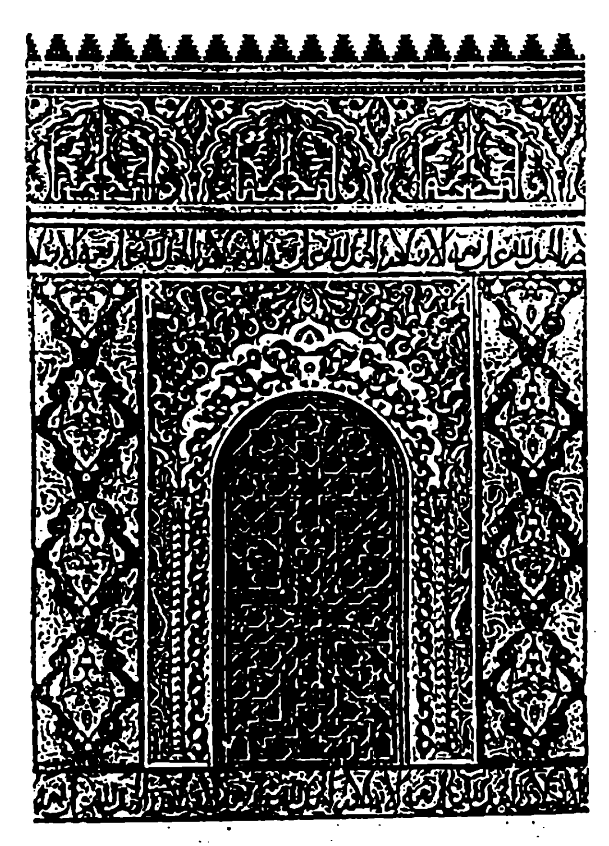
شكل (٤)



• من أجمل الزخارف الجصية في قصر الحمراء

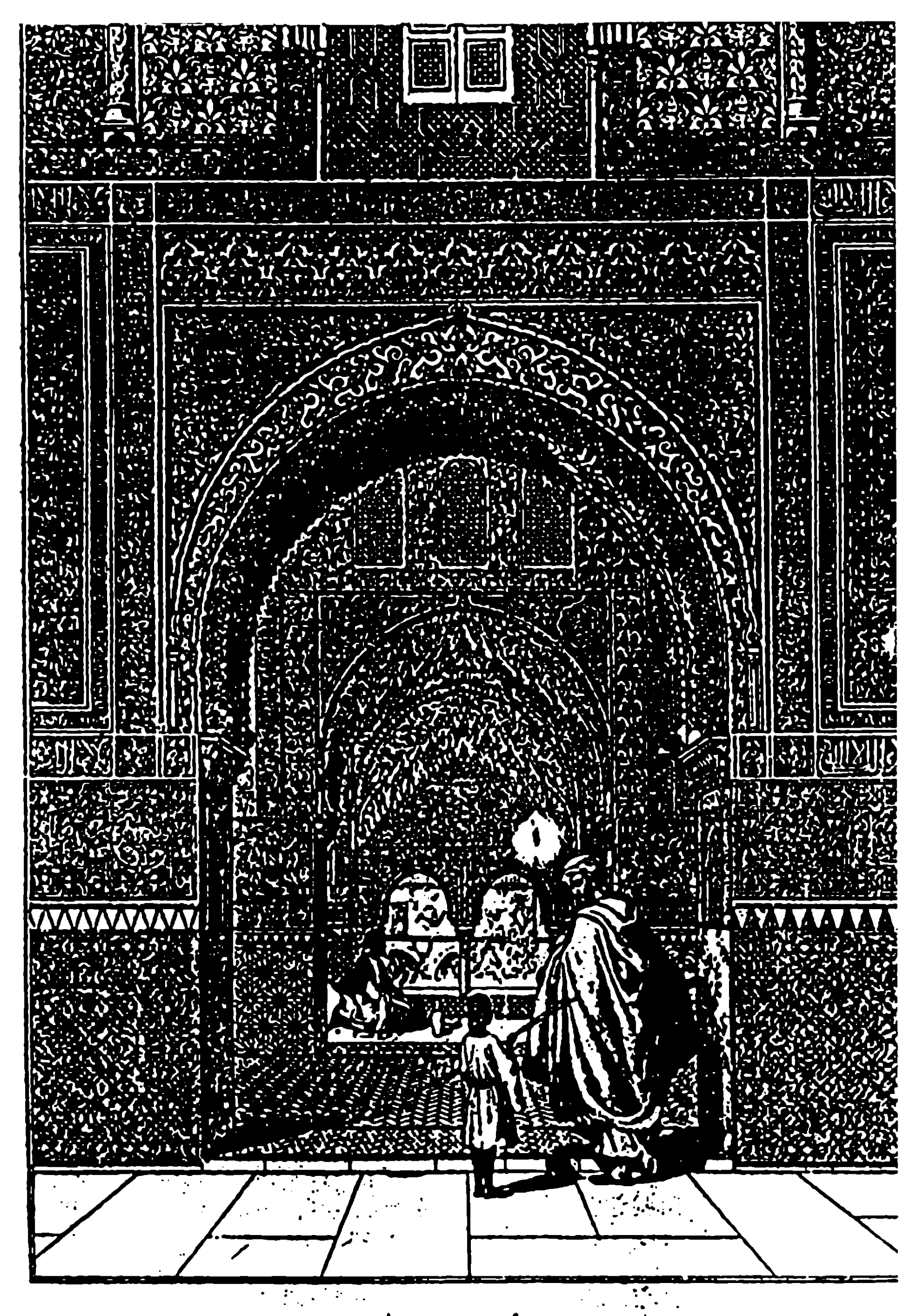


. مثال على الزخارف الجصيه الجميلة في قصور الحمراء



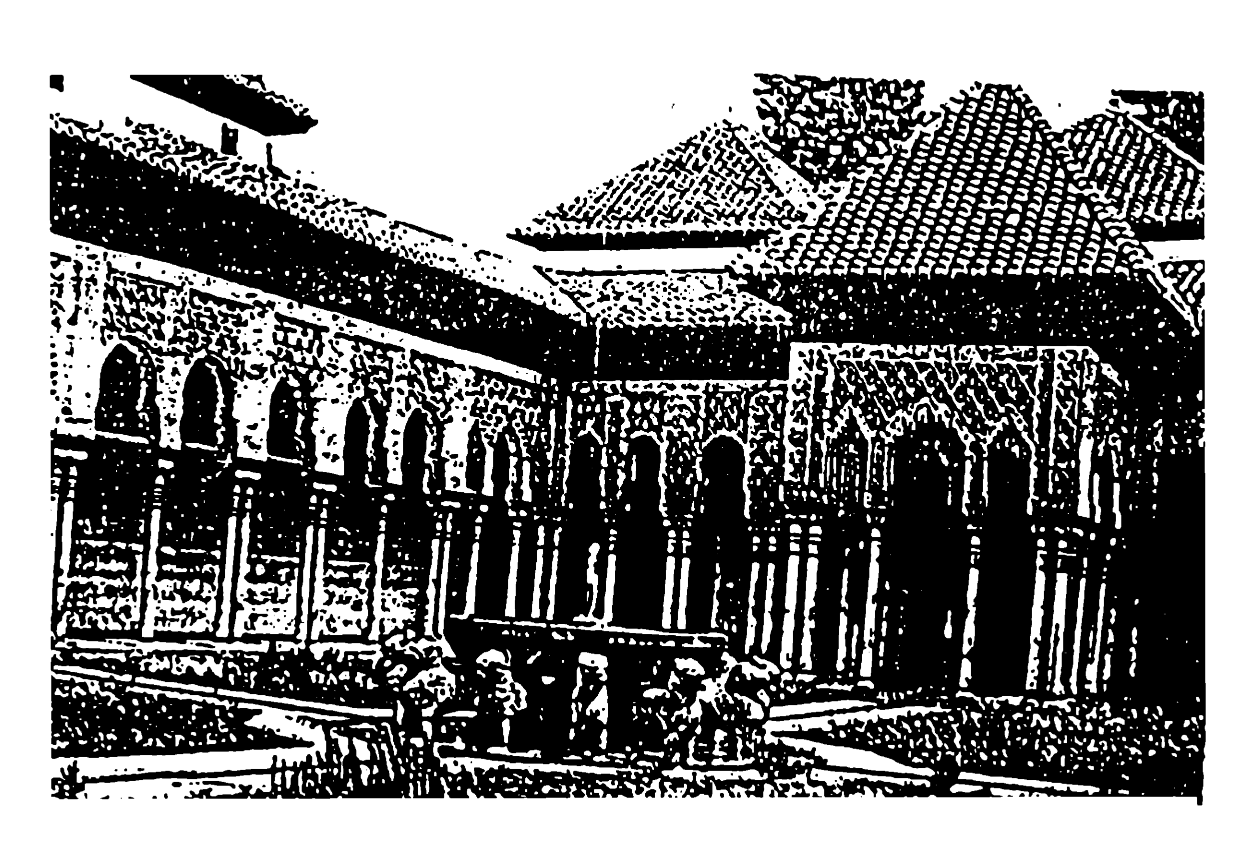
١٤٣ ـ جزئيات نافذة في قصر الحمراء

شكل (٥)



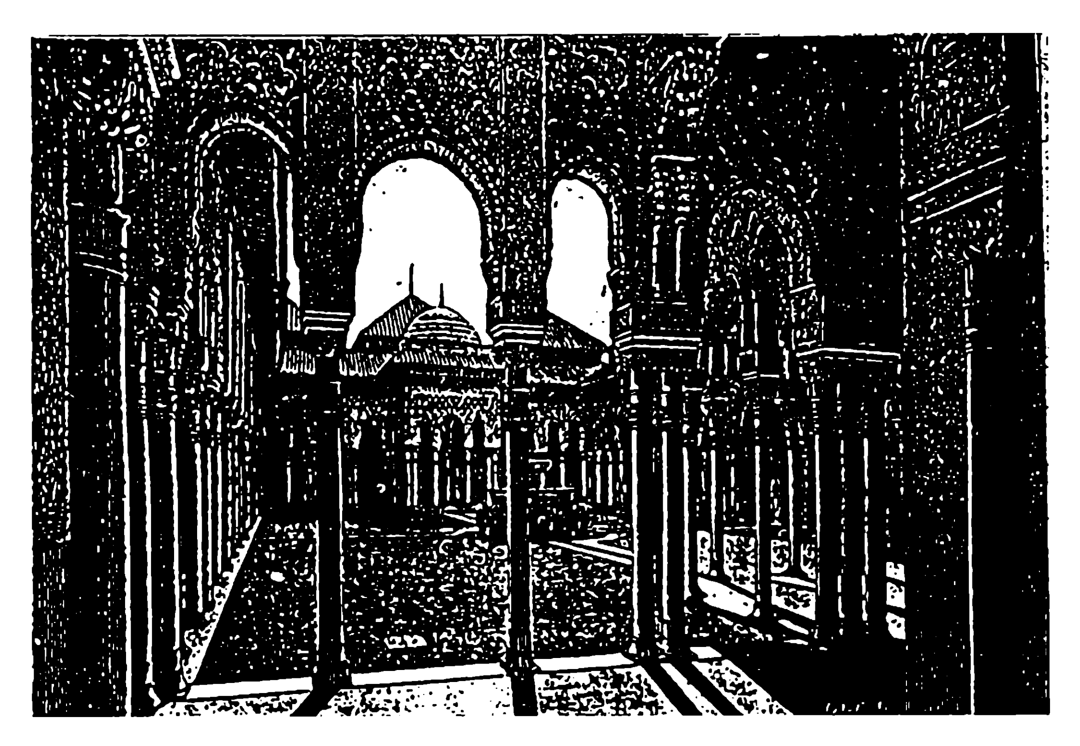
١٣٩ ـ منظر النقط فى قاعة الأختين بقصر الحمراء (من تصوير جونس)

شكل (٦)



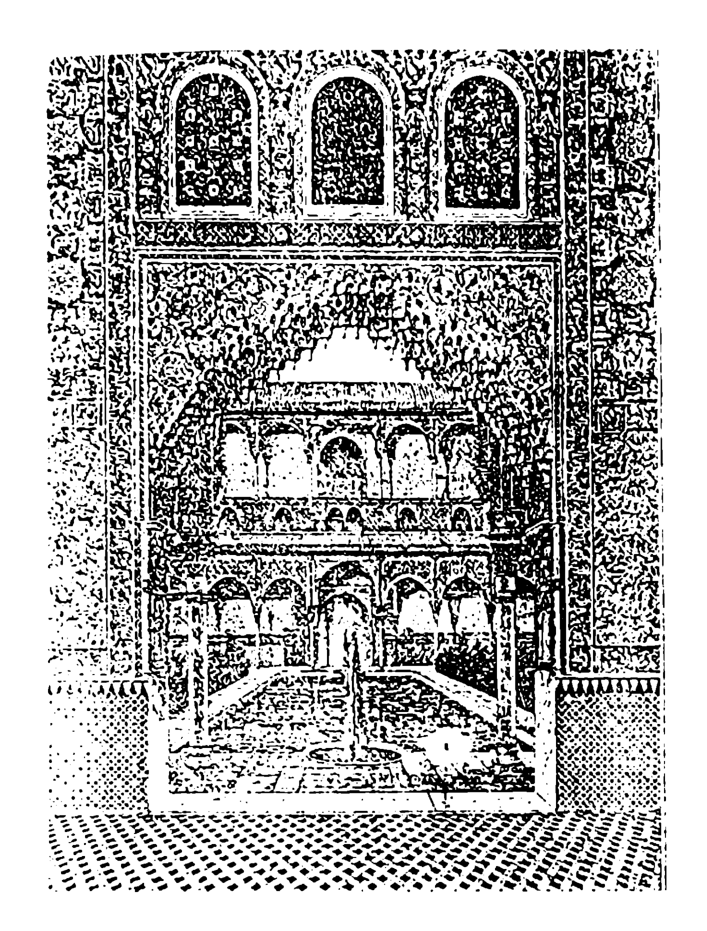
١٩ ـ صحن السباع في قصور الحمراء

شكل (٧)

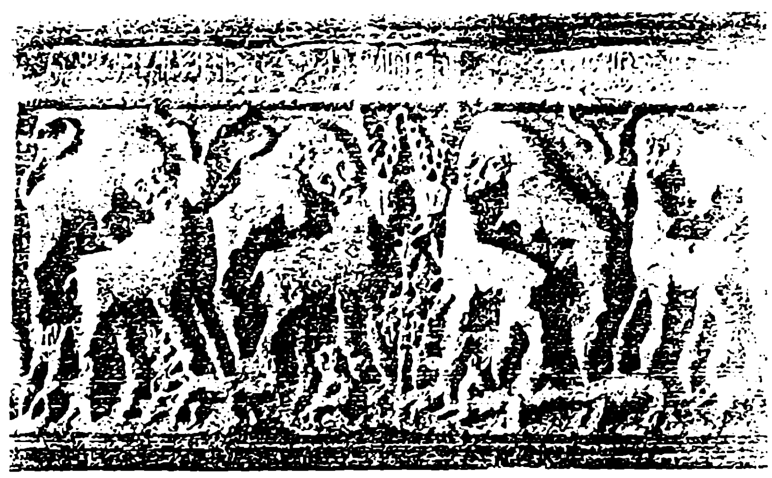


١٤٢ ـ قاعة الأسود في قصر الحمراء (من صورة فوتوغرافية)

شكل (٨)



— قبة البركة في قصر الحمراء (من تصوير جوميث)



أحد جوانب الحوض الرخامي المحفوظ في متحف الحمراء ، كان موضوعاً في إحدى غرف المقصورة الرئيسية
الدارية التي يراها تمثل سباعاً تفترس غزلاناً ، [illegible] تشترك في الصيد في أسفل الصورة ، هذا
الافريز من أحسن ما خلفه العرب في فن النحت .

شكل (٩)

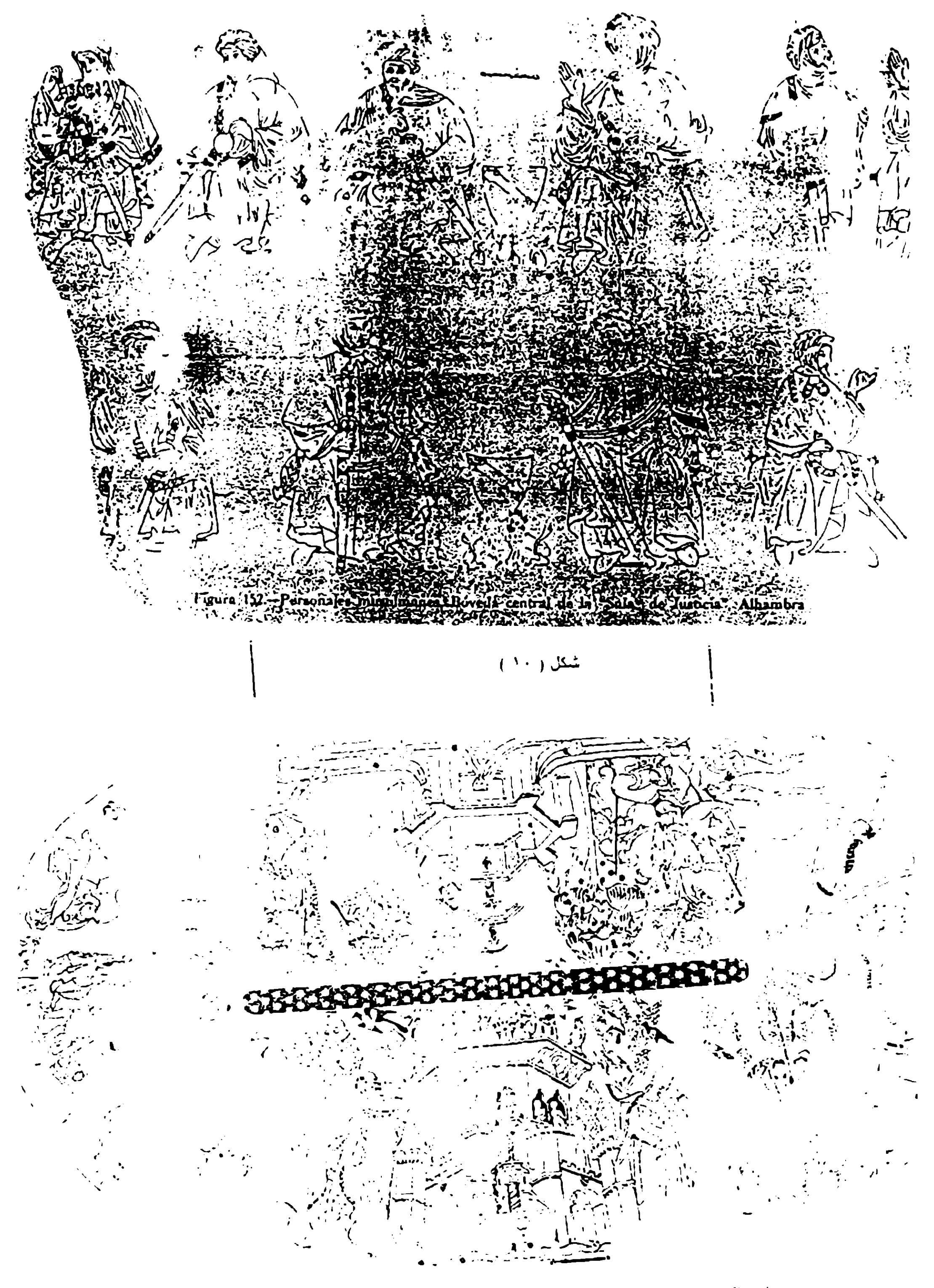


Figura 152.—Personajes musulmanes. Bóveda central de la "Sala de Justicia". Alhambra

شكل (١٠)

[illegible] izquierda. "Sala de Justicia". Alhambra

شكل (١١)

الرياضيات ؛ الحضارة غير المرئية

الدكتور عادل غسان نعوم
عضو المجمع العلمي
كلية العلوم جامعة بغداد

ان الرياضيات موجودة وهي تلازم الانسان منذ بدء حضارته ، وهي تمثل جزءا من تأريخه بوصفها لغة وفنا • كانت الرياضيات الاولى تتطلب حوافز حقيقية ملموسة لغرض تطويرها • وقد نشأت هذه الحوافز مع نشوء الانماط الاكثر تقدما للمجتمعات • ظهرت هذه المجتمعات بمحاذاة احواض الانهار الكبيرة في اسيا وافريقيا مثل دجلة والفرات في العراق والنيل في مصر وانسودان • تحولت احواض هذه الانهار ، بواسطة مشاريع تصريف المياه من المستنقعات والسيطرة على الفيضانات ومشاريع الري ، الى مناطق زراعية • ان بناء مشاريع كبيرة كهذه يتطلب معرفة تقنية عالية في الهندسة والادارة والتمويل وكانت هذه المحفزات الاساسية لتطوير الرياضيات اللازمة لها • وعليه يمكن القول ان الرياضيات الاولى نشأت في الشرق القديم بصورة رئيسة كعلم تطبيقي لمساعدة الانسان في حل مشاكله في الزراعة والهندسة ، هذه المشاكل تتطلب تطوير حساب تقويم مناسب وتطوير نظام للاوزان والقياسات يستخدم في الحصاد والخزن وتقسيم الغلة وايجاد طرق للمسح لغرض انشاء القنوات والسدود ، فضلا عن تطوير ممارسات للتمويل والتجارة وجباية الضرائب وغيرها من النشاطات التجارية •

ان الرياضيات الاولى كانت مجموعة من القواعد تستخدم لمعالجة المشاكل التي تواجه الانسان في حياته العملية اليومية وكانت هذه ميزات الرياضيات في الحضارة المصرية القديمة وفي حضارات وادي الرافدين • ومن

المفيد الاشارة الى ان المختصين لم يتمكنوا الى هـذا اليوم من العثور على ما يشير وجود ما يسمى البرهان في رياضيات هذه الحضارات •

شهدت القرون الاخيرة من الالف الثاني ق•م• تطورات اقتصادية وسياسية جديدة ، اذ بدأت بعض الحضارات الاولى بالزوال ، فقوة مصر وبابل ضعفت وظهرت اقوام اخرى مثل الاشوريين والفينيقيين واليونانيين وبدأ العصر الحديدي بالظهور وظهرت معه تغيرات جذرية في الصراعات بين الاقوام ووسائل هذه الصراعات ، اخترعت الحروف الابجدية واستخدمت النقود وتوسعت التجارة وبدأت الاكتشافات الجغرافية وبدأ العالم يشهد ظهور حضارات من انواع جديدة • ظهرت الحضارات الجديدة في المدن التجارية التي انتشرت على سواحل اسيا الصغرى وفي اليونان وصقليا • في هذه الاوضاع الجديدة بدأ الانسان يسأل « لماذا ؟ » فضلا عن الاسئلة من نوع « كيف » التي كان يكتفي بها سلفه •

ولاول مرة في الرياضيات ، كما في حقول المعرفة الاخرى ، بدأ الناس يطرحون اسئلة اساسية مثل : لماذا تتساوى زوايا المثلث المتساوي الاضلاع ولماذا يقسم القطر الدائرة الى نصفين متساويين • بعبارة اخرى ، بدأت تظهر نزعة دراسة الرياضيات علما مستقلا بذاته وبدأت افكار الاستنتاج والتجريد بالظهور •

ان التأكيد الاولي للرياضيات كان على الحساب التطبيقي والقياس ، الا ان المواقف التي اشرنا اليها ادت الى بدء ظهور الجبر كتجريد للحساب وظهور الهندسة النظرية من القياس •

يتضح مما سبق ان تطور الرياضيات كان مرتبطا بتطور حضارات المجتمعات وتطور هذه المجتمعات كان له تأثير في تحديد نوع الرياضيات السائدة وهذه الرياضيات تطبيقية بصورة عامة •

اما اليوم فان الرياضيات تتسم بالتجريد ومع ذلك فانها قوية ومؤثرة ولكن غير مرئية وتعمل الدول كافة على تطوير الرياضيات ولو بدرجات متفاوتة • قبل اكثر من مائة عام كانت الرياضيات اقل تجريدا وبالتالي اقل قوة وأقل تأثيرا ولكن • ربما ، اكثر مرئية وكانت تسيطر عليها الدول الاوربية•

إن للرياضيات اليوم تأثيرا عظيما جدا (غالبا غير منظور) على العلم والمجتمع وتؤدي الرياضيات دورا مهما في تحديد طريقة عمل الانسان وطريقة تفكيره وهي بالتالي تحدد مسيرة حضارته الى حد كبير •

أن التطور الهائل الذي حصل في الرياضيات في القرن العشرين يعتبر ثورة هادئة لا تقل في اهميتها عن الثورة التي حصلت في فيزياء الكم وعلوم الحياة الجزيئية ولكن هذه الثورة غير منظورة من قبل الانسان العادي وحتى الانسان المثقف لا يدرك ما حصل في هذه الثورة • ان مظاهر هذه الثورة تحيط بنا من كل جانب • مثل ثورة الالكترونيات التي غيرت طريقة اتصالات الانسان وطريقة تفكيره ، اختراع المذياع والتلفزيون والتلفون والاقمار الاصطناعية والحواسيب الالكترونية لم يكن ممكنا لولا العديد من نتائج ما يسمى بالرياضيات الصرفة • ان بعضا من التطورات الحديثة في العلوم الرياضياتية ساعدت في تحسين قابلية العلماء على التنبؤ بالاحوال الجوية وقياس تأثيرات الكوارث البيئية ودراسة اصل الكون وكان للرياضيات مؤخرا دور مهم في مساعدة العلماء على الوصول الى فهم افضل للعوامل الوراثية وبالتالي في الهندسة الوراثية • ان الرياضيين اليوم يسعون ، بالتعاون مع علماء الحياة ، الى فهم عمل اعضاء جسم الانسان وسلوكه وطريقة تفكيره • ان الوسائل الرياضية اصبحت وسائل لا يمكن الاستغناء عنها لغرض التطور المناسب للمجتمعات التكنولوجية •

ان النتائج التي اشرنا اليها وغيرها في العلوم والتكنولوجيا هي نتائج منظورة للثورة التي حصلت في القرن العشرين • ان هذه النتائج ما هي إلا جزء قليل جدا من كثير من النتائج غير المنظورة التي لا يفسح المجال لذكرها •

ان وراء هذه الانجازات توجد نظريات عميقة غير مرئية مثل نظرية المنظومات اللاخطية ونظرية التعقيدات الحسابية . ان هذه النظريات توفر اسسا موحدة للعلم الحديث . اننا نعيش في عالم توجهه النظريات المجردة للرياضيات .

على الرغم مما تقدم ، ان القليل من الناس والمثقفين ، يعرف وجود هذه الرياضيات واهميتها . ان بعض المثقفين سمع باعمال علماء مشهورين ، امثال اينشتاين وداروين وهايزينبرك ولو انهم قد لا يفهمونها . وبعضهم سمع بمفاهيم مثل الثقوب السود وطبقة الاوزون ونزول الانسان على القمر . ويفتخر آخرون بمعرفتهم حياة عدد من الفنانين وانجازاتهم الفنية ولاعبي كرة القدم والاصابات التي سجلوها . الى انه ما عدد المثقفين الذين سمعوا عن عباقرة كبار في الرياضيات امثال كاوس وريمان وهلبرت وبوينكاريه ، ناهيك عن الاعمال التي قاموا بها ، ان الرياضيات حضارة غير منظورة . يقول الرياضي الشهير هالموس « يحزنني انه حتى المثقفين من الناس لا يعرفون بوجود اختصاصي » .

لماذا يجهل الناس الرياضيات ؟

ان الجزء الوحيد المنظور من الرياضيات في حضارتنا هي رياضيات الماضي ، الحساب وهندسة اقليدس وربما التفاضل والتكامل الذي اخترعه نيوتن وليبنتز في القرن السابع عشر . ان كل خريج من المدرسة الثانوية يعرف ان هذه الرياضيات موجودة وربما يعرف ان تاريخها يعود الى عدة قرون ، ان ما لا يعرفه هو وجود رياضيات اخرى اكثر حداثة تخلق باستمرار وتعمل على تحديد ملامح حضارة الانسان .

ان نظرة سريعة على برامج الرياضيات في الدراسة الجامعية الاولى تعطي فكرة بسيطة عن مقدار التطور الذي حصل في الرياضيات في القرن العشرين . في عام ١٨٩٠ بدأت جامعة برنستون الامريكية ، وهي من الجامعات العريقة ، تطلب من طلبة الرياضيات دراسة سنتين في الهندسة والمثلثات والهندسة

التحليلية وكان موضوع التفاضل والتكامل يعطى كموضوع اختياري في السنة الاخيرة من الدراسة الجامعية الاولى • اما اليوم ، فان هذه المواضيع تدرس ضمن برامج المدرسة الثانوية •

أننا اليوم محاطون بمجتمع يهيمن عليه العلم والتكنولوجيا ومن ورائهما الرياضيات • على الرغم من هذا فان الشخص الاعتيادي يتعلم الرياضيات من خلال تجاربه المدرسية ومن خلال تجارب ابنائه ونتيجة لذلك ، فانه ينظر الى الرياضيات الاساسية ، الحساب والهندسة الاقليدية والجبر بنظرة اجداده في القرن التاسع عشر نفسها ، هذه النظرة التي تتسم بالواقعية ، الحاجة لمساعدته في حياته العملية اليومية •

ان ما يسمى بالرياضيات « الجديدة » او « المعاصرة » التي ادخلت في المدارس قبل اكثر من ٣٠ سنة لا تقع في هذا المنظار • المجموعات المجردة ، وهي اساس الرياضيات الاوربية ، حلت محل الاعداد في الحساب • إلا ان هذه الرياضيات الجديدة رفضت من كثير من المجتمعات باعتبار انها لا تتفق مع حضارتها •

قبل اكثر من قرن من الزمن طور جورج كانتور في الفترة ١٨٧٥ــ١٨٨٤ نظريته الثورية في المجموعات • لقد اتخذ علماء الرياضيات المعاصرون لكانتور مواقف مختلفة من هذه النظرية • فقد اطلق الرياضي الكبير هلبرت على هذه النظرية اسم « الجنة » في حين رفضها آخرون ووصفوها « بالغرابة » لانها « اطلقت حرية الوحوش في حديقة الرياضيات » ان عمل كانتور نما من قضية واقعية جدا : محاولة فورير فهم كيفية انتقال الحرارة وذلك بتمثيل الدوال الرياضية بصيغة متسلسلات للجيب وجيب التمام • ان ما اكتشفه كانتور هو عالم من السلوك غير قابل للتصور : عدد النقاط الموجودة في الفقرة (١ ، ٥) يساوي عدد نقاط الخط باجمعه • وفي الواقع هذا العدد يساوي عدد نقاط المستوى او الفضاء الثلاثي • ومن المبرهنات المهمة التي برهنها كانتور التي نصها : اذا كانت A مجموعة ما فان العدد الاساس للمجموعة يقل عن

العدد الاساس للمجموعة A_2 حيث A_2 تمثل مجموعة كل المجموعات الجزئية في A . يمكن استنتاج وجود ما لا نهاية من اللانهايات المختلفة . اضف الى هذا ، فقد وجد كانتور عددا من المجموعات والدوال التي لا تتفق مع الحدس ، عوضا عن كونها صقيلة وقابلة للتوقع ، كانت مخلوقات كانتور ملتوية وفوضوية . في مستهل الجدل حول « الرياضيات الجديدة » انقسم الناس حول فيما اذا كانت هذه الافكار ذات قيمة ملموسة ام انها مجرد اشياء ملفقة من صنع خيال مشوه .

اذا كانت افكار كانتور غريبة لبعض المعاصرين له ، ان اهتمامات الرياضيين امتدت في العقود الثلاثة او الاربعة الاخيرة لدراسة مواضيع لا تقل غرابة عن المواضيع التي درسها كانتور ، فدرسوا نظرية الفوضى والكسوريات ونظرية الكوارث .

سنعطي في الملحق وصفا بسيطا لكل من هذه المواضيع .

ان الحواسيب العجيبة التي تنقل افكارا مجردة الى صور ملونة هي الاخرى بدأت كومضة في دماغ ليبتز وبول وتورنك . ان معظم الناس اليوم يفكرون بالحواسيب عندما يفكرون بالرياضيات ولكن غالبا لاسباب غير مناسبة . ان القليل من الاشخاص الاعتياديين يدركون ان الاجزاء الداخلية للحاسوب لا يتعدى ان يكون تمثيلا حقيقيا في مفاتيح الكترونية سريعة لمبادىء اساسية في المنطق وضعها عالم الرياضيات بول في القرن التاسع عشر .

مثل كانتور ، درس بول المجموعات ، ولكن في الوقت الذي تابع فيه كانتور الخواص العجيبة والشاذة للمجموعات ، ركز بول على التشابه والنظام ما يطلق عليه الرياضيون التشاكل المتقابل . بين بول ان عمليات اساسية على المجموعات مثل التقاطع والاتحاد يمكن ايجاد مرآة لها في الجبر حيث يكون الضرب والجمع العمليات الاساسية . من هذا يتبين بوضوح ان الانتماء الى المجموعة يمكن ان يعبر عنه بسهولة في الحساب الثنائي ، حيث يمثل ١ الانتماء

ويمثل صفر عدم الانتماء . وهكذا فان الاعداد الثنائية ادخلت جبر بـــول كوسائل في التعامل مع البنى المجردة للمجموعات .

وهكذا فان تجديد بول اصبح الوسـيلة المطلوبة لنمذجـة الدوائـر الحاسوبية اليوم . ويتعلم الطلبة المبتدئون في علوم الحواسيب التنكر كطريقة لنمذجة الاشارات الكهربائية لتعكس العمليات الجبرية .ويتعلم هؤلاء الطلبة طريقة الازاحة كوسيلة للضرب في الحساب الثنائي . كما ان مجموعات كانتور وفرت الاسس الفكرية للرياضيات الحديثة ، فان جبور بـول وفرت التمثيل الالكتروني الذي ساعد المكائن لاستيعاب هذه الرياضيات .

ان ما يمكن ان نستنتجه من تجربة اكثر من مائة سـنة ، ان نظريـــة المجموعات جعلت التجريد في رياضيات القرن العشرين ممكنا وهذا التجريـد هو احد مصادر القوة في الرياضيات ، لقد ادى الى تطبيقات هائلة في العلــوم والتكنولوجيا .

في هذه الايام . كل طفل في المدرسة يتعلم شيئا قليلا عن نظريات كانتور (وربما بول) ، هذه النظريات التي اعتبرت في بدء ظهورهـا بانها غريبـــة وشاذة ، اصبحت في الواقع اساسا لعصر الحواسيب ولكننا غالبا ما ننســى الدرس الاساسي : تجريدات اليوم تصبح تطبيقات الغد . ان صمامات القلـب والحواسيب هي نتائج نظرية المجموعات المجـردة وان التطبيقات حولنـا في العلوم والصناعة كثيرة جدا لهذه النظرية . الاتصالات الفضائية تســتخدم نظرية الاعداد المجردة ، وفي الانســان الالي نستخدم الهندســة الجبرية وفي الفيزياء الجزيئية تعتمد نظرية الرمز ، وفي علوم الحياة الجزيئي تستخدم نظرية العقد وفي تصفية النفط تستخدم الهندسة الاسقاطية .

ان الدرس الكبير الذي تساهم فيه الرياضيات في الحضارة هو ان اكثـر الافكار تجريدا هي اكثرها قوة واكثر المفكرين تجريدا هم اكثرهـم تأثيرا . يقول الفريد نورث وايتهيد « ان المحيرة التي تكشفت كاملة هي ان التجريدات

الشاملة هي الاسئلة الحقيقية التي نستخدمها للسيطرة على افكارنا حول الحقائق الملموسة (المادية) » •

ان فائدة الرياضيات للمجتمع اليوم اكبر من اي وقت مضى • فخبرة عدة عقود من التفاعل مع مجتمع علمي وتقني ساعدت في انضاج العلاقة بين الرياضيات ومستخدميها العلميين • نجد علماء اكثر يتدربون في الرياضيات ولذلك فان الفترة اللازمة للانتقال من الفكرة النظرية الى التطبيق سوف تستمر بالتقليص ، ان هذه الفترة قد تقلصت منذ الثورة العلمية من قرون الى عقود وفي الوقت الحاضر تقلصت هذه الفترة الى سنوات • على الرغم من هذه الظواهر الصحيحة ، يوجد اليوم قلق في اوساط الكثير من علماء الرياضيات ، فالرياضيات تتقدم على خط وهمي في المجتمع ، على الجهة الاولى منه تقع الاكثرية العظمى من غير العلميين التي ترفض تقريبا الاعتراف بوجود الرياضيات • في حين على الجهة الثانية من هذا الخط تقع اقلية صغيرة جدا ، وغالبا ما تكون شابة وتنجز اعمالا مهمة حتى ان مدرسيهم لا يفهمونها • ان هذا الواقع يشير الى خطر كبير • ان الفجوة بين الرياضيات والمجتمع كبيرة جدا اليوم بحيث ان الدعم العام للرياضيات واهدافها وقيمها غير كاف • ان احدى نتائج هذه الظاهرة هي عزوف الطلبة المتميزين من الالتحاق باقسام الرياضيات • ان الرياضيات وراء التقدم التكنلوجي والمجتمع الذي يطلب التكنولوجيا عالية لا يستطيع فهمها وفهم ما وراءها قد يفقد قابليته على ادامة هذه التكنولوجيا •

ان الرياضيات ، حسب تعبير ألن هاموند هي حضارتنا غير المرئية ، انها رحلة طويلة في عالم مصنوع ذاتيا لا يدخله الا عدد قليل من الناس • انه يمثل واحدا من افضل انجازات العقل البشري ؛ انتصار الدماغ (المنطق) على المادة (العلم) •

يقول وايتهيد ان الموسيقى فقط تنافس الرياضيات كافضل مخلوق اصلي للروح الانسانية ، انه يعطي متعة خاصة للقليل • لا غرابة اذن ان

الرياضيين حزينون الان الاشخاص المثقفين لا يعلمون ان الرياضيات موجودة • ولكن الرياضيات موجودة كنتاج ضروري لعقل الانسان • ان مفردات الانسان الاعتيادي بالرياضيات بدائية للغاية ، انها تعود الى قرون طويلة من الزمن • ان وصف ما يجري فعلا في الرياضيات اليوم للانسان الاعتيادي يشبه محاولة وصف الاقمار الاصطناعية الى مواطن في عصر الامبراطورية الرومانية الـذي يعتقد ان الارض مسطحة •

ان الاتجاه العام للمواطن الاعتيادي نحو الرياضيات هو مزيج من عـدم الاهتمام والخوف • فعلى الرغم من ان المواطن الاعتيادي يتحدث بفخر عـن عبقرية حفيده الذي حصل على درجة كاملة في الرياضيات في امتحان البكالوريا انه يبدو فخورا ايضا بجهله بالرياضيات • « إنني لم افهم النسب المئوية » كل شخص مثقف لا يجرأ على الاعتراف بجهله بقوانين الاقتصاد الا انه يفتخـر بعدم قابليته على فهم التفاضل والتكامل • ان غـير المختصين بالرياضـيات ، بصورة عامة ، واحيانا لبعض المختصين فيها ، لا يستطيعون تثمين المعرفـة الرياضية بصورة كافية تجعلهم يأسفون جهلهم بها •

ان ما يريده الانسان الاعتيادي من الرياضيات هو مدى فائدتها في حياته اليومية • ان الرياضيات التي يحتاجها في هذا المجال لا تتجاوز العمليـات الحسابية البسيطة • اما الرياضيات المجردة التي تمتد جذورها الى كاتـــوز وبول فهي لا تقع ضمن منظوره واهتمامه على الرغم من تطبيقاتها الهائلة • ان هذه الرياضيات هي جزء من حضارتنا غير المرئية •

كتب جيروم برونو ان الانسان المثقف يجب ان لا يبهر بالخرافة التـــي مفادها ان المعرفة المتقدمة هي نتيجة لقوة سحرية • من سوء الحظ ، ان كلا من الرياضيين والمربين يتآمرون لادامة هذه الخرافة • ان الطلبـة لا يريدون ان يفهموا لماذا تعمل الرياضيات ، انهم يريـدون فقط ان يعرفـوا كيف تستخدم ، الرياضيون لا يبذلون اي جهد لشرح الرياضيات للانسان الاعتيادي ، انهـم بصورة عامة مقتنعون بالبحث فقـط والحديث مع المختصـين • ولا يريدون

الانسان الاعتيادي ان يسمع عن الرياضيات خوفا منهم من اظهار ضعفهم •
والنتيجة هي فهم غير صحيح للرياضيات •

ان الرياضيات اليوم هي اكثر مما يعتقد الناس بصورة عامة (جبر ، تفاضل وتكامل وهندسة اقليدية) واكثر مما يعتقد معظم الرياضيين (جبر تحليل ، توبولوجيا) • ان علوم الرياضيات هي مواضيع واسعة ومعقدة توحدها طرق البحث وليس محتواها المشترك ، على الرغم من ان تأثيرها على المجتمع غالبا ما يكون خفيا ، انها اثرت في تحديد معالم عالمنا بصورة جوهرية وما زالت مستمرة في تأثيرها في كل جوانب حياتنا اليومية ولو بصورة غير مباشرة •

قبل اكثر من قرنين وقبل دارون ، اعتقد الشخص المثقف ان صيغ الحياة ساكنة ، كذلك اليوم ، يعتقد الانسان المثقف ان صيغ الرياضيات ساكنة ، هذه الصيغ وضعها اقليدس ونيوتن وربما اينشتاين • الطلبة الذين يدرسون الرياضيات اليوم يرونها ساكنة لا تنمو ولا تتغير • ان دراسة الرياضيات من معظم الطلبة يعني تمرينا في الحفظ للرموز والتعاريف والمبرهنات ووسائل حل مختلفة •

ان الطلبة نادرا ما يدركون ان الرياضيات تنمو باستمرار ، الرموز تتغير ، مظنونات تظهر ، مبرهنات تبرهن ، وامثلة مضادة تكتشف • ان ضغط المسائل الجديدة ، ولاسيما تلك التي تطرح حول الحاسوب ، تدفع الباحثين الى خلق رياضيات جديدة باستمرار ووضع رياضيات اخرى في الارشيف •

من المعلوم انه توجد صعوبات كبيرة يلاقيها العلماء عندما يريدون شرح نتائج اعمالهم لغير المختصين • إلا ان العاملين في العلوم التجريبية كانوا اكثر نجاحا في توضيح دور اختصاصاتهم للانسان الاعتيادي المهتم وزيادة اهتماماته بها ، ولو انه قد لا يفهم طبيعتها • في حين ان الرياضيين ولاسيما رياضيو القرن العشرين وما بعده يتعاملون مع رموز مجردة يصعب ادراكها من غير المختصين

العزلة القائمة بين العاملين بالرياضيات وافراد المجتمع الاخرين ، ويبدو ان الطرفين يساهمان في ادامتها ، تساعـد في جعل الرياضيات غـير مرئية • ان الفرد الاعتيادي يفضل ان لا يتذكر باستمرار بضعفه في الرياضيات في حـين يرحب الكثير من العاملين بالرياضيات بنقص اهتمام المجتمع باختصاصهم حتى يتجنبوا مشكلة شرح اهمية الرياضيات للاخرين وهي مشكلة صعبة جدا •

اضف الى هذا ، ان للرياضيات تأريخا طويلا جدا يعود الى اكثر مـن ٤٠٠٠ عام وان شرائح كبيرة جدا من المجتمع لا تعرف شيئا عن الرياضيات يقل عمرها عن ٢٠٠٠ سنة وخريجوا المدارس الثانويـة لا يتعدون في تعليمهـم الرياضيات التي عرفت في القرن السابع عشر • وان نسبة حوالي ٧٠٪ مـن الرياضيات التي يدرسهـا طالب الرياضيات في الدراسات الاوليـة معروفة في القرن التاسع عشر الى حد كبير • (ان هذا الا يعني تخلفا في مناهج الرياضيات وانما يعكس طبيعة الرياضيات نفسها) •

من الواضح ان الرياضيات التي يدرسها تلميذ المدرسة الثانوية ، وحتى الطالب الجامعي لا تعطي الصورة الصحيحة للرياضيات ، واذا اضفنا الى هذا بأنها لا تدرس بالطريقة الصحيحة فان هذا يجعل الامر اكثر سوءا •

بعض انجازات الرياضيات في العقود الاخيرة

ندرج ادناه قائمة متميزة لبعض انجـازات الرياضـيات في السـنوات الخمس والعشرين الاخيرة • ان هذه الاكتشافات والاختراعات في الرياضيات لا تقل في اهميتها عن التطورات التي حصلت في الهندسة الوراثية وعلـوم الفضاء في الفترة نفسها ، ولكن على الرغم من اهميتها ، كانـت غير مرئيـة بصورة عامة للشخص المثقف •

سنة ١٩٧٦ : حل مسألة الالوان الاربعة وهـي المبرهنة الرئيسة الاولـى في الرياضيات التي برهنت باستخدام الحاسوب •

سنة ١٩٧٧ : بداية اكتشاف الكسوريات ، عالم الابعاد الكسرية الذي ينتج عنه صور بيانية رائعة للعمليات التكرارية • وسنتكلم على هذا الموضوع في الملحق •

سنة ١٩٧٨ : حل مظنونة سير الشهيرة في نظرية الاعداد الجبرية •

سنة ١٩٧٩ : اكتشاف طريقة جديدة من قبل رياضي روسي لحل مسائل البرمجة الخطية •

سنة ١٩٨٠ : الانتهاء من حملة واسعة امتدت لقرن كامل من الزمن لتصنيف كامل للزمر البسيطة •

سنة ١٩٨١ : برهان مظنونة بوينكاريه في الابعاد الاربعة مما ادى الى اكتشاف نماذج جديدة للفضاء ــ الزمن غير متشاكلة مع النماذج الاعتيادية•

سنة ١٩٨٣ : برهان مظنونة مورديل القديسة حول الحلول الصحيحة لمعادلات جبرية •

سنة ١٩٨٤ : حل مظنونة بيبرباخ حول سرعة نمو المعاملات في الدوال التحليلية•

سنة ١٩٨٥ : ايجاد طريقة جديدة مبنية على المنحنيات البيضوية لتحليل اعداد كبيرة جدا •

سنة ١٩٩٠ : اكتشاف متعددة حدود لا متغيرة للعقد •

سنة ١٩٩٤ : ايجاد برهان لمبرهنة فيرما •

ان هذه القائمة المختصرة توضح حيوية العلوم الرياضية وتنوعها • إلا ان هذه القائمة لا توضح وحدة الرياضيات • توجد علامات كثيرة تشير الى ان العلوم ارياضية اليوم تعيد تقاربها بعد عقود من النمو المتباعد • حقول نشطة مثل السلوك الفوضوي للنظم الدينامية ، المسائل عليلة الصياغة ، الاحصاء الحسابي ، المعادلات اللاخطية ، كلها تستخدم طرقا من اجزاء متباينة من الرياضيات لغرض مواجهة مسائل عميقة فيها • وحديثا توجد اكتشافات جديدة ومهمة في نظرية العقد • تستخدم طرقا من جبور المؤثرات سبق ان استخدمت في بداية القرن العشرين لمعالجة مسائل في ميكانيك الكم وهذه

الطرق توفر مفتاحا لبناء نظرية العقد التي تجد استخداما واسعا في دراسة الـ DNA • ان احدى الاتجاهات السائدة للعلوم الرياضية هو التوحيد للنظرية والتطبيق • اما التوجه المهم الاخر والاكثر مرئية هو التفاعل المتزايد بين الرياضيات وعلوم الحواسيب • ان استخدام الرياضيات كماكنة للرياضيات التجريبية ودور الرياضيات في بناء خوارزميات للحواسيب المتطورة يوفر شاهدا واضحا وقويا على ان الرياضيات ليست علما ميتا ، وانما هي علم يخلق باستمرار لمواجهة التحديات الداخلية في الرياضيات وخارجها •

ان التعليم بان الرياضيات حية ليس كافيا ، علينا ان نهيىء الطلبة ليعيشوا مع الرياضيات ومع الذين يستخدمونها • ان القضايا ذات الاهمية الكبيرة في التربية هي تلك المتعلقة بالسحر : كيف يمكننا ان نضمن ان الشخص المثقف لا يكون عاجزا تجاه الاف الافكار السحرية الرياضية التي تسيطر على حركة العلوم الحديثة والمجتمع

اذا كان للرياضيات هذا الدور الكبير في التأثير في المجتمع وتوجيه تطوره ولو بصورة خفية ، فلا بد من ان يدرك المجتمع وجود هذه الرياضيات ويفهم طبيعتها وحيويتها ويقدر العاملين فيها ويتعلم كيف يمكن ان تحسن ادائه في عمله حتى وان لم يكن مختصا بالرياضيات •

يقترح لن ارثر ستين عددا من الافكار نذكر منها ما يأتي :

١ ـ تأكيد الفهم الاساسي للمبادىء من اقسام متنوعة في الرياضيات : مبرهنة الغاية المركزية في الاحصاء ، المبرهنة الاساسية لحسبان التفاضل والتكامل ، مبدأ المرادفة في البرمجة الخطية • ان الافكار العميقة لهما اهمية دائمة وترد مع نتائج ذات علاقة في حقول اخرى •

٢ ـ تأكيد الاواصر المهمة بين الرياضيات والاختصاصات الاخرى • ان العلوم الرياضية لا تستخدم فقط في الفيزياء والهندسة ، بل في حقول متنوعة

كثيرة مثل اللغات ، علوم الحياة ، الاقتصاد ، علم النفس ، العلوم السياسية والفنون • ان قوة الرياضيات تظهر بوضوح ليس في حقيقة كونها قابلة للتطبيق وحسب ولكن في التنوع الهائل لتطبيقاتها •

٣ ـ بناء نماذج رياضية عند تدريس العلوم ، ان تدرس العلوم دون استخدام الرياضيات مثل عرض نتائج دون محاججة واستنتاجات دون ادلة • ان عمل هذا يسبب إخفاق اظهار المعرفة الطبيعية بين الطريقة العلمية والنمذجة الرياضية ويشوه في ذهن الطالب طبيعة البحث العلمي •

٤ ـ تأكيد التعقيد في المنظومات المعقدة ، يجب ان نبين كيف يمكن للنظام ان يخلق فوضى (اضطراب) • ان دراسة الفوضى برزت كاحدى الظواهر الرئيسة للبحث العلمي •

والخلاصة : يجب ان نسعى الى ان يتسم طلبتنا بالمواصفات الاتية :

١ ـ ثقافة كافية تؤهلهم لفهم الصعوبات •

٢ ـ ثقة كافية بالنفس تشجعهم لمعالجة قضايا فنية صعبة •

٣ ـ مقدار من الشك يجعلهم يسألون الاسئلة الصحيحة •

٤ ـ مقدار من الصبر يجعلهم يلحون على اجوبة مناسبة •

٥ ـ حس التقدير لاختيار ما هو صحيح •

ان هذه النوعيات من الادمغة هي التي يجب ان تجعل الرياضيات منظورة في حضارتنا •

الملحـــق

نظريـة الفـوضى

في الوقت الذي كانت فيه الرياضيات التقليدية لنيوتن تفسر العالم المنتظم القابل للتكهن ، ان هذه الرياضيات لا تستطيع ان تفسر الاضطراب الــــذي يحصل عندما يمر الهواء فوق جناح الطائرة ، او عندما يجري الدم خلال صمام القلب . خلال العقود الثلاثة او الاربعة الاخيرة بـدأ علماء الرياضيات يدركون اهمية ما رآه كانتور قبل اكثر من قرن من الزمن ؛ ان المنظومات المنتظمــة يمكن ان تخلق سلوكا فوضويا (مضطربا) ، وان الفهم الكامل للمنظومـات المعقدة يتطلب فهما شاملا لكل من الظواهر الاعتيادية والغريبة .

يقول الرياضيون ان النظام الذي يصف حركة او سلوك جسم معين يكون فوضويا اذا كان تغيره (اي تغير حركة الجسم الذي يمثله النظام) غير عشوائي ولكن لا يمكن التكهن بمخطط له . ونظريـة الفوضى هي تلك الدراسة التي تعنى بهذا النوع من السلوك . فعلى الرغم من عدم امكانية التكهن بمخطط هذه الحركة وشكلها فان التحليل الرياضي غالبا ما يتمكن من وصف هـــذه الحركة باختصار ، ان نظرية الفوضى تسعى لايجاد نظام في الحركات التـي تبدو مضطربة او فوضوية .

ان اهم ما يميز الانظمة الفوضوية هي حساسيتها للشـروط البدائيـة ، فتغيير بسيط في القراءات الاولية يمكن ان يولد تغييرا كبيرا لاحقا في سلوك النظام . كما ان الانظمة الفوضوية تتصف باللااستقرارية ، ان اللااسـتقرارية هي جزء من المحيط الذي نعيش فيه وجزء من حضارتنا .

خلال القرن التاسع عشر كان يوجد نوعان من النظريات للمنظومـات المتحركة : نظريات يقينية ونظريات تعتمد الاحتمالية . في الاولـى يتحــدد المستقبل من الماضي من غير الحاجة للاعتماد على الاحتمالية . في حين في الثانية

يعتمد المستقبل بصورة عشوائية معينة على الماضي ولا يمكن تحديده منه • ان حركة دقائق الغبار في الجو هي مثال على النوع الثاني من النظريات • في حين ان قوانين نيوتن للحركة هي امثلة تقليدية لليقينية حيث بواسطتها يمكن تحديد طبيعة حركة الجسم في المستقبل من طبيعة حركته في اية لحظة • فبواسطة قوانين نيوتن التي وضعها نيوتن قبل اكثر من ٣٠٠ سنة ، الموقع الحالي للشمس والكواكب السيارة وسرعتها تحدد موقعها وسرعتها في اي وقت ماضي او مستقبلي •

ان نظرية الفوضى جاءت بنوع آخر من النظريات • ان تحليل رياضي بسيط يبين ان المنظومات البسيطة التي تخضع لقوانين نيوتن في الحركة ، لا يمكن التكهن بما سيحصل لاحقا على المدى البعيد والسبب يعود الى وجود لا استقرارية متواصلة وهذا غالبا ما يظهر عندما يتعرض الجسم لتأثير اكثر من قوة واحدة •

ان مفهوم السلوك الفوضوي يعم كل العلوم تقريبا والفوضى موجودة في كل مكان في الطبيعة • لقد لاحظ العلماء سلوكا فوضويا في ضربات قلب الانسان تحت ظروف معينة • وقد لاحظ العلماء حركة فوضوية في حركة الكواكب في المنظومات الكونية وفي الاقمار الاصطناعية ، المذنبات في المنظومة الشمسية وفي النبضات الكهربائية للدماغ وفي الدوائر الكهربائية ، حركة الدقائق الصغيرة في مجرى مائي وغيرها •

وقد بدأ علماء الاحياء باستخدام مفاهيم الحركة الفوضوية في دراستهم لمواضيع مختلفة مثل نمو تجمعات الحشرات والاسماك ، انتشار الامراض المعدية • وقد بدأت مؤخرا محاولات لدراسة كيفية انتقال فايروس نقص المناعة وتوجد محاولات لاستخدام مفاهيم الحركة الفوضوية في دراسة بعض التفاعلات الكيميائية وتوقعات الزلازل الارضية والانفجارات الشمسية وتوجد دراسات واسعة جدا لدراسة احوال الجو باستخدام هذه المفاهيم •

لقد ازداد اهتمام الرياضيين بنظرية الفوضى حديثا . ان اسباب هذا الاهتمام المتزايد تعود الى الامور الاتية :

أ ــ ان مفهوم الفوضى ــ كما رأينا اعلاه ــ يتغلغل في كل العلوم تقريبا .

ب ــ الافكار المتعلقة بالفوضى لا تمثل انجازا فكريا للعلماء والرياضيين حسب بل هي تمثل طريقة جديدة للتفكير لكثير من الناس وفي نواحٍ عديدة من الحياة

جـ ــ ان السبب الثالث لدراسة الفوضى يأتي من الرياضيات نفسها . ان نظرية الفوضى تتضمن افكارا رياضية جميلة جدا ويمكن فهمها من الذين لا تتعدى دراستهم في الرياضيات لموضوع التفاضل والتكامل . بالاضافة الى هذا ، توجد مسائل متنوعة كثيرة مفتوحة في الموضوع يمكن صياغتها بسهولة .

إن احد الاسباب الرئيسة التي دفعت الانسان الى دراسة الرياضيات هي مجالها . ان بعض الصور التي حصل عليها الرياضيون بواسطة الحواسيب للسلوك الفوضوي تتسم بدرجة عالية من الجمال ويطلق الرياضيون على المجموعات التي تمثلها هذه الصور اسم كسوريات .

الكسوريات والهندسة الكسرية Fractals and Fractal Geometry

في الماضي ، كان الرياضيون يهتمون بالمجموعات والدوال التي يمكن استخدام طرق التفاضل والتكامل لدراستها . اما المجموعات والدوال التي لا تكون صقيلة بدرجة كافية او منتظمة فكانت تهمل باعتبارها غريبة ولا تستحق الدراسة . كانت هذه المجموعات تعتبر متفرقات شاذة لا يمكن التفكير بدراستها كصنف يخضع الى نظرية مناسبة .

في السنوات الاخيرة ، تغير هذا الاتجاه . لقد ادرك بانه يمكن القول اشياء كثيرة جدا تستحق الذكر حول الرياضيات المتعلقة بدوال غير الصقيلة .

فضلا عن هذا ، فان المجموعات غير المنتظمة مع الـدوال غير الصقيلة تعطـي تمثيلا افضلا للكثير من الظواهر الطبيعية من الاشكال التي تدرس في الهندسة التقليدية . الهندسة الكسورية توفر الاطار العام لدراسة هذه المجموعات غير المنتظمة . والمجموعات التي تدرس ضمن هذا الموضوع تسمى كسوريات .

كان فاندر بولت الرائد في هذا النوع الجديد من الرياضيات، الكسوريات. وقد شرح العديد من افكاره في عدد من المقالات والكتب اهمها كتابه الموسوم The fractal geometry of nature ادرك فاندر بولت ان احدى الطرائـق لفهم السلوك الغريب للمجموعـات التي اكتشفها كانتـور والرياضيون الذين تبعوه يمكن أن يتم من خلال النظر الى هذه المجموعات كمخلوقات ذات ابعـاد كسرية (وهنا جاءت كلمة كسوري) . تعرف الكسوريات بأنها مجموعات يزيد بعدها الهاوزدورفي على بعدها التبولوجي .

ان الالتواء غير المحدد لساحل صخري او الاغشية الرئوية هي ظواهـر طبيعية افضل ما يمكن ان يستخدم لنمذجتها هي مجموعات ذات ابعـاد كسرية . الساحل الصخري هو اكثر من مجرد خط ملتو ذي بعـد واحـد ، ولكن اقل كثيرا من منطقة ذات بعدين . كما ان الاغشية الرئويـة هي سطوح تملأ الرئتين ذات الابعاد الثلاثة . ان النظرية الرياضية للكسوريات ادت الى صور مدهشة متولدة بواسطة الحواسيب لعوالم اصطناعية . انها تحقيـق للمبادرة التي بدأها كانتور في اكتشاف المجموعات الشاذة .

لقد وجد الفيزيائيون في نظريـة الفوضـى والهندسة الكسورية وسيلة جيدة لزيادة فهمهم للطبيعة . يقول كيرد بيتنك الحائز على جائزة نوبـل في الفيزياء « البحث في الفوضى من اكثر مجالات البحث ، انني مقتنـع بـان البحث في الفوضى سوف يؤدي الى ثورة في العلوم الطبيعيـة شبيهة بالثورة التي ولدتها نظرية الكم » .

لابد من الاشارة الى ان كل من نظرية الفوضى والهندسة الكسورية لها مؤيدوها الرياضيين كما يوجـد من المنتقديـن الذيـن يعتبرونها ليست بذات فائـدة .

نظرية الكــوارث Catastrophe Theory

نظرية الكوارث هي طريقة رياضية حديثة نسبيا لوصف تطور الصـيغ في الطبيعة • اخترعت هذه النظرية من قبل العالم الفرنسي رينيه توم الـذي كتب كتابا بعنوان Structural stability and morphogenesis سنة ١٩٧٢ شرح فيه فلسفته في الموضوع • ان هذه النظرية يمكن تطبيقها بصورة خاصـة في المواقف التي تكون فيها قوى متغيرة بالتدريج تؤدي الـى تأثيرات مفاجئة ، غالبا ما يطلق على هذه التغييرات اسم كوارث لان تصورنا لاستمرارية القوى يجعل التغيرات غير المستمرة للتأثيرات غير متوقعة • فمثلا التغيرات التـي تحصل في حالة المواد عند انتقالها من الحالة السائلة الى الحالة الغازية وتوقف قلب الانسان الجالس امام التلفزيون هي تغيرات مفاجئة • كما ان النـزاع الاسري الذي يحصل بين رجل وزوجته الذي يؤدي الى انفصال الزوجـين نتيجة حوار بسيط حول قضايا تافهة انما هو تغير مفاجيء غير متوقع •

ان موضوع التفاضل والتكامل الذي ثبتت اهميته في معالجة العديد من المشاكل الفيزيائية وغيرها لا يمكن ان يستخدم في معالجة هذا النوع مـن المواقف لان الموضوع بطبيعـة يتعامـل مـع مواقف تتغـير باستمرار بتغير العوامل المؤثرة •

ان نظرية الكوارث تعتمـد على افكـار عميقة وحديثة نسبيا في هندسـة فضاءات ذات ابعاد عديدة وهذه النظرية تعطي تصنيفا لطرق حصول عـدم الاستمرارية بدلالة عدد قليل من الاشكال اطلق توم على هذه الاشكال اسم الكوارث الابتدائية •

من الامور المهمة حول نظرية الكوارث هـو انه على الرغـم مـن ان الرياضيات التي تدخل في برهان النظرية ، رياضيات متقدمة الا ان الكـوارث الابتدائية سهلة الفهم نسبيا ومدهشة ويمكن استخدامها من قبل العلمـاء غير المختصين بالرياضيات •

وجدت نظرية الكوارث تطبيقات واسعة في الفيزياء ، والعديد من الامثلة التقليدية في الفيزياء امكن تفسيرها كمحاولات خاصة من كوارث واطئة البعد • كما وجدت النظرية تطبيقات واسعة في علوم الحياة ، حيث توفر النظرية نماذج لتطور الاجنة ، النمو والسلوك ، هذا بالاضافة الى تطبيقات النظرية في علم الاجتماع •

ان لنظرية الكوارث جوانب رياضية بحتة وجوانب تطبيقية كما اشرنا آنفا • ولكن لها ايضا جانب فلسفي • ان وجود سبعة كوارث ابتدائية تمثل نماذج مختلفة في مواقف علمية واجتماعية متباينة يشير الى وجود شيء مشترك بين هذه المواقف •

المصـــــادر

1. Allen L. Hammond, Mathematics, our invis:ble culture, Mathematies Today 1978.
2. Benoit B. Mandelbrot, The Fractal Geometry of Nature 2nd Edition 1982.
3. Ian Percival. Chaos. A science for the real world New Scient:st 1989.
4. Lynn Arthur Steen, Mathematics: Our invisible culture, Preprint.
5. E. C. Zeemann, Catastrophe theory, 1977.

رسالة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى أبي موسى الاشعري في القضاء

باسل طه جاسم

يهدف البحث الى مناقشة الحقائق التي تشير الى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يقم بارسال الرسالة التي نسبت اليه في القضاء الى واليه أبي موسى الاشعري (رضي الله عنه) • وأنه اذا كان هناك بعض المبادىء التي تضمنتها الرسالة والتي قد صدرت فعلاً من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على شكل وصايا فان بعض المبادىء الفقهية والتشريعية التي تضمنتها الرسالة يمكن ان تكون من وضع العهود المتأخرة من عصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أو ما يسمى بعصر ما بعد الصحابة . وسواء أصدر هذا الكتاب عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى أبي موسى الاشعري أم لم يصدره (فهو كتاب حوى مبادىء هامة وقواعد قيمة في أصول القضاء وما حواه يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية الامر الذي يحملنا على التمسك به كأصل في القضاء) •

تمهيـــد :

وجه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عددا من الكتب والرســائل التي تتعلق بالقضاء الى بعض قضاته وولاته على الأمصار كان بعضها قصيرا مختصرا وبعضها الآخر طويلا مفصلا وقد حوت هـذه الكتـب والرسائـل موضوعات شتى منها ما اقتصر على الجانب التوجيهي ومنها ما كان يتعلـق بتبيان حكم في قضية في حين يتعلق طائفة منها بأسلوب القضاء ومنهجه •

ومن الرسائل الشهيرة المعزوة الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الرسالة المعروفة «بسياسة القضاء وتدبير الحكم» المرسلة كمـا تذكر المصادر التاريخية الى أبي موسى الاشعـري والتي حـوت سنن التقاضـي والاجتهاد القضائي وآداب القضاء وقـد أثارت تلك الرسالة الجـدل بين عـدد من المؤرخين القدماء وغيرهم من المحدثين وظروا اليها من حيث حقيقتها التاريخية وجعلوا نسبتها الى الخليفة محل ظر لاسيما وهذه الرسالة لم يرد لهـا ذكر في كتب (مالك والشافعي وابن حنبل ولا في الصحيحين) وأن المؤرخـين الذين ذكروها تختلف أسانيدهم كل الاختلاف وان ابن حـزم نازع في صحتهـا ، يضاف الى ذلك اختلاف ألفاظها سواء في كلماتها أو في جملهـا وثمة موضع آخر للجدل في اسناد رسالة عمر (رضي الله عنه) في القضاء اليه وهو تنـاقض بياناتها التاريخية فقد ذكرت فيها مصادر الشرع الاســلامي (الأدلة) وذكـر من جملتها (القياس) التي لم يصح القياس وسيلة للاستنباط قبـل بـداية (القرن الثاني للهجرة) ومن جهة أخرى فان بعض قيود « الشهادة » وردت في النص المذكور في حين لم تعد هذه القيود مرعية بعد عهد عمر (رضي الله عنه)•

وسنتناول بالنقاش والتقويم هذه الرسالـة الموجهـة الى أبـي موسى الاشعري التي أطلق عليها كما مر آنفا (سياسة القضاء وتدبـير الحكم) أو ما يعرف بأسلوب عمر (رضي الله عنه) ومنهجه بالقضاء مبتدئين بعرض هذه الرسالة كما أوردتها المصادر التاريخية •

رسالة الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى ابي موسى الاشعري :ـ

روى أحاديث لايتابع عليها . قلت وقال الازدي منكر الحديث . وقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى أبي موسى الاشعري كتابا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله عمر أمير المؤمنين الى عبدالله بن قيس ، سلام عليك ، أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلي[2] اليك

---

(١) ورد الكتاب او الرسالة في ابن قتيبة / ابو عبد محمد بن مسلم : عيون الاخبار (القاهرة ـ ١٩٦٣) ، م١ / ص ٦٦ . الجاحظ / ابو عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبيين ، (بيروت ١٩٦٨) ج٢/ص ٢٣٧ . المبرد / محمد بن يزيد : الكامل (القاهرة ـ ١٩٥٦) ج١ / ص ١٢ـ١٣ . وكيع / محمد بن خلف بن حيان : اخبار القضاة (بيروت ـ د ، ت) ، ١/ص ٧٠ـ ٧٣ . ابن عبد ربه / ابو عمر احمد بن محمد : العقد الفريد ، (القاهرة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ١/ص ٨٦ـ٨٨ . الماوردي / ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب : الاحكام السلطانية والولايات الدينية (مصر ـ د.ت) ص ٦٨ . البيهقي / ابو بكر احمد بن الحسين بن علي : السنن الكبرى (حيدر اباد ـ ١٣٥٥ هـ) ج ١٠ ص ١٥٠ ، ووردت الرسالة مجزءة ايضا مع الشرح في صفحات اخرى ، ص١١٥ ، ١١٩ ، ١٣٥ . الشيرازي / الشافعي : طبقات الفقهاء ، ص ٣٩ـ٤٠ ، حيث يذكر الرسالة الى حد « فقس الامور عند ذلك بأشبهها بالحق» . السرخسي / شمس‌الدين :المبسوط ، (مصر ١٣٢٤هـ) ج١٦ ص ٦٠ـ٦٥ مع الشرح . ابن الجوزي / ابو الفرج عبدالرحمن : سيرة عمر بن الخطاب (القاهرة ـ د.ت) ص ٩٣. ابن القيم الجوزيه ، شمس‌الدين ، أعلام الموقعين (بيروت ـ ١٩٧٣) ج١ ص٨٥ـ٨٦. ابن خلدون /عبدالرحمن : المقدمة (بيروت ـ ١٩٨١م) ص ١٧٤ـ١٧٥ . القلقشندي / أبو عباس احمد بن علي بن عبدالله : مآثر الانافه (بيروت ـ ١٩٦٤) ج٣ ص١٨٠ـ١٨٢ . راجع ايضا حميد الله / محمد مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي (القاهرة ـ ١٩٥٦) ص ٣١٦ ، حيث يورد الرسالة في جميع هذه المصادر الا انه لايتطرق اليها في وكيع : اخبار القضاة ، الشيرازي الشافعي : طبقات الفقهاء : ابن الجوزي : سيرة عمر . القلقشندي : مآثر الانافه .

(٢) في العقد : اذا ادلى اليك (الخصم) . وزيد في مآثر الانانه « وانفذ اذا تبين لك » .

فـانه لاينفع تكلـم بحق لا نفاذ لـه[٣] . اس بـين النـاس[٤] في مجلسك ووجهك[٥] حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف في عـدلك[٦] البينة على من ادعى[٧] واليمين على من أنكر ، والصلح جائز بين النـاس[٨] الا صلحا[٩] أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس[١٠] فراجعت فيه نفسك[١١] وهديت لرشدك[١٢] ، أن ترجـع الـى الحـق[١٣]

---

(٣) في طبقات الفقهاء : زيدت كلمـة (فيما) أدلي اليـك . وزيـد بعـد عبـارة (بحق لا نفاذ له) بين الناس .

(٤) في أخبار القضاة وسيرة عمـر : واس بـين (الاثنين) في اعـلام الموقعـين (اس النـاس) .

(٥) في الكامل ، والاحكام : وجهك وعدلك ومجلسك . طبقات الفقهاء : فـي لفظك ولحظك ومجلسك . السنن الكبرى : في وجهك ومجلسك وقضائك. اعلام الموقعين : في مجلسك وفي وجهك وقضائك .

(٦) في البيان ، والعقد ، ولا يخاف ضعيف من جورك ، في اخبـار القضـاة ولا يأيس وضيع في سيرة عمر : ولا يياس وضيع .

(٧) طبقات الفقهاء وأعلام الموقعين: على المدعي .
عبارة البينة على من ادعى واليمين على من انكر : في اخبار القضاة ، وسيرة عمر تأتي بعد عبارة (والا وجهت اليـه القضاء) أي تغيير كبير في تسلسل الفقرات حيث تأتي بعد عدة فقرات مما موجود في المصادر الاخرى .

(٨) في البيان ، الكامل ، العقد ، الاحكام ، المبسوط ، المقدمة ، مآثر الانـافة (بين المسلمين) . في اخبار القضاة زيدت كلمة (فيما) بين الناس . عبارة (والصلح جائز ..) في أخبار القضاة وسيرة عمر تأتي قبـل نهـاية الرسالة بعبارة واحدة فقط .

(٩) كلمة (الا صلحا) غير موجودة في اخبار القضاة .

(١٠) في الكامل (قضيته اليوم) . انظر أيضـا البيهقي ، السـنن الكبـرى (من قضاء قضيته اليوم) .

(١١) في الكامل : (فيه عقلـك) . العقد : (ثم راجعت فيه نفسك) .الاحكام. والمقدمة (اليوم فيه عقلك) . مآثر الانافـة : (فيه اليـوم عقلك) ، السنن الكبرى : (فراجعت فيه لرايك) .

(١٢) في العقد ، واخبار القضاة ، والسنن الكبرى زيد كلمة (فيه) لـرشدك ، في سيرة عمر : (وأهديت فيه) .

(١٣) في البيان ، والعقد : (أن ترجع عنـه) . السنن الكبـرى : (ان تـراجـع فيه الحق) . في اعلام الموقعين : (ان تراجع فيه الحق) . في أخبار القضاة وسيرة عمر : (فان مراجعة الحق) .

فان الحق لايبطله شيء[١٤] واعلم ان[١٥] مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل[١٦] . الفهم الفهم فيما يتلجج[١٧] في صدرك[١٨] مما ليس في قرآن ولا سنة[١٩] واعرف[٢٠] الأشباه والأمثال[٢١] ثم قس[٢٢] الامور عند ذلك[٢٣] ثم اعمد لأحبها[٢٤] الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى[٢٥] اجعل[٢٦]

---

(١٤) عبارة (لا يبطله شيء) غير موجودة في البيان ، الكامل ، العقد ، اخبار القضاة ، الاحكام ، سيرة عمر . في العقد فان : (الحق قديم) . في السنن الكبرى (لا يبطل الحق شيء) . في أعلام الموقعين : (فان الحق قديم لايبطله شيء) .

(١٥) كلمة (واعلم ان) غير موجودة في بقية المصادر .

(١٦) في العقد : (والرجوع اليه خير من التمادي على الباطل) .

(١٧) في البيان : (عندما يتلجلج) . في الكامل والاحكام ومآثر الانافة (فيما تلجلج) .

(١٨) في اخبار القضاة : بعد (في صدرك) زيدت (ويشكل عليك) في سيرة عمر :بعد (في صدرك) زيدت (فيشكل عليك) .

(١٩) في البيان : (مما لم يبلغك في كتاب الله ولا سنة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ) . في الكامل : (مما ليس في كتاب ولا سنة) . في اخبار القضاة وسيرة عمر : (ما لم) ينزل في الكتاب ولم تجربه السنة . في العقد : (مما لم يبلغك به كتاب الله ولا سنة نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ) . في طبقات الفقهاء : (مما ليس في نص كتاب ولا سنة) . في السنن الكبرى: (فيما أدلي اليك مما ليس في قرآن ولا سنة) . الاحكام : (مما ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه) .

(٢٠) في الكامل ، طبقات الفقهاء ، المقدمة : مآثر الانافة : (ثم أعرف) .

(٢١) في البيان ، العقد ، الاحكام ، المقدمة ، الامثال والاشباه) . في اعلام الموقعين (واعرف الامثال) . في طبقات الفقهاء : (الاشكال والامثال) .

(٢٢) في الكامل ، طبقات الفقهاء : (فقس) . في البيان ، العقد ، الاحكام ، المقدمة : (وقس) . في السنن الكبرى ، اعلام الموقعين : (ثم قايس) .

(٢٣) في المقدمة بعد كلمة (الامور) زيدت (بنظائرها) . في اخبار القضاة بدل (عند ذلك) بعضها ببعض . في مآثر الانافة : عند ذلك بنظائرها .

(٢٤) في البيان ، العقد ، اعلام الموقعين : (الى احبها) . في الكامل : (الى اقربها) . في اخبار القضاة : (فانظر اقربها الى الله) . في سيرة عمر : (وانظر اقربها الى الله عز وجل) .

(٢٥) (فيما ترى) غير موجودة في الكامل وطبقات الفقهاء .

(٢٦) في الكامل ، والاحكام ، والمقدمة : (واجعل) .

لمن ادعى[٢٧] حقا غائبا[٢٨] أحدا ينتهي اليه فان أحضر بينـــة[٢٩] أخذ بحقه[٣٠] وإلا استحللت[٣١] عليه القضاء[٣٢] والمسلمون[٣٣] عــدول في الشهــادد إلا مجلــودا[٣٤] في حد[٣٥] أو مجــربا عليــه شهــادة زور أو ظنينا في ولاء[٣٦]

---

(٢٧) في البيان ، العقد ، واجعل للمدعي .

(٢٨) في البيان ، الكامل ، السنن الكبــرى ، الاحكــام ، اعــلام المــوقعين ، المقدمة : (غائبا او بينة) .

(٢٩) الكامل ، المقدمة : احضر بينته . في اخبار القضاة او ســيرة عمر : او (بينة عادلة) ، السنن الكبرى ، (فان جاء ببينة) . في اعــلام الموقعين : فأن بينة . البيان : (فأن احضر ببينته) .

(٣٠) في البيان ، العقد ، مآثر الانافة : اخذت له بحقه . في الســنـن الكبــرى واعلام الموقعين : اعطيته بحقه . في اعلام الموقعين : بعد كلمة (بحقه) زيدت (وان اعجزه) . في السنن الكبرى : بعد كلمة (بحقه) زيدت (وان اعجزه) .

(٣١) في البيان ، والعقد : (والا وجهت) .

(٣٢) في الكامل ، السنن الكبرى ، اعلام الموقعين : (عليه القضية) . في المقدمة ومآثر الانافة : القضية عليه . في البيان : بعد كلمة (القضاء) زيدت عبــارة (فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وابلغ في القدر) . في العقد : بعد كلمة (القضـاء) زيدت عبارة (فأن ذلك أجلى للعمى وأبلغ في القدر) . في الكامل، الاحكام ، المقدمة ، مآثر الانافة : فانه (الاحكام ، المقدســة : فان ذلــك) انفى وأجلى للعمى (المقدمة : للعماء) .في أعلام الموقعين: فان ذلك هو ابلــغ في القدر وأجلى للعماء .

(٣٣) الكامل ، اخبار القضاة ، سيرة عمر ، المقدمة ، مآثر الانافة : المسلمون .

(٣٤) في البيان ، العقد ، الكامل ، اخبار القضاة ، سيرة عمر ، المقدمة : (فاثر عدول بعضهم على بعض الا مجلودا) . في الســنن الكبرى : (عدول بعضهم على بعض في الشهادة الا مجلودا) . في اعلام الموقعين : (عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور او مجلود) .

(٣٥) في اخبار القضاة ، ومآثر الانافة : (حدا) .

(٣٦) في الكامل ، والاحكام ، ومآثر الانافة : ولاء او نسب . في المقدمة : نسب أو ولاء . في العقد : في ولاء او قرابة او نسب .

أو قرابة . إن الله تولى منكم السرائر[٣٧] ودرأ عنكم بالبينات[٣٨] . إياك والقلق والضجر[٣٩] والتأذي بالخصوم[٤٠] في مواطن الحق التي يوجب الله بها الاجر ويحسن الذخر[٤١] فانه من صلحت سريرته فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس[٤٢] ومن تزين للدنيا بغير ما يعلم الله منه شأنه الله[٤٣] والسلام .

---

(٣٧) في البيان : (فان الله قد) . في الكامل : (فان الله) . في العقد : (فان الله عز وجل) . في المقدمة والاحكام : فان الله (الاحكام : سبحانه) (عفا عن الايمان ودرأ) . في السنن : (فان الله عز وجل تولى من العباد السرائر) . في اعلام الموقعين : (فان الله تعالى تولى من العباد السرائر). في مآثر الانافة (فان الله يتولى السرائر) .

(٣٨) في الكامل : ودرأ بالبينات والايمان . في مآثر الانافة : ويدرأ بالبينات والايمان في السنن الكبرى واعلام الموقعين (وستر عليهم الحدود إلا بالبينات والايمان) .

(٣٩) في البيان : ثم اياك والقلق والضجر . في العقد عبارة (القلق والضجر) غير موجودة . في السنن الكبرى واعلام الموقعين : (واياك والغضب والقلق والضجر) . في مآثر الانافة : (اياك والقلق والضجر) . في المقدمة : (واياك والقلق والضجر والتأفف) .

(٤٠) في البيان والعقد : (والتأذي بالناس والتنكر للخصوم) . في أخبار القضاة وسيرة عمر : (والتأذي بالناس والتنكر للخصم) . في الكامل : (والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات فان الحق) . في السنن الكبرى : (والتأذي بالناس عند الخصومة والتنكر) . في اعلام الموقعين :(والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخصوم) . في مآثر الانافة : (والتأذي بالخصوم والتنكر عند الخصومات) .

(٤١) في الكامل : (فان الحق في مواطن الحق ليعظم الله به الاجر ويحسن به الذخر) . في العقد : (في مواطن الحقوق التي يوجب الله عز وجل بها الأجر). في السنن الكبرى فأن القضاء في مواطن الحق يوجب له الاجر ويحسن به الذخر في اعلام الموعين ـ شك ابو عبيد ـ فان القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الاجر ويحسن به الذكر . في مآثر الانافة : فان الحق في مواطن الحق يعظم به الاجر ويحسن عليه الذخر والجزاء .

(٤٢) في الكامل : (فمن صحت نيته واقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس) . في البيان : (فان من يخلص نيته فيما بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس) . في العقد : (فانه من تخلص نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه يكفيه الله ما بينه وبين

الاعتراضات الموجهة الى رسالة ابي موسى الاشعري :ـ

تدور معظم الاعتراضات حول صحة نسبة الرسالة الى الخليفة عمر (رضي الله عنه) في جانبين : الاول يدور حول سند الرسالة ، والثاني يدور حول متنها وموضوعها .

→

الناس) . في السنن الكبرى : (فمن خلصت نيته في الحق ولو كان على) (اعلام الموقعين ولو على) نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس هذه العبارة غير موجودة في الاحكام والمقدمة .

(٤٣) في البيان والعقد : (ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره) . في البيان : أضيف ايضا (وابدى فعله) . في الكامل : (تخلق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته) . في السنن الكبرى : (ومن تزين لهم بما ليس في قلبه شأن الله فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من العباد إلا ما كان له خالصا وما ظنك بثواب غير الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته) . في أعلام الموقعين : (ومن تزين بما ليس في نفسه شأنه الله ، فان الله تعالى لايقبل من العباد إلا ما كان خالصا . فما ظنك بثواب عند الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته) . في أخبار القضاة : (ومن تزين للناس بما يعلم الله منه غير موجود ذلك شأنه الله فما ظنك بثواب غير الله في عاجل دنيا وآجل آخره) . في سيرة عمر : (ومن تزين للناس بما يعلم الله عز وجل خلافة شأنه الله فما ظنك في ثواب غير الله في عاجل دنيا أو آجل آخره) .

هذه العبارة في أي معنى من معانيها غير موجودة في الاحكام والمقدمة .

حول هذه الاختلافات ينظر ايضا حميدالله : مجموعة الوثائق ، ص ٣١٨ ـ ٣١٩ حيث تناول الاختلاف في الالفاظ وفي ترتيب العبارات والزيادات في اربعة مصادر هي البيان والتبيين ، والكامل ، والاحكام السلطانية ، ومقدمة ابن خلدون .

حول هذه الاختلافات يراجع ايضا وكيع : اخبار القضاة ٧١/١ ـ ٧٣ حيث تناول الشيخ المراغي الاختلافات في بعض المصادر مع مقارنتها بما ذكره وكيع في اخبار القضاة .

حول هذه الاختلافات ايضا ينظر ابن عبد ربه : العقد ، ٨٦/١ ـ ٨٧، حيث تناول الاستاذ احمد امين بعض الاختلافات في بعض المصادر القليلة توجد اختلافات كثيرة في ترتيب العبارات لم يتم تناولها .

١ ــ ففيما يخص الاعتراض الاول الموجه الى السند فان ابن حزم الاندلسي طعن بصحة سندها الى عمر (رضي الله عنه) قائلا « هذه الرسالة لم يروها الا عبدالملك بن الوليد بن معمدان عن أبيه وهو ساقط بلا خلاف وأبوه أسقط منه أو هو مثله في السقوط[٤٤] » .

وذكر أيضا في كتابه ابطال القياس قائلا وهذه رسالة لا تصح عن عمر فقد «تفرد بها عبدالملك بن الوليد بن معمدان عن أبيه وكلاهما متروك ومن طريق عبدالله بن أبي سعيد وهو مجهول[٤٥]» .

وقد جمع ابن حجر العسقلاني آراء نقاد الرواة في راويها عبدالملك بن الوليد بن معمدان قائلا «عبدالملك بن الوليد بن معمدان الضبعي البصري وقد ينسب الى جده روى عن أبيه وعاصم ابن بهدلة وهارون بن رياب ... قال (عنه) يحيى بن معين : صالح وقال أبو حاتم ضعيف الحديث. وقال البخاري فيه نظر . وقال النسائي ليس بالقوي . وقال ابن عدي روى أحاديث لا يتابع عليها . قلت وقال الازدي منكر الحديث . وقال

←

يراجع ايضا ، الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر : رسائل الجاحظ (القاهرة ــ ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥) ج٢ ص ٣١ــ٣٢ . حيث يورد نصا صغيرا يحوي جزء من رسالة الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى ابي موسى الاشعري حيث ذكر قائلا «كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري : اس بين الناس في نظرك وحجابك واذنك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك واعلم ان اسعد الناس عند الله يوم القيامة من سعد به الناس واشقاهم من شقوا به .

(٤٤) ابن حزم : ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري : المحلى (مصر ــ د.ت) ص ٥٦ .

(٤٥) ابن حزم : ابي محمد علي بن حزم الاندلسي الظاهري : ملخص ابطال القياس والراي والاستحسان والتقليد والتقليل (دمشق ــ ١٩٦٠) ص ٦ .

ابن حيان يقلب الأسانيد لايحل الاحتجاج به. وقال ابن حزم متروك ساقط بلا خـلاف[٤٦] .

فاذا أضفنا ما قاله ابن حزم مع ما قاله ابن حجر استطعنا أن نقـول بلا حرج أن سند هذه الرواية لايعتمد عليه ولا سيما أن لرأي ابـن حـزم وزنه فالمعروف عنه التبحر في السنة وطرقها ومصادره أساسـا محصـورة فيما ينص عليه القرآن الكريم أو السنة ، فقد كان عالما من الطراز الاول يطرق الرواية والاسانيد والرجال كما أنه غير متهم في دينه أو خلقـه ، ومن هنا فطعنه في سند راوي رسالة أبي موسم طعن ذو وزن لا يمكـن اغفاله او تجاهلـه[٤٧] .

واذا كان ابن حزم قد ذكر راويها ثم طعن فيه فان ابن قيـم الجـوزية يرى أن هذه الرواية غير معروفة السند أو فيما يمكن التعبير عنه مقطوعة السند فقد روى ابن قيم هذا الكتاب عن أبي عبيدة ، ثم قـال في نهاية الرواية ما نصه : «قال : أبو عبيدة فقلت لكثير (أي الذي روى عنـه أبو عبيده) هل أسنده جعفر (أي الذي روى عنه كثير وهـو جعفر بن برقان) قال : «لا»[٤٨] وعلى الرغم مما تقدم فقد قال ابـن قيم « وهذا

---

(٤٦) ابن حجر العسقلاني / أحمد بن علي : تهذيب التهذيب (حيـدر آباد ـ ١٣٢٦هـ) ج٦ / ص ٤٢٨–٤٢٩ .

(٤٧) انظر وقارن بلتاجي : محمد : منهج عمر بن الخطاب في التشريع (د.م ـ ١٩٧٠) ص ٤٨ . راجع أيضا ابن عرنـوس / محمـود بـن محمد : تاريخ القضاء في الاسلام (القاهرة ـ ١٩٣٤) ص ١٤ .

(٤٨) ابن قيم الجوزيه : اعلام الموقعين ج١ ص ٨٦ . انظر تعليق المـراغي فـي وكيع : اخبار القضاة ج١ ص ٧٣–٧٤ ، هامش رقم (٢) .
راجع أيضا ابن قتيبة : عيون الاخبار م١ ص ٦٦ حيث يعرض الرواية بالقول « بلغني عن كثير بن هشام عن جعفر بن برقان قال : كتب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى ابي موسى كتابا فيه ، ثم يعرض نص الرسالة إلا أنه لا يشير الى تفاصيل ابن قيم .

كتاب جليل تلقاه العلماء بالقبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم والمفتي أحوج شيء اليه والى تأمله والتفقه فيه[٤٩]» .

ومما هو جدير بالذكر ان هذا الكتاب قد جاء عن طريق آخر غير طريق عبدالملك بن الوليد الذي أشار اليه ابن حزم الاندلسي وغير جعفر بن برقان الذي أشار اليه ابن قيم الجوزيه . فقد ذكر الجاحظ ما نصه « رواها (أي الرسالة) ابن عيينة وابو بكر الهذلي ومسلمة بن محارب، رووها عن قتادة ، ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم ، عن عبيدالله بن حميد الهذلي عن أبي المليح بن أسامة ابن أبي الخطاب (رضي الله عنه) كتب الى أبي موسى الاشعري[٥٠]» ويذكر نص الرسالة .

ولم يشر الجاحظ في الواقع خلال حديثه عن الرسالة الى ما يثير الشك في هؤلاء الرواة إلا أن مما تجدر ملاحظته هنا أن أحد رواته وهو أبو يوسف (يعقوب بن ابراهيم) لايشير الى هذه الرسالة(*) في كتابه الخراج وان كان يشير الى رسالة أخرى في القضاء موجهة من الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى قائده في بلاد الشام أبي عبيدة بن الجراح[٥١] .

ولما كان الجاحظ أقدم من روى لنا الرسالة فان ما يثير التساؤل هو عدم الاشارة الى سنده من قبل كل من ابن حزم الاندلسي أو ابن قيم الجوزية والاثنان متأخران عن فترة الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) فابن حزم توفي في منتصف

---

(٤٩) ابن قيم الجوزيه : المصدر نفسه ، ١/٨٦ .

(٥٠) الجاحظ : البيان ٢/٢٣٦ .

* اشار ابو يوسف : يعقوب بن ابراهيم : الخراج ، (بيروت ـ ١٩٧٩)ص١١٧ الى ان الخليفة عمر كتب الى « ابي موسى ان سوء بين الناس في مجلسك وجاهك حتى لاييأس ضعيف من عدلك ولا يطمع شريف في حيفك) ، ولا يزيد على ذلك .

(٥١) انظر ابو يوسف : المصدر نفسه ، ص ١١٧ : ويرى الجاحظ : البيان ٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠ وكذلك وكيع : اخبار القضاة ١/٧٤ـ٧٥ ، وكذلك ابن عبد ربه : العقد ١/٨٤ ـ ٨٥ ان هذه الرسالة موجهة من عمر (رضي الله عنه) الى معاوية بن ابي سفيان وليس الى ابي عبيدة بن الجراح،

القرن الخامس (٤٥٦هـ) وابـن قيم الجوزية توفـي في منتصف القـرن الثامن (ت ٧٥١هـ) والاثنان اثـارا الشك سواء بصـورة مباشرة أو غير مباشرة في صحة نسبة الرسالة الى عمر (رضي الله عنه) •

إلا أنه يمكن القول ان السرخسي (ت ٤٩٠هـ) قد أشار الى بعض من رواة الجاحظ عندما قال « وقد دل على جميع ما قلنا الحديث الذي بدأ به(*) محمد رحمه الله الكتاب ورواه عن ابي بكر الهذلي عن أبي المليح عن أسامـة الهذلي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كتب الى أبي موسى الاشعري (رضي الله عنه) فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة وما كتب عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى عند الناس يسمونه كتاب القضاء وتدبير الحكم(٥٢)» ثم يورد بقيـة الرسالة مع شرحهـا •

ومما يمكن قوله في هذا المجال أيضا أن المؤرخين المحدثين الذين ناقشوا صحة نسبة رسالة عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى الاشعري لا يتطرقـون الى رواية الجاحظ وأسانيده • وانما يركزون على ما ذكره ابن حـزم وابن قيم

←

واليك نص الرسالة «اما بعد فاني كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسي خيرا الزم خمس خـلال يسلم لك دينـك وتحظ بأفضـل حظيـك اذا حضـرك الخصمان فعليك بالبيات العدول والايمان القاطعة ثم ادن الضعيف حتى تبسط لسانه ويجترىء قلبه وتعهـد القريب فانـه اذا طال حبسه تـرك حاجته وانصرف الى اهله وان الذي أبطل من لم يرفـع به راسا واحرص على الصلح ما لم يستبن لك قضاء ، والسلام » .

انظر حول نص هذه الرسالة ابو يوسـف ، الخـراج ص١١٧ . ابـن الجوزي : سيرة عمر ، ص ٩٢ ، المحب الطبري : الرياض النضرة ٨٠/٢.

(*) يقصد به محمد بن ابي سهل السرخسي ، انظـر حول ذلك السرخسـي : المبسوط ج١٦ ص٥٩ .

(٥٢) السرخسي : المصدر نفسه ج١٦ ص٦٠ .

الجوزيه[٥٣] ولا نعلم أسبب ذلك هو كون الجاحظ أديبا وليس محدثا أو فقيها أم انهم لم يطلعوا على رواية الجاحظ .

وان مما له علاقة حسنة ما ذكره كل من البيهقي (ت ٥٤٨هـ) وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) من ان الرسالة وجدت مكتوبة عند ابن أبي بردة . « فقد ذكر البيهقي قائلا «حدثنا أبو طاهر الفقيه املاء وقراءة انبأنا ابو حامد بن بلال يحيى بن ربيع المكي حدثنا سفيان عن ادريس الاودي قال أخرج الينا سعيد بن أبي بردة كتابا ، فقال هذا كتاب عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى (رضي الله عنه) فذكر الحديث ، قال فيه الفهم الفهم فيما يختلج في صدرك مما لم يبلغك في القرآن ...»[٥٤] .

ويشير ابن الجوزي الى ذلك بأسلوب مشابه قائلا « عن أبي عبدالله بن ادريس قال أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر رضوان الله عليه . التي كان يكتب بها الى ابي موسى ، وكان أبو موسى قد أوصى الى أبي برده قال فأخرج الي كتبا فرأيت في كتاب منها اما بعد فان القضاء فريضة محكمة[٥٥] ...» .

الا أن مما يقلل من أهمية رواية كل من البيهقي وابن الجوزي ان ابن قيم الجوزيه قد استند الى ما يبدو في نقل الكتاب عن سفيان بن عيينه عن ادريس الى هذه السلسلة، فقد ذكر قائلا « قال أبو عبيد حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن برقان وقال ابو نعيم عن جعفر بن برقان عن معمر البصري ، عن ابي العوام ، وقال سفيان بن عيينه حدثنا ادريس أبو عبدالله بن ادريس قال : أتيت سعيد بن أبي بردة فسألته عن رسائل عمر بن الخطاب التي كان

---

(٥٣) ينظر عبدالقادر/ علي حسن : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي (القاهرة ــ ١٩٦٥) ص ٧٤ . ابن عرنوس : تاريخ القضاء في الاسلام ص ١٤.
البهي : أحمد عبدالمنعم : تاريخ القضاء في الاسلام ، (القاهرة ــ ١٩٦٥) ص ١٢٦ .

(٥٤) البيهقي : السنن الكبرى ، ج١٠ ص ١١٥.

(٥٥) ابن الجوزي : سيرة عمر ص ٩٣ ، انظر البيهقي ، تاريخ القضاء ص١٢٩.

يكتب بها الى أبي موسى الاشعري ، وكان ابو موسى قد أوصى الى أبي برده فأخرج اليه كتبا فرأيت في كتاب منها ...[٥٦] . ثم ساق الكتاب ، وقال بعد الانتهاء من سياقه «قال : ابو عبيده فقلت لكثير هل أسنده جعفر قال : لا[٥٧]» وقد دعا هذا الامر الى التشكيك في هذه الروايات لأن أغلبها يدور على سعيد بن أبي برده بن أبي موسى الاشعري[٥٨] .

٢ ـ أما فيما يخص الاعتراض على متن الكتاب أو موضوعه فكما طعن ابن حزم بسند الرسالة فقد طعن بمضمونها أيضا فقد جاء في رده على الذي أجازوا العمل بالقياس قائلا « فان أدعوا ان الصحابة (رضي الله عنهم) أجمعوا على القول بالقياس قيل لهم كذبتم بل الحق انهم كلهم أجمعوا على إبطاله ، برهان كذبهم أن لا سبيل الى وجود حديث عن احد الصحابة (رضي الله عنهم) انه أطلق القول بالقياس ابدا الا في الرسالة المكذوبة الموضوعة على عمر (رضي الله عنه) فان فيها : واعرف الاشباه والامثال وقس الأمور[٥٩]» .

وفي مكان آخر ذكر قائلا «ولم يأت عن أحد منهم (يقصد الصحابة) القول بالقياس الا في الرسالة المنسوبة الى عمر (رضي الله عنه) .. ففيها قس الأمور واعرف الاشباه والامثال ، ثم اعمد الى أولاها بالحق وأحبها الى الله فاقض به[٦٠] » .

وفي رسالة الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى الاشعري أمر بالقياس والاجتهاد فيما لا نص فيه من القرآن والسنة وقد رأينا هذا الامر واضحا في كتاب الخليفة عمر الى شريح أيضا فقد أوصاه قائلا « ما وجدته

---

(٥٦) ابن قيم الجوزية : اعلام الموقعين ، ج١ ص ٨٥ . انظر البهي : المرجع نفسه ونفس المكان .

(٥٧) ابن قيم الجوزية : المصدر نفسه ، ج١ ص ٨٦ .

(٥٨) مارجليوث ، نقلا عن تعليق لعبدالعزيز المراغي في وكيع : أخبار القضاة، ج١ ص ٧٤ .

(٥٩) ابن حزم : المحلى ، ص ٥٥ .

(٦٠) ابن حزم : ابطال القياس ، ص٦ .

في كتاب الله فلا تسأل عنه احدا وما لم تستبن في كتاب الله فالـزم السنة فان لم يكن في السنة فاجتهد رأيك[٦١] » .

وابن حزم الظاهري ينكر القياس والاجتها بالرأي فيما لم يـرد فيه نص . لذلك يطعن أيضا في صحة حديث معاذ المشهور في كيفيـة القضاء ولأن فيـه الاجتهاد بالرأي ويقول عنه « وأما حديث معاذ فغير صحيح[٦٢] » .

ويعلل الاستاذ محمود بن عرنوس موقف ابن حزم هذا بأن ما جاء فـي رسالة عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى لا يتفق مع أصول مذهب الظاهرية الذي كان ابن حزم شيخها الكبير ، لذلك حمل عليها ابن حزم حملـة منكـرة (ويقول) غير أن العلماء لم يعولوا على طعن ابن حزم في هذه الرسالـة مـع أنه معروف بالتبحر بالسنة وطرقها[٦٣] ، غير أن الاستاذ محمود بن عـرنوس يتفق مع ما ذهب اليه ابن حزم من ان هذه الرسالة منسوبة الى عمر لانها موجهة الى أبي موسى في الكوفة ، وابو موسى لم يل ولايـة الكوفة زمن عمر (رضي الله عنه) ويقول ان قاضي عمر على الكوفـة هو شريـح[٦٤] . ومـع أهميـة ما عرضه الاستاذ محمود بن عرنوس من ان أبـا موسى لم يل الكوفـة زمـن عمـر انمـا وليهـا زمـن عثمـان والتـي على أسـاسهـا رجـح عـدم نسبة الرسالـة الى الخليفـة عمـر ، الا أن هذا السبب لا يتناسـب مـع أهمية ما بسطه ابن حزم من جوهـر الموضوع وهو الاخـذ بمبـدأ الرأي والاجتهاد والقياس ، وهي اصطلاحات دقيقة أثارت النقاش حول الفترة التي ظهرت فيها . ولاسيما ان لفظ أبي موسى الذي ارسلت اليه الرسالة ورد في

---

(٦١) الاصفهاني : ابو فرج علي بن الحسين : الاغانـي (بـيروت ـ ١٩٧٠م) ج١٦ ص٣٦ .

(٦٢) ابن حزم : المصدر السابق ، ص ١٢ ، ١٤ . بلتاجي : منهـج عمر بـن الخطاب ، ص ٤٥ .

(٦٣) ابن عرنوس : تاريخ القضاء في الاسلام ، ص ١٤ــ١٥ : انظـر وقـارن أيضا بلتاجي : المرجع نفسه ص ٤٦.

(٦٤) انظر الى عرنوس: المرجع نفسه ص ١٥ــ١٦ .

معظم المصادر من غير تحديد للمكان إلا في مصدر واحد هو مقدمة ابن خلدون[٦٥] . وهو مصدر متأخر .

وقد ناقش الدكتور علي حسن عبدالقادر أيضا صحة نسبة الرسالة الى عمر فهو بعد أن يعرض شك ابن حزم في صحة الرسالة يعرض كذلك شك المستشرق (كولد تسهير) حولها . حيث يذكر قائلا « كما شك بعض الباحثين المحدثين في هذه الرسالة ورسالة شريح وفي الرسائل التي جاءت بمعناها كوصية النبي لمعاذ بن جبل لما بعثه الى اليمن واحتج (يقصد كولد تسهير) بأن هذه الرسائل والوصايا تشتمل على اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة لعصر ما بعد الصحابة واذا سلمنا بأن هذه الرسائل والوصايا قد صدرت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن عمر (رضي الله عنه) حقا فانه من العسير أن نوفق بينها وبين مسلك أهل الحديث في كراهة الاخذ بالرأي والقياس والتشديد في ذلك تشديدا بينا ومن ثم فانهم عَمدوا الى تضعيف هذه الروايات والتهوين من شأنها »[٦٦] . ولعل من الجدير بالذكر أن من المصطلحات التي وردت في كتاب الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى والتي أثارت النقاش ايضا قوله «المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا في حد أو مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في ولاء أو قرابة » وهذا يعني قبول شهادة جميع المسلمين ، حيث ان الاصل في كل واحد منهم أن يكون عدلا باستثناء افراد تعرضت عدالتهم للشك أما غير هؤلاء فهم عدول بعضهم على بعض . وقد عد ابن حزم هذا طعنا في الكتاب يوجب رده وانكاره وفي هذا يقول : ان الفقهاء من اصحاب القياس حنيفيهم وشافعيهم ومالكيهم لا يقولون بهذا القول (المسلمون عدول على بعضهم) ثم يقول أيضا « وإن كان قول عمر ــ لو صح في تلك الرسالة ــ في القياس حجة فقوله

---

(٦٥) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٤ . انظر ايضا بن عرنوس ، تاريخ القضاء في الاسلام ص١٥ـ١٦ .

(٦٦) عبدالقادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٧٤ـ٧٥ .

في ان المسلمين عدول كلهم إلا مجلودا في حد حجـة ، وان لم يكن قولـه في ذلك حجة ، فليس قوله في القياس حجة لو صح ، فكيف ولم يصح » [٦٧] .

وقد اتخذ بعض المؤرخين الاقدمين من روايـة وردت في الموطـأ عـن مالك ما يناقض ما نسب اليـه في الرسالة الموجهة الى أبي موسى ، وكان مالـك قد ذكر انه « قدم على عمر بن الخطاب رجل من اهل العراق فقال : لقد جئتك لأمر ماله رأس ولا ذنب ، فقال عمر ما هو . قال شهادات الزور ظهرت بأرضنا. فقـال عمـر أوقـد كـان ذلك ؟ قال نعم ، فقال عمر والله لا يؤسـر رجل في الاسلام بغير العدول» [٦٨] . واستنادا الى هذه الرواية فقد ذهب ابـن فرحون الى القول « وقول عمر في هذه الرسالة المؤمنون عدول بعضهم على بعض رجع عمر عن ذلك بما رواه مالك في الموطـأ» [٦٩] . ثم يذكر الرواية . إلا ان واقع الحال الـذي تدل عليه هذه الرواية لم يشر إلا أن مالكا قـال إن عمر (رضي الله عنه) قد تراجع عن هذه العبارة بعد أن عمل فيها ، ولو كان أشار الى ذلك صراحة لكان معنى هذا ان الامام مالكا يقر بوجـود الرسالة كما يقر بارسالها من قبل الخليفة عمر (رضي الله عنه) الى أبي موسى إلا انـه ليس هناك ما يفيد أن الامام مالكا ذكر شيئا عن هـذه الرسالـة لا تصريحا ولا تلميحا في أي من مؤلفاته سواءأكان هذا في الموطأ أم في المدونة الكبرى، ولو ذكر مالك لكان ذلك لدينا اثباتا قـويا على صحـة الرسالـة ، لانـه أقدم عهدا من أي مصدر من المصادر الاخرى ولأغنانا ذلك عن مؤونة النقاش والبحث ، ولما كان ابن حزم تجاهل ذلك ولكان أشار اليه [٧٠] . ومهما يكـن

---

(٦٧) ابن حزم : المحلي ، ص٥٦ . أنظر وقارن ، بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب، ص٥٠ ، البهي : تاريخ القضاء ، ص١٢٧ــ١٢٨ .

(٦٨) ابن انس : مالك : الموطأ ، (بيروت ــ ١٩٧٩م) ص٦١٧ .

(٦٩) ابن فرحون : ابراهيم بن شمس الدين : تبصرة الحكام في اصـول الاقضية ومناهج الاحكام (القاهرة ــ ١٣٠٢هـ) ج١ ص٣١ .

(٧٠) انظر وقارن ابن عرنوس : تاريـخ القضاء في الاسـلام ص١٤ــ١٥ ، أيضا عبدالقادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ص٧٥ .

من أمر فقد اخذ بعض الباحثين من قول ابن فرحون دليلا على صحة الرسالة؛ فقد ذكر الدكتور محمد بلتاجي ان ابن فرحون « وغيره لم ينظر الى رجوع عمر عن هذه الجزيئة على أنها نقض لصحة الرسالة كاها بل تغيير لاجتهاد عمر في هذه الجزئية في حد ذاتها ، وهذا لا يطعن في صحة ما في الرسالة، ؛ كما لا يطعن في صدورها أصلا عن عمر • إذ ان الرجوع عن الاجتهاد في هذه الجزئية شيء وإنكار الرسالة جميعها شيء آخر» (٧١) •

ومن الطعون الاخرى التي وجهت الى الرسالة في مجال المتن وعدها القائلون بها دليلا على عدم صحة الرسالة الى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو اختلاف الالفاظ بين الروايات المختلفة التي نقلت الرسالة ومن المعروف ان المستشرق ماركليوث كان قد كتب مقالا عن هذا الكتاب (كتاب الخليفة عمر الى ابي موسى) في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية : عمد فيها الى المقارنة بين ثلاث روايات اختارها ، وهي روايات الجاحظ ، وابن قتيبة ، وابن خلدون ، وحاول ان يجعل من اختلاف الروايات سببا للتشكيك في صحة نسبة الكتاب الى عمر وأضاف الى ذلك عجبه من ان هذا الكتاب نقل شفاها من عمر الى أبي موسى(٧٢)•

وقد علق الشيخ المراغي على رأي مارجليوث بالقول: ان اختلاف الروايات في الحديث لايكون فادحا فيه ، وموجبا لرده ، خصوصا وان هذا الكتاب عن عمر (لا عن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ) وهو مكتوب بمعنى خاص، لا يغير من شأنه اختلاف الروايات فيه ، ما دامت كلها تحمل هذا المعنى .

---

(٧١) بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب ، ص ٥٢ .

(٧٢)

D.S. Margoluth Omar's Instructions to the Cadi in the JRAS. Journal of the Royal 1910. PP. 307.26.

نقلا عن تعليق لعبدالعزيز مصطفى المراغي في وكيع:أخبار القضاة١ /٧٤ . أيضا نقلا عن حميد الله : مجموعة الوثائق ص ٣١٦ ــ ٤٨٦ ،أيضا البهي: تاريخ القضاء ، ص ١٢٨ .

والعلماء الخبيرون بالاخبار وطرق نقلها لم يشكوا في صحة الكتاب ولم ينقل عن واحد منهم معنى من معاني رده . وقد تولى تفسيره كثير منهم ، واعلام الموقعين لابن قيم يكاد يكون موضوعا لشرح كتاب عمر . ولم يشكك هو ولا شيخه ابن تيمية في الكتاب من قريب أو بعيد ، ولو كان في الكتاب مغمز ما تردد في بيانه[٧٣] .

ويؤخذ على قول الشيخ المراغي أمرين : الاول انه على الرغم من تأكيده أن «العلماء الخبيرون بالاخبار وطرق نقلها لم يشكلوا في صحة الكتاب ولم ينقل عن واحد منهم معنى من معاني رده » إلا أنه لم يتطرق الى موقف ابن حزم من سند الكتاب ومن متنه ، وابن حزم الاندلسي من العلماء المشهود لهم بمعرفتهم بطرق الرواية والأسانيد والرجال[٧٤] .

أما الامر الثاني الذي يؤخذ على قول الشيخ المراغي أيضا هو أنه لم يذكر موقف ابن قيم الجوزية من سند الكتاب عندما أورد استفسار ابي عبيد لكثير بن هشام قائلا « هل أسنده جعفر قال : لا »[٧٥] .

ومن الطعون التي وجهت الى الكتاب أيضا ان الخليفة عمر (رضي الله عنه) أرسله الى ابي موسى وهو على قضاء الكوفة والمعروف ان ابا موسى الاشعري كما تذكر معظم المصادر لم يل ولاية الكوفة ولا قضاءها في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وإنما وليها زمن عثمان (رضي الله

---

(٧٣) تعليق عبدالعزيز المراغي في وكيع : أخبار القضاة ١/٧٤ .

(٧٤) انظر ابن عرنوس : تاريخ القضاة في الاسلام ، ص ١٥ ــ ١٦ انظر ايضا وقارن : البهي : تاريخ القضاة ص ١٢٨ . انظر وقارن ايضا بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٧٥) ابا قيم الجوزية / اعلام الموقعين ، ج١ ص ٨٦ . انظر ايضا ابن عرنوس، المرجع نفسه ص ١٥ ــ ١٦ .

عنه)[٧٦] واستنادا الى ذلك فان الاستاذ ابن عرنوس يرى ان هذا (أي عدم تولي ابي موسى ولاية الكوفة) يجعله يرجح إنكار ابن حزم بصحة الكتاب [٧٧] . إلا انه قبل الموافقة على ما تم ذكره لابد من الاشارة الى ما يأتي:

أ ـ ان المصدر الذي ذكر أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) أرسل الكتاب الى أبي موسى وهو على قضاء الكوفة هو ابن خلدون في مقدمته [٧٨] في حين تذكر بقية المصادر اسم أبي موسى مجردا دون تحديد مكانة وما اذا كان قاضيا أو واليا . واستنادا الى ذلك فان من المحتمل والحالة هذه أن يكون الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد أرسل الى أبي موسى عندما كان على البصرة (٧ هـ / ٦٣٨م ـ ٢٣هـ / ٦٤٣ م) ولا سيما أن المراسلات بين عمر وولاته كانت مستمرة في شتى الامور والقضايا[٧٩] .

ب ـ ينفرد الطبري برواية تفيد أن أبا موسى تولى ولاية الكوفة سنة واحدة ، فهو عندما يتكلم على أحداث سنة ٣٢ هـ / ٦٤٢ م يذكر ان الخليفة عمر بعد أن عزل عمار بن ياسر بناءا على طلب من أهل الكوفة لعدم قدرته على تدبير شؤون الولاية سأل الخليفة عمر (رضيء الله عنه) أهل الكوفة قائلا «من تريدون ياأهل الكوفة ؟ » فقالوا : أبا موسى فأمره

---

(٧٦) البلاذري / أحمد بن يحيى : فتوح البلدان (بيروت ـ ١٩٨٣) ص٣٢٧ حيث يورد تعيين ابي موسى على البصرة راجع ايضا الطبري ابو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسائل والملوك (القاهرة ـ ١٩٦٠) ج٤ ص٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، ٢٤١ ، حيث يورد ان عامل عمر على البصرة من سنة ١٧هـ ـ ٢٣ هو ابو موسى الاشعري .

(٧٧) ابن عرنوس : المرجع السابق ص١٥ـ١٦ .

(٧٨) ابن خلدون : المقدمة ص١٧٤ .

(٧٩) بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب ص٥٥ـ٥٦ .

عليهم بعد عمار فأقام عليهم[٨٠] . ويبدو أن عمر (رضي الله عنه) عـزله أيضا لشكاية أهل الكوفة لأن غلاما له (أي لأبي موسى) يتجر بالعلف مما يفهم منه استغلال من قبل ابي موسى لوظيفته فقالوا له : غـلام لـه يتجر في حشرنا(*) . فعزله عنهم وصرفه لهم[٨١] .

ج ـ إن رواية الطبري هذه دفعت الدكتور محمد بلتاجي الى القول « تبـين من هذا ان أبا موسى ولي الكوفة لعمر سنـة واحدة ، وربمـا أقـل من ذلك ، ولعـل بعضـ كتـاب السـير والتواريـخ قـد أغفلـوا ، أو جهلـوا هـذه الـولاية لقصر مدتهـا أو لما أحاط بعزله عنها من شبه لا يستريح بعض الرواة الى تسجيلهـا على أبي موسى الصحابي الجليل .. ولهذا لا يقوم هذا الطعن (أي عدم تولي ابي موسى الكوفة) دليـلا على نفي صحة هذه الرسالة[٨٢] .

ولكن يجب أن ننوه أن المصادر التاريخية لا تشير الى ان أبا موسى قـد عزل من ولاية البصرة التي عين عليها سنة ١٧هـ / ٦٣٨م[٨٣] وانما استمر فيها حتى وفاة الخليفة عمر (رضي الله عنه) سنة ٢٣هـ / ٦٤٣م[٨٤] وهـذا ممـا يتعارض مع رواية الطبري . كما أن الطبري يعود ليذكر في نهاية أحداث سنة ٢٢هـ / ٦٤٢م أن والي البصرة في هذه السنة هو أبو موسى الاشعري[٨٥]

---

(٨٠) الطبري : تاريخ ج٤/١٦٤ انظر وقارن ايضا بلتاجي/ المـرجع نفسـه ، ص ٥٥ .

* حشرنا : الحشرة بالفتح ، كل اكل من بقل الارض وجمعه حشر ، الطبري: نفس المصدر ج٤/١٦٥ هامش رقم (٢) .

(١٨) الطبري : المصدر نفسه ج٤ ص ١٦٤ـ١٦٥ ، انظر ايضا بلتاجي المـرجع نفسه ص ٥٥ .

(٨٢) بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب ص ٥٥ .

(٨٣) البلاذري : فتوح/ ص ٣٣٧ . الطبري : المصدر نفسه ج٤ ص ٩٥.

(٨٤) الطبري : المصـدر نفسه ، ج٤ ، ٢٤١ ، باب عمال عمر (رضي الله عنه) على الامصار سنة ٢٣هـ .

(٨٥) الطبري ، تاريخ ، ج٤ ص١٧٣ .

وفضلا عن ذلك فانه ليس هناك من المصادر التاريخية ما يعزز رواية الطبري.
نخلص مما تقدم الى :

ان ما يحيط سند الرسالة الموجهة الى أبي موسى من شك وغموض من جهة ، ووجود تلك الاختلافات الواضحة في الالفاظ وفي ترتيب العبارات وفي الزيادة بين رواية وأخرى وعدم وجود نصين متشابهين كل التشابه من حيث الالفاظ والمعاني فعلى الرغم مما قيل من أنها وجدت مكتوبة عند أبي بردة بن أبي موسى الاشعري من جهة ثانية وعدم تولي أبي موسى لقضاء الكوفة أو ولايتها كما ذكرت معظم المصادر التاريخية من جهة ثالثة يجعل عدم ترجيح صحتها واردا .

ولكن ألا يعقل أن تبقى هذه الامور مجرد احتمال وان الرسالة على الرغم من اختلاف ألفاظها وترتيب عباراتها نتيجة للنقل الشفهي للرواة قد أرسلت الى أبي موسى وهو وال على البصرة ولا سيما أن هناك مصادر عديدة لا تحدد مكان وجود ابو موسى وفي أي ولاية كان فالاخذ بهذا الاحتمال يبقى واردا اذا استطعنا أن نثبت ان الرسالة بألفاظها التي وردت فيها وبما احتوته من أفكار ومضامين تشريعية وفقهية كانت تعبر عن روحية عصر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) .

إن المطلع على ما ورد في الرسالة يدرك أن العديد من الافكار والمعاني كالدعوة الى العدل والمساواة بين الناس وعدم التمييز بين قويهم وضعيفهم وما ورد من نصائح ووصايا مما تعبر عنه سياسات الخليفة عمر (رضي الله عنه) وتعليماته الى ولاته وعماله ويذهب الدكتور صلاح الدين الناهي الى ما يشابه هذا الرأي بالقول « يتضح من هذه الرسالة في أدب القضاء أن الاسس التي نادت بها أسس عامة مستمدة من روح الشرع الاسلامي .. وليس في هذه الرسالة من الوصايا ما يعد أمرا غريبا عن الشرع الاسلامي أو تنظيما معقدا لنظام لا عهد للعرب المسلمين به فقد تضمنت هذه الرسالة وصايا عامة في

أدب القضاء منبثقة عن تعاليم الإسلام وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) »[٨٦] .

ولكن لا ينكر أيضا ان طبيعة الكثير من الالفاظ والمعاني الفقهية والتشريعية والصياغة التي وردت بها الرسالة كانت بعيدة عن الاسلوب والالفاظ التي صبغت بها مختلف كتابات عمر (رضي الله عنه) الى قضاته وولاته ولعل هذا التمايز والاختلاف هو الذي دفع بعض المؤرخين المحدثين الى القول أن الرسالة «تشتمل على اصطلاحات دقيقة تعتبر وليدة لعصر ما بعد الصحابة »[٨٧] . فاذا أضفنا الى كل ما ذكره ابن حزم من أن الصحابة لم يعملوا بمبدأ القياس الذي ورد في الرسالة والذي عبر عنه بالقول « ولم يأت عن أحد منهم القول بالقياس إلا في الرسالة المنسوبة الى عمر »[٨٨]. وعدم أخذ الفقهاء بما جاء في الرسالة « المسلمون عدول »[٨٩] . كل هذا يحملنا على الاعتقاد بأن أمر الشك في الرسالة يصبح مقبولا ومن بعد يصبح احتمالا أن يكون الذي كتبها أحد الذين عاشوا بعد عصر عمر واطلع على كثير من قضاياه ووقائعه ثم نقلها بعض الرواة حتى وصلت الى العلماء على شكل رسالة فلم يجدو فيها ما يناقض ما يعرفونه عن عمر فقبلوها . وفي هذا الاحتمال يستوي أن يكون من كتبها ووضعها بين أيدي الرواة واحدا أو أفرادا متعددين[٩٠] .

---

(٨٦) الناهي : صلاح‌الدين : نصوص قانونية وتشريعية (بغداد ــ ١٩٦٩) ص ١٤٥ .

(٨٧) عبدالقادر : نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، ص ٧٥.

(٨٨) ابن حزم : ابطال القياس ص٦ .

(٨٩) ابن حزم : المحلى ، ص٥٦ .

(٩٠) هذا الاحتمال يعرضه الدكتور محمد بلتاجي عند مناقشته صحة الرسالة إلا أنه في النهاية يرفضه ويعده احتمالا ضعيفا . انظر : بلتاجي : منهج عمر بن الخطاب ، ص٥١١ .

وبعد كل هذا وذاك يمكن أن نخلص الى القول ان اسنـاد هذا الكتاب الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أصبح أمرا مشكوكا فيه إلا أنه سـواء أصدر هذا الكتاب عـن عمـر بن الخطاب (رضي الله عنه) الى أبـي موسى الاشعري أو لم يصدره «فهو كتاب حوى مبادىء هامة وقواعـد قيمـة في أصول القضاء وما حواه يتفق وأحكام الشريعة الاسلامية الامر الذي يحملنـا على التمسك به كأصل في القضاء »[91] .

---

(٩١) النواوي : عبدالخالق : العلاقات الدولية والنظم القضائية (بـيروت ـ ١٩٧٤) ص ٤١٦ .

المصـادر والمـراجع

القرآن الكريـم

الاصفهاني / ابو الفرج علي بن الحسين (ت : ٣٥٦هـ/٩٦٦م) :

١ ـ الاغاني : الناشران : صلاح يوسف الخليل ـ دار الفكر للجميع ٢٠ ج ، بيروت ـ ١٩٧٠م .

ابن انس ، مالك (ت : ١٧٩هـ / ٧٩٥م) .

٢ ـ الموطأ ، راجعه : فاروق سعد ، دار الافاق الجديدة ، ط١ ، بيروت ـ ١٩٧٩م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى (ت :٢٧٩هـ / ٨٩٢م) :

٣ ـ فتوح البلدان ، دار مكتبة الهلال ، ط١ ، بيروت ـ ١٩٨٣م :

البيهقي : ابو بكر احمد بن الحسين بن علي (ت:٤٥٨هـ/١٠٦٥م) :

٤ ـ السنن الكبرى ، وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني ، دائرة المعـارف العثمانية ، ج١٠/ حيدر آباد : الدكن ـ ١٣٥٥هـ :

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت : ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) :

٥ ـ البيان والتبيين ، تحقيق : فوزي العطوي ، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ، ٣ج ، بيروت ـ ١٩٦٨م .

٦ ـ رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبدالسلام محمـد هارون ، مكتبة الخانجي ٢ج ، القاهرة ، ١٩٦٤ـ١٩٦٥م .

ابن الجوزي : أبو فرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) :

٧ ـ سيرة عمر بن الخطاب ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ـ د.ت.

ابن حجـر العسقلاني : شهابالدين ابـو الفضـل احمد بـن علي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)

٨ ـ تهذيب التهذيب ، دار صادر ، بيروت ـ ١٩٦٨ ، عنمطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد . الدكن ـ ١٣٢٦هـ .

ابن حزم ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت : ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) :

٩ ـ المحلى ، تحقيق محمد خليل هراس ، مطبعة الامام (مصر ـ د.ت) .

١٠ـ ملخص ابطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل ، تحقيق سعيد الافغاني . مطبعة جامعة دمشق ، دمشق ـ ١٩٦٠م .

ابن خلدون : عبدالرحمن (ت : ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :

١١ـ المقدمة ، دار العودة ـ بيروت ـ ١٩٨١ .

السرخسي : شمسالدين (ت : ٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) :

١٢ـ المبسوط : مطبعة السعادة ، ٣٠ج ، مصر ـ ١٣٢٤هـ .
الشيرازي الشافعي ، ابو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت : ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) :
١٣ـ طبقات الفقهاء : تحقيق : احسان عباس . دار الرائد العربي ، ط٢ ، بيروت ١٩٨١م .
الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ/١٩٢٢م) :
١٤ـ تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف، القاهرة ـ ١٩٦٠ فما بعدها.
ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد (ت : ٣٢٧هـ / ١٩٣٨م) :
١٥ـ العقد الفريد ، شرحه وظبطه وصححه: احمد امين وآخرون ، لجنة التاليف والترجمة والنشر، ٧ ج ، القاهرة ، ١٩٤٨.
ابن فرحون ، ابو الوفاء ابراهيم بن شمس الدين (ت : ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) :
١٦ـ تبصرة الحكام في أصول الاقضية والاحكام / المطبعة البيهية ، القاهرة ـ ١٣٠٢هـ .
ابن قتيبة ، ابو محمد عبدالله بن مسلم (ت٢٧٦هـ / ٨٨٩م) :
١٧ـ عيون الاخبار ، المؤسسة المصرية العامة ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ٤ مجلد . القاهرة ـ ١٩٦٣ .
القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي بن عبدالله (ت : ٨٢١هـ / ١٤١٨م) :
١٨ـ مآثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار احمد خراج ، عالم الكتب ٣ج ، بيروت ـ ١٩٦٤ .
ابن قيم الجوزية ، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن ابي بكر (ت : ٧٥١هـ / ١٣٥٠م) :
١٩ـ أعلام الموقعين عن رب العالمين ، دار الجبل ، ج١ ، بيروت ١٩٧٣م .
الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت : ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) :
٢٠ـ الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، المطبعة المحمودية ، مصر د.ت.
المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد (ت : ٢٨٥هـ / ٨٩٨م):
٢١ـ الكامل : تعليق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر ، ج١ ، القاهرة ، د.ت.
وكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت : ٣٠٦هـ / ٩١٨م):

٢٢ـ أخبار القضاة ، تحقيق : عبدالعزيز مصطفى المراغي ، عالم الكتب /٣ج ، بـيروت ـ د.ت.)
ابو يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (ت : ١٨٢هـ / ٧٩٨م) :
٢٣ـ الخراج ، دار المعرفة ، بيروت ـ ١٩٧٩م .

المراجـع الحديثة :

بلتاجي ، محمد
١ ـ منهج عمر بن الخطاب في التشريع ، دار الفكر العربي ،د.م ١٩٧٠م.
البهي ، أحمد عبدالمنعم .
٢ ـ تاريخ القضـاء في الاسلام ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ـ ١٩٦٥م .
عبدالقادر ، علي حسن :
٣ ـ نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي ، دار الكتـب الحديثـة ، ط٣، القاهرة ـ ١٩٦٥م .
ابن عرنوس ، محمود بن محمـد
٤ ـ تاريخ القضاء في الاسلام ، المطبعة الاهليـة الحديثـة ، القاهـرة ـ ١٩٣٤م .
الناهي ، صلاح‌الدين
٥ ـ نصوص قانونيـة وتشريعيـة ، ط ٢، مطبعـة السعد (بغداد ـ ١٩٦٩م) .
النواوي ، عبدالخالق
٦ ـ العلاقـات الدوليـة والنظم القضـائية ، دار الكتـاب العربي ط١، بـيروت ـ ١٩٧٤ .

دلالات اللون في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

الدكتور عياض عبدالرحمن امين الدوري
كليـــة الفنـــون الجميلـــة

الملخــص :

إن القرآن الكريم ذكر ستة ألــوان هي الابيض والاســود والاحمر والاصفر والاخضر والازرق ، وقد ذكرت هــذه الالوان الســتة وغيرها في القرآن الكريم في مناسباتها ، ولقد دارت الالــوان كثيرا في القرآن الكــريم والحديث النبوي الشريف ، بدلالات مختلفة ومتعددة ومن ذلك إنها اتخذت لها دلالات رمزية ، منها ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة ، وقــد نص القرآن الكريم على إن في اختلاف ألسنة البشر والوانهم آيات لمن يفكــر في حكمة الله وعظمة ملكه .

تمهيــــد :

تُعدّ الالوان من اكثر الاشياء جمالا وخصوبة في حياة بني البشر منهــا اثرى الانسان حياته واضفى عليها من بديع الجمال وبهائه مالا يحده واصــف او يحيط به خيال ، وان الالوان ليست خطوطا او مسحات شكلية خالية مــن دلالات جمالية وتعبيرية ورمزية ووظيفية وفي بعض الاحيان تزيينية ، وانهــا صور تعبر عن موضوعات الحياة وانفعالات الفنان بها .

فعملية الاهتداء الى منهج يحكــم شتــات الالــوان ومعانيهــا وتناقض دلالاتها المباشرة في الموضوع الفني الواحد ، مسألة دار حولهــا الفكر بعــدد الاخضر هو نفسه اللون الاســود ، وان يذهب الخيال بعيــدا لنجد مبررات منطقية تحكم اسس التضاد اللوني بين الابيض والاسود والاحمر والاخضــر وبعض تفرعاتها في العمل الفني ، وان يصبح الرمز اللوني علامة او اشــــارة تتكشف دلالاتها كلما غاليت في الابتعــاد عن الدلالة المباشــرة ، او القــريبة

للالوان ، وان الغموض اللوني حالة تثري العمل الفني وتعمق دلالاته ، وكل ذلك جاء بصيغة الدراسة الحالية على وفق مباحثها وورودها وتسلسلها ضمن البحث ، مسألة تشعر الباحث بقدر من الراحة يعوضه ايام التعب وليالي السهر والمعاناة .

ومن خلال الدراسة تبرز اهمية الالوان ودلالاتها التي استمدت معانيها المعرفية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، في كونها تسهم اسهاما واضحا في الكشف عن مقومات حضارية في مجال المفاهيم والقيم اللونية الجمالية والتعبيرية والرمزية ، وفي كون اللون عنصرا مهما من عناصر التكوين يمكن التعامل معه ، باعتباره دالا على القيم الروحية والمادية عند العرب المسلمين .

فبما نجد اللون ودلالاته في الفن العربي الاسلامي جسد الطبيعة والبيئة العربية الصحراوية ضمن العمل الفني وملء المساحة التصويرية من خلال إمداداته وتنويعاته وتوزيعاته داخل السطح التصويري ، وارتباطه بالعناصر الاخرى ضمن التكوين ، فيعد من أهمها وضوحا من الناحية الجمالية .

ولقد شكلت هذه العوامل الاسس التي اعتمد عليها الباحث في دراسته للون ودلالاته في الفن العربي الاسلامي من خلال بحثين ، شرح الباحث في المبحث الاول اهمية البحث والحاجة اليه وحدوده وأهدافه ، ثم تطرق في الفصل الثاني الى دلالات اللون في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والاسراء والمعراج ، وكسوة الكعبة ، والحجر الاسود ، فيما توصل الباحث الى النتائج التالية : ـ

(١) ان اللون ودلالاته بمعانٍ ورموز عند العربي واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية عن طريق العادات والتقاليد ، وارتبط كذلك وفق قيم معرفية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

(٢) اللون وجد في الفن العربي الإسلامي ليس على اساس وظيفي تزييني ، وانما وجد وفق نظام رؤيوي حدسي ، وكمفهوم فلسفي وروحي وعقائدي

يستند الى منهج فكري ، نابع من تعاليم الدين الاسلامي الحنيف ، لان الفنان العربي المسلم كان متصلا بجوهر الوجود في رسمه ، ولذلك فان اللون لم يكن عند العرب المسلمين من دون مدلول نفسي وفلسفي وجمالي وعبر عن خاصية معرفية ورمزية كذلك .

مقدمة حضارية :

الفن العربي الإسلامي ، مصدر الثراء اللوني كان وسيظل كنزا عظيما لصور لا تحصى من الالوان ، فهو قائم على الخيال والتصور ، وقد وجدت الالوان مكانتها التي لازمت الفنان العربي المسلم والهمته من صور الجمال ما فاق كل خيال ، وكانت تتراءى وتتجسد له في مجالات العمارة متمثلة في الرسوم الحائطية الجدارية وفي زخرفتها المطعمة بالفسيفساء ولاحت له في أسنة الرماح والرايات والالوية وفي الشعر والالبسة والفنون المختلفة من رسم وخط وزخرفة ومنمنمات وتزويق .

وعليه فان الالوان في الابداع الفني للفنانين تراءت وتمثلت لهم شخوصا رسموها بألوانها وخطوطهم ، فاستحالت صورا لونية نابضة بالحياة ، لذلك كله استحقت ان يخصص لها بحث بهذا المستوى يدور على دلالاتها ومعانيها عند الفنانين العرب المسلمين .

وفي الحضارة العربية الاسلامية كان للفكرة السائدة حول كراهية التصوير لكل شيء فيه روح اثرها في توجيه الفنانين الى رسم المنسوجات والاثاث والابتعاد عن تلوين المنحوتات المثلة للاشياء الحية ، ذلك ان الاصنام التي كانت تعبد تقربا الى الله زلفى حطمها المسلمون بعيد منحهم مكة ، وظل هذا الوضع على ما هو عليه في عهود الاسلام الاولى الى ان كانت تلك الصلات التي عقدت بين الشعب العربي الإسلامي وشعوب اخرى ذات حضارات تختلف عن الحضارة الاسلامية وتحمل فنونا مختلفة منها فن التصوير وفن النحت ، غير ان المسلمين كانوا لايزالون قريبي العهد بتعاليم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الخالصة التي لا تعرف لهو الحياة وترى فيما يصرف عن وجه ربها

شيئا محرما ولهذا رأينا المساجد الاولى تبنى على طريقة معمارية خالية من كل رقش او نقش ومن الاسراف في مباهج الحياة[1].

ولا بد من الاشارة هنا الى ما يمثله التراث العربي الإسلامي من حصيلة حضارية ثرة ، ويسجل في اسفار الامم حضورا متميزا له دوره في التأثير وقدرته في الابداع وصورته المباشرة وغير المباشرة[2] .

ولمكانة الفن العربي الإسلامي بين فنون العالم بعد أخذ موقعه بين الفنون العالمية وسجل دوره المتميز في التأثير الواضح في المدارس الفنية والصناعات وتبقى اللمسات العربية والطابع الاسلامي من الخصائص التي تعطي هذا الفن صوته الرائع وتسجل له البراعة المعروفة .

هذا وتعدُّ العمارة والفنون المختلفة من موضوعات الحضارة العربية الإسلامية الهامة ، « من حيث انها تمثل الاثار الباقية التي تعبر بشكل ملموس عن الصورة المادية لتلك الحضارة في كثير من مجالاتها»[3] .

ولعل من المفيد بمكان ان نذكر ان كثيراً من الديانات اعطت للألوان قيمة خاصة ، واتخذت لها دلالات رمزية ، فالاصفر لون مقدس ليس في الصين والهند ولكن كذلك في المسيحية الاوربية ، ولارتباط اللون الاصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزا لاله الشمس رع [4] .

ولعل معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الابيض عند المسلمين لباسا في اثناء الحج والعمرة وكفنا للميت ، واستخدم القرآن الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا وذلك في قوله تعالى ، « يَوْمَ تَبيَّضُ وجوه وتسوّد وجوه » وقوله تعالى : « واما الذّين ابيضّت وجوههم ففي رحمة الله » ، واما اللون الاخضر

---

(١) عكاشة ، ثروت : التصوير الاسلامي والديني ، ص ١٣ ، وينظر كذلك : علام نعمت اسماعيل : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ، ص١٨

(٢) حسين ، صلاح العبيدي : الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، ص ٤ .

(٣) زغلول ، عبدالحسين سعيد : العمارة والفنون في دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٧٧ ، ص ٩ .

(٤) عمر ، احمد مختار : اللغة واللون ، ص ١٦٤ .

فيمثل في العقيدة والاخلاص والخلود والتأمل الروحي ، والارتباطه بالحقول والحدائق والاشجار ارتبط بالنعيم والجنة في الآخرة[٥].

هذا ويعد اللون الاخضر لون الالوان بالنسبة للمسلمين ، وقد ورد في القرآن الكريم وصف ملابس المسلمين في الجنة بالخضرة من آيتين همـا : « عليهم ثياب سندس خضر واستبرق » ، وكما ورد اللون الاخضر وصـفا لبعض مقاعد الجلوس في الجنة : « متكئين على رفرف خضر » .

اما الاحمر فهو رمز لجهنم في كثير من الديانات حيث توصف جهنم بانها حمراء ، ولقد اختلفت معاني ورمزية الالوان منذ القدم عند مختلف الشعوب ، واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحية ، عن طريق التقاليد والعادات كان يقرن اللون الاحمر بالاحتفالات والازرق بالتفـوق والاخضر بالطبيعـة ، والاسود بالموت والاصفر بالشمس ، بالاضافة الى ذلك فان الحضارات المختلفة قامت عبر العصور ، باعطاء معان ودلالات رمزية لبعض الالوان دون غيرهـا فكما هو معروف ان اللون الاسود في الحضارة الغربية رمز الحداد والمـوت والالم ، والاحمر رمز الابتهاج ، بينما رمز اللون الابيض في الحضارة العربية الاسلامية (كما تقدم ذكره الى السعادة الابديـة واحيانـا الى التعبيـر عـن الحزن والتفجع) .

ومن هنا نجد ان للالوان دلالات معينّة وارتباطات بالظروف والاحداث التي مررنا بها ، وفي هذا تفسير للاسباب التي تجعل الناس يميلون الى الوان دون اخرى .

وتبرز اهمية دراسة « دلالات اللون في القرآن الكريـم والحديث النبوي الشريف » من خلال تفرد امة العرب حضاريا بهذا الارث الحضاري حتـى أن القرآن الكريم ذكر دلالاته وقيمه في الكثير من الآيات والسور ، وهذه الدراسة تدعم ثقافتنا الفنية وتعزز من صلتنا في التاريـخ المحلي والانسانـي كما وان

(٥) نفسه ، ص ١٦٥ .

المكتبة العربية تحتاج الى دراسة شاملة للالوان ودلالاتها حيث يستفاد منهـا في مجالات الفن التشكيلي وغيرها •

ويهدف البحث الحالي الى الكشف عن دلالات اللون في القـرآن الكريم والحديث النبوي الشـريف ، والتعـرف على الجوانب الفنية والتشـكيلية لهذه الدلالات •

حدود البحث :

تتحدد هذه الدراسة في التعرف على دلالات اللون في القرآن الكريـــم والحديث النبوي الشريف من خلال المسح الميداني للسور والآيات القرآنيـة وكذلك الاحاديث النبوية الشريفة •

الالوان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

لقد ابدع (الله) الخلاق العظيم ، جَلّ وعلا ، هذا الكون العظيم باهر الآيات ورائع الصور ، ووشح عوالمه العلوية والسـفلية بالبهجة والنضـارة والقى على كل ما خلق من اردية زواهٍ زائنات من (الالوان المختلفة) ، ومازج هذه الالوان المختلفة بالانوار والاضواء ، فزادت الوانها الخلابة ألقا ووهجا ، واحدثت جملتها ، وقد تحابت وتعاشقت وتمازجت ، هذه المشاهد الروائـع الفواتن تأسر النواظر ، ويقف الناظر المتفكر امام كل مشهد منها مشدوهـــا ومسحورا لا يملك من اندهاشه وتعجبه الا ان يهتف : « سبحان الله الخــلاق العظيم »(٦)•

---

(٦) الاثري ، محمد بهجة : الالوان .. في الفصحى والدراســات العلميــة واللغوية ، ص ٨ .

وان القرآن الكريم ذكر الوانا هي الابيض والاسود والأحمر والاصفر والاخضر والازرق[٧] ، وقد ذكرت هذه (الالوان الستة) وغيرها في (القرآن الكريم) في مناسباتها[٨].

هذا ولقد ذكرت الالوان كثيرا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بدلالات مختلفة ومتعددة ومن ذلك انها اتخذت لهـا دلالات رمزية ، منها ربط بعض الممارسات الدينية بالوان خاصة[٩] ، وقد نص القرآن الكريم على ان في اختلاف ألسنة البشر والوانهم آيات لمن يفكر في حكمة الله وعظمة ملكه[١٠] .

ولقد اشار الدكتور احمد مختار عمر الى مواضع عديدة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وردت فيها هذه الالوان ، فوجد لفظ (لون) مفردا او مضافا مرتين في الآية ٦٩/ البقرة ، وجمعه (الوان) مضافة الى الضمائر (الوانهم) في الآية ٢٢/الروم ، و (الوان) في الآية ١٣ و٦٩/ النحل ، و٢٨/فاطر ، و٢١/الزمر ، و (الوانها) ٢٧/فاطر مرتين ، وفسرت كلها بالحالات الصيغية التي تكون عليها الاجسام ونحوها ، وبان ما ذكر منها من الآيات : ١٣/النحل ، و ٢٢/الروم ، و٢٧ ، ٢٨/فاطر ، ٢١/الزمر يصح ان يفهم منها الجنس ، او النوع ، او الصنف من الاشياء[١١].

وورد اللون الابيض في احد عشر موقعا في القرآن الكريم ، وكانت دلالاته تشير الى الصفاء والنقاء والعمل الصالح في الدنيا والآخرة[١٢] ، قال

---

(٧) العلي ، صالح احمد : الوان الملابس العربية في العهود الاسلامية الاولى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ١٩٧٥/٢٦ ، ص ٧٧ .
(٨) الاثري : المصدر السابق نفسه ، ص ٩ .
(٩) ينظر اشغال الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات ، ص٤١ .
(١٠) جاء في محكم تنزيله « ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين » سورة الروم ، آية ٢٢ .
(١١) اللسانيات ، ص ٤١ .
(١٢) اللسانيات ، ص٤٣ ، وقد احصى الشيخ الاثري هذه المواضع في صفحة ١٩ منها .

تعالى : « واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله »[١٣] ، وقال جل شأنه « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر »[١٤] وقال تعالى« ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين »[١٥] ، في غيرها وورد هذا اللون في الحديث النبوي الشريف مؤكدا هذه الدلالات بشكل عام[١٦].

وذكر السواد في كتاب الله العزيز سبع مرات ، ارتبطت خمس منها بالوجه وما يتحول اليه من سواد في الدنيا والآخرة نتيجة سوء الافعال[١٧] ، قال تعالى : « واما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم »[١٨] وقال تباركت كلماته : « ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة »[١٩] وقال جل جلاله : « واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم »[٢٠]. وغير ذلك من المواضع ، ودلّ في الحديث النبوي الشريف على كره المسلمين لهذا اللون في الملبس ، وعلى لون البشرة ، وقد كثر استعماله في الحديث حتى زاد على مائة مرة .

وورد اللون الاحمر في القرآن الكريم مرة واحدة دل فيها على مشهد وحسن ، قال تعالى : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها»[٢١] ، ورد في الحديث النبوي الشريف في اكثر من خمسين موقعا بعضها في معناه

---

(١٣) سورة آل عمران ، آية ١٠٧ .
(١٤) سورة البقرة ، آية ١٨٧ .
(١٥) سورة الاعراف ، آية ١٠٨ ، وتنظر السور ، طه/٢٢ ، الشعراء/٣٣ ، النحل/١٥ والقصص/٣٢ والصافات/٤٦ ويوسف/٨٤ وفاطر/٢٧ وآل عمران/١٠٦ .
(١٦) اللسانيات ، ص ٤٥ .
(١٧) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٦ .
(١٨) سورة آل عمران / ١٠٦ .
(١٩) سورة الزمر / ٦٠ .
(٢٠) سورة النحل/٥٨ ، وتنظر سورة آل عمران/١٠٦ وسورة الزخرف/١٧ .
(٢١) اللسانيات ، ص ٤٩ ، سورة فاطر /٢٧ .

الحقيقي ، وبعضها الاخر بمعنى الابيض ، كما جاء بمعنى الاصفر ، وقد حمل في احيان عدة دلالات ورموزا تخرج به عن مجرد اللون ، ويبدو ان هذا اللون كان مكروها حينما يدل على معان متعلقة بالزينة التي تجلب الفتنة وتشغل عن امور الدين ، ووجدنا هذا اللون مرغوبا في دلالته عند الرسول (صلى الله عليه وسلم) على لون الابل وهي صفة اداها الشعراء ووصفت به الريح للاشارة الى ما تدل عليه من دمار وخراب[22].

وجاء اللون الاخضر في القرآن الكريم ليشير الى ملابس اهل الجنة وما ينتظر المسلمين من النعم ، اذ ورد تسع مرات في كتابنا العزيز[23] ، ومن الاماكن التي دل فيها على ثياب اهل الجنة قوله عز من قائل : « وَيلْبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك »[24] وقوله جل شأنه : « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان »[25] ، ودل على القيم في قوله تعالى : « وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا منه نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا »[26] وغير هذه المواضع ، وقد اكد الحديث الشريف الى الرؤية الخادعة لهذا اللون في قوله: «اياكم وخضراء الدمن»[27]

ووجدت اللون الاصفر في خمسة اماكن في القرآن الكريم وظهر لي ان هذا اللون دل في الاماكن المذكورة على بعض صفات الحيوان والجماد ، ففي دلالته على الحيوان نجد قوله تعالى : « قال انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩–٥١ .
(٢٣) احصى الشيخ الاثري هذه المواضع في بحثه ضمن محاضرات الندوات المفتوحة ، ص ٢٧ .
(٢٤) سورة الكهف/٣١ .
(٢٥) سورة الرحمن /٧٦ .
(٢٦) سورة الانعام /٩٩ وتنظر السور يس/١٠ ويوسف الايتين/٤٣ ، ٤٦ والرحمن/٧٦ والانسان/٢١ والحج/٦٣ .
(٢٧) ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثر ، تحقيق احمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي كما في ثبت المصادر ، ص ١٧ .

لونها تسر الناظرين »[٢٨] ، وقوله « انها ترمي بشررٍ كالقَصْر كأنه جمالت صفر »[٢٩] ، وفي دلالته على غير ذلك جاء قوله تعالى : « ولَئنْ ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون »[٣٠] ، وقوله « ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما »[٣١] وقوله « ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما »[٣٢] وفي الآيات الثلاث الاخيرة اشارة الى النبت الذي يصفر ويجف .

وفي الحديث النبوي الشريف استعمل هذا اللون استعمالا عاما من جانب الملبوسات وتزيين الهندام واللحية[٣٣] ، وهناك اشارات الى ورود معنى هـذا اللون مطابقا لمعنى اللون الاسود ، اذ قال ابـو عبيدة وابن قتيبة بان الصفراء في قوله تعالى : « صفراء فاقـع لونها » هي سوداء كما فسر بعض المفسريـن قوله تعالى « جمالت صفر » على معنى ابل سود شابها شيء من الصفرة[٣٤] ، وربما اشار لنا هذا التفسير الى ان الذوق العربي كان يفضل اللون الاسـود في بشرة ماشيتهم .

وارتبط اللون الازرق في القرآن الكريـم والحديث النبوي الشـريف بالشيء المكروه ، وقد ورد هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة ، قـال تعالى : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا »[٣٥] اي زرق الابدان ، وورد في الحديث النبوي الشريف ثلاث مرات[٣٦] .

---

(٢٨) سورة البقرة/٦٩ .
(٢٩) سورة المرسلات الآية ٣٢ .
(٣٠) سورة الروم/٥١ .
(٣١) سورة الزمر/٢١ .
(٣٢) سورة الحديد /٢٠ .
(٣٣) اللسانيات ، ص ٤٢ .
(٣٤) ينظر التفسير الكبير للفخر الرازي ، ٢٧٧/٣٠ .
(٣٥) سورة طه / ١٠٢ .
(٣٦) اللسانيات / ص ٤٧ .

وجاءت الالوان الفرعية في القرآن الكريم بدلالات متعددة اذ جاء لون «الدهمة» في القرآن الكريم دالا على شدة اخضرار الزرع اشارة الى ما يعنيه ذلك من النعيم والرضاء عند اهل الجنة ، وورد هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : «ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان»[٣٧] والدهمة عند العرب السواد ، وانما قيل للجنة (مدهامة) لشدة خضرتها .

وجاء لون « الحوة » وهو سواد الى خضرة او حمرة الى سواد في القرآن الكريم دالا على تغير لون النبات بفعل قدرة الخالق جل وعلا ، وجاء هذا اللون في قوله تعالى « سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء أحوى »[٣٨].

وورد « الحور » في صفة النساء البيض في الجنة ، قال تعالى « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون»[٣٩] ..

ومن الالوان التي وردت في القرآن الكريم في صفة فعله تعالى في خلقه اللونان الوردي و «الدهني» وقد وردا معا في قوله تعالى : « فأذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان»[٤٠] والوردي لون أحمر يضرب الى صفرة حسنة في كل شيء اما الدهني او « الدهان » فاحمر جهنم ، وجاء اللون « اليحموم » اي الشديد السواد في صفة الكفار الذين يعذبهم الله في جهنم فتسود جلودهم من اثر ذلك ، قال تعالى « واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم »[٤١].

---

(٣٧) سورة الرحمن الآيات / ٦٢-٦٣-٦٤ .

(٣٨) سورة الاعلى الآيات : ١-٢-٣-٤-٥ .

(٣٩) سورة الواقعة الآيتين : ٢١-٢٢ وورد ذكر الحور في سورة الرحمن / ٧٢ والحواريون في سورة آل عمران آية/ ٥٢ .

(٤٠) سورة الرحمن/ ٣٧ .

(٤١) سورة الواقعة الآيات ك ٤١/٤٢/٤٣ .

وصفوة القول ان اللون قد وظف في الموروث الفني والثقافي للبشرية منذ غابر عهودهم وكان توظيفه في موروثنا في حقبة معينة مطلقا في مجالات عديدة ومفيدا فيما اتصل منه بالدين الاسلامي عندما يستعمل في تلوين الصور والاشكال التي حرمها الاسلام ، ولكن ذلك لم ينل من جماليات اللون في فنون الحياة الاخرى ، اذ ان هنالك مجالات ازدهرت فيها الالوان لعل من اهمها فن الزخرفة الخطية الاسلامية ، اذ ابتعد الفنانون عن تصوير المخلوقات الحية واتجهت الانظار الى الزخرفة الخطية والهندسية ، فقد برع المسلمون اكثر ما برعوا في اربعة اشكال من الفنون اولها التوريق المتشابك ، وثانيهما التحوير ، وثالثهما التلوين ، ورابعهما الكتابة الخطية[٤٢] ، ومن المعلوم ان للون أثره العام في اضفاء اشراقه حلوة على اشكال الرقش العربي الإسلامي، كما يكشف عن احساس مرهف ، بالالوان يقترب حينا ويفترق حينا اخر عن الوان الطبيعة ...[٤٣].

ولو انتقلنا الى الالوان التي تم ذكرها في اسراء ومعراج الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كما اوردها ابن عباس ، نراه يقول عند وصف الكواكب والافلاك بالوانها :ـ السماء الاولى رصاصية اللون[٤٤] من دخان ، والثانية من حديد[٤٥] . بالاضافة الى ذلك فان جبريل عليه السلام حين وصل ليأخذ الرسول «صلى الله عليه وسلم» معه الى السماء كان بجناحين اخضرين ، وكان من كرام المعراج الذي نصب على الصخرة يتكون قسما منه من ياقوت احمر اللون[٤٦] وان ملائكة السماء الثالثة المتكونة من النحاس يحملون ألوية

---

(٤٢) عكاشة ، ثروت : التصوير الاسلامي ، ص ٢٤ .
(٤٣) عكاشة ثروت : المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥ .
(٤٤) ابن عباس : الاسراء والمعراج ، دار العلوم الحديثة ، بيروت، ١٩٨٣ ص٧.
(٤٥) ابن عباس : المصدر السابق نفسه ، ص ٩ .
(٤٦) نفسه ، ص ٧ .

خضراء اللون[٤٧] ، اما السماء الرابعة فهي من الفضة البيضاء[٤٨] والخامسة من الذهب الاحمر [٤٩] ، وفيها موطن جهنم التي هي كما وصفها الرسول (صلى الله عليه وسلم) : (سوداء مظلمة ممزوجة با بغضب الله)[٥٠] وكانت السماء السادسة من ياقوتة خضراء ، وحين وصل السماء السابعة كانت من درة بيضاء ، ونجد في الإسراء والمعراج كذلك (ديكا) بلونين اصفر واخضر[٥١] ، وملائكة" أشد بياضا من الشيح[٥٢] ، مع بحار بيضاء من نور ، واخرى سوداء اللون ، ونجد ايضا (نساء قد مسخن اجسادهن سود كالقطران)[٥٣] .

كان للعرب قبل الاسلام عدة كعبات مقدسة يحجون اليها في مواسم معينة وهي منتشرة في جنوب الجزيرة العربية وفي وسطها وشمالها . في هذه الكعبات اقام العرب الاصنام التي كانوا يعبدونها وكان لكل قبيلة معبودها الخاص . من هذه الكعبات ، الكعبة المشرفة ، كعبة نجران ، كعبة الحضر ، كعبة تدمر ، كعبة بطرا ، ومعبد آله الصفويين[٥٤] .

---

(٤٧) نفسه ، ص ١٠ .
(٤٨) نفسه ، ص ١٥ .
(٤٩) نفسه ، ص ١٥ .
(٥٠) نفسه ، ص١٧ .
(٥١) نفسه ، ص ٢٤ــ٢٥ .
(٥٢) نفسه ، ص ٢٨ .
(٥٣) نفسه ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
(٥٤) الكعبات (بفتح الكاف العين) . جاء في لسان العرب المحيط للعلامة ابن منظور : (الكعبة : البيت المربع ، وجمعه كعاب ، والكعبة : البيت الحرام لتكعيبها اي تربيطها وقالوا : كعبة البيت فاضيفت لانهم ذهبوا بكعبة الى تربع اعلاه ، وسمي كعبة لارتفاعه وتربعه ، وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة ، وكان لربيعة بيت يطوفون به ويسمونه الكعبات ، وقيل : ذا الكعبات ، والكعبة الغرفة . قال ابن سيدة: اراد لتربعها ايضا . (عن شريف يوسف : الكعبات المقدسة عند العرب قبل الاسلام ، مجلة المجمع العراقي ، مج ١٩٧٨/٢٩ ، ص ١٨٨ .

ومن المعلوم ان تبع اول من كسا البيت كسوة كاملة ، فكساها الانطاع ؛ ثم رأى أن يكسوها فكساها الوصايل ثياب حبرة من عصب اليمن ، وجعل لها بابا يغلق ، ولم يكن يغلق قبل ذلك ، وقال تبع في ذلك شعرا[٥٥] :

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصبا وبرودا

وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابها قليدا

ومهما يكن من امر فنحن نعلم إن كساء الكعبة بات مستمرا ومتلاحقا في العصر الجاهلي القريب من عصر الرسالة المحمدية[٥٦] المباركة ، ثم اصبح سنة جارية في العصر الاسلامي منذ ايام النبي عليه الصلاة والسلام وحتى يومنا هذا .

فقد روى في هذا الشأن ان كسوة الكعبة في العصر الجاهلي كانت في اغلب الاحيان الانطاع (الجلود) والمعافر (البرود) فكساها رسول الله الثياب اليمنية[٥٧] ، ثم كساها عمر وعثمان (رضي الله عنهما) القباطي (جمع قبطية) وهي منسوجات بيضاء رقيقة من الكتان كانت تستورد من اليمن في العصر الجاهلي وصدر الإسلام[٥٨].

ولا شك في ان جميع تلك الحلل كانت من المنسوجات غير المقطعة او المحيطة[٥٩] ، ثم كساها الحجاج بالديباج[٦٠] ، وقد كسيت في بدء خلافة الناصر

---

(٥٥) الازرقي : اخبار مكة ، ما جاء فيها من اطار ، ج١ ، ص ١٣٤ .

(٥٦) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ٣٦٩/١ .

(٥٧) الواقدي : المغازي ، ص ١١٠

(٥٨) وكسيت الكعبة المشرفة في العصر الاموي بالديباج ثم بالحلل كان اهل نجران يؤدونها للمسلمين ضمن جزيتهم (البلاذري : فتوح البلدان / ج١، ص ٦٣) .

(٥٩) حميد ، عبدالعزيز ، صور من البسة العرب في العصر الجاهلي ، مجلة سومر ، مج ٣٨ ، ص ١٥٢ .

العباسي كسوة خضرا ، ثم كسيت كسوة سوداء ، فأستمر لونها اسودا الى الان[61].

ولا بد ان نتحدث عن الحجر الاسود وماله من اهمية لدى العرب وذلك من حيث تفسير طبيعة لونه وسبب إسوداده . فيذكر الازرقي في اخبار مكة : انه من احجار الجنة ، وقد جاء به جبريل بنفسه حين بنى النبي ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما السلام الكعبة ليكون للناس علما يبتدئون به الطواف)[62] . حولها كما طلب ذلك ابراهيم (عليه السلام) ، وكان لون الحجر في البداية (يتلألأ تلألؤا في شدة بياضه فأضاء نوره شرقا وغربا)[63] . وقد قيل ان تحول لونه الى الاسود كان بسبب الحريق الذي حدث في الكعبة زمن الجاهلية ، وقيل ايضا سبب تحوله الى السواد هو بسبب ما مسد من انجاس الجاهلية .. ومن المشركين الذين كانوا يمسحونه)[64].

وذكر الترمذي في صحيحه عن ابي عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انه قال : (نزل الحجر الاسود من الجنة ، وهو اشد بياضاً من اللبن فسودته خطايا بني آدم)[65] .

وان العرب في الجاهلية عندما ارادوا هدم الكعبة وبناءها من جديد ، منعتهم افعى لها ظهر اسود وبطن بيضاء ، فجاء طائر اسود اللون ابيض ومنعها فأستمروا في البناء[66].

---

(٦٠) الديباج : معربة وهي القماش المنقوش .
(٦١) الازرقي : اخبار مكة ، ج١ ، ص ٢٥٧ .
(٦٢) نفسه ، ص ٦٥ .
(٦٣) نفسه ، ص ٣٢٨ .
(٦٤) الشرقاوي ، محمود : اخبار مكة ، مطبعة الاهرام التجارية ، دار السلام ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص١٧٢ .
(٦٥) نفسه ، ص ١٧٣ .
(٦٦) الازرقي : المصدر السابق نفسه ، ج١ ، ص ١٥٨ـ١٦١ .

تدور اهم النتائج التي تم التوصل اليها حول جدة الموضوع وطرافته وما تعرض له من امور نظن انها تأسيس لمنهج لوني جديد لدراسة جوانب من الفن العربي الإسلامي ، تتكشف غوامضها بتتبع آراء الفنانين وافكارهم وانطباعاتهم التي عبروا عنها بالالوان واحاسيسهم النفسية بها ، ولعل من اهم النتائج التي يمكن الخروج بها من هذا البحث تتلخص في النقاط الاتية : ـ

١ ـ اثبتت الدراسة ان الالوان منذ نشوء اول الحضارات بدءاً من حضـــارة وادي الرافدين ووصولا الى العصر الحديث ارتبطت بمعان ورمزية عند مختلف الشعوب ، واستخدمت قوة تأثيرها الرمزي في القيم الروحيـــة ، عن طريق العادات والتقاليد ، حيث كان يقرن اللون الاحمر بالاحتفـــالات والازرق بالتفوق والاخضر بالطبيعة والاسود بالموت والاصفر بالشمس ، يضاف الى ذلك ان الحضارات المختلفة قامت عبر العصور باعطاء معان ودلالات رمزية لبعض الالوان دون غيرها ، وفي هذا تفسير للاسباب التي تجعـــل بعض الناس يميلون الى الوان دون اخرى •

٢ ـ كما دلت الدراسة على اقتران وارتباط الالوان منذ قرون عديدة باســـماء الكواكب السماوية وبدا واضحا في ارتباط اللون الفضي بالقمـــــــــر والذهبي بالشمس والاحمر بالمريخ والبنفسجي بعطارد •• وهكذا •

٣ ـ ووجد الباحث ان لكراهية التصوير في الحضارة العربية الاسلامية اثره في توحيد الالوان الى رسم المنسوجات والاثاث وتزويق الكتب والمنمنمات والابعاد عند تلوين المنحوتات الممثلة للاشياء الحيـــة •

٤ ـ عبرت الالوان عن ايمان المسلمين بمعاني تلك الالوان من خلال دلالات المعرفة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وقد عبرت كذلك عن مظاهر الرخاء والفرح في بعض مراحل الدولة الاسلامية •

٥ ـ وجدت ان الالوان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ذكرت بدلالات مختلفة ومتعددة ومن ذلك انها اتخذت لها دلالات رمزية منها ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة ، وقد نص القرآن الكريم على ان في اختلاف ألسنة البشر وألوانهم آيات لمن يفكر في حكمة الله وعظمة ملكه •

٦ ـ جاءت الالوان بدلالاتها ومعانيها في إسراء ومعراج الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) في وصف الكواكب والافلاك وألوانها للسموات السبع التي تراوحت بين اللون الابيض والاخضر والاحمر والرصاصي والذهبي •

٧ ـ اثبتت الدراسة انه كانت للعرب قبيل ظهور الاسلام عدة كعبات مقدسة يحجون اليها في مواسم معينة وهي منتشرة في جنوب الجزيرة العربية وفي وسطها وشمالها • وان تبع أول من كسا البيت كسوة كاملة • فيها ظهر ان إكساء الكعبة بات امرا مستمرا ومتلاحقا في العصر الجاهلي القريب من عصر النبوة (عصر الرسالة المحمدية) ، ثم اصبح سنة جارية في العصر الإسلامي واستمر الى يومنا هذا •

٨ ـ اما الحجر الاسود واهميته لدى العرب من حيث نفسية وطبيعة لونه وسبب إسوداده حيث كان الحجر في البداية يتلألأ من شدة بياضه فأضاء نوره شرقا وغربا ، اذ ذكر الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) : (نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم) •

المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ ابن الأثير : ابو الحسن علي بن محمد الشيباني(ت ٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م)النهاية في غريب الحديث والاثر ، ابو السعادات المبارك محمد الجزري المعروف بابن الاثير ، تحقيق ، طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م .

٣ ـ ابن عباس : الإسراء والمعراج ، دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٤ ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، تحقيق وضبط مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابلي الحنبي، القاهرة ، ١٩٣٦م.

٥ ـ الازرقي : ابي الوليد عبدالله بن احمد الازرقي ، اخبار مكة وما جاء فيها من اثار ، تحقيق رشدي الصالح محسن ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٦ ـ حميد والعبيدي ، عبدالعزيز ، وصلاح حسين ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٧٩م .

٧ ـ الرازي ، الامام فخر الدين الرازي : التفسير الكبير ، المطبعة البهية المصرية ، الطبعة الاولى .

٨ ـ زغلول ، عبدالحميد : العمارة والفنون في دولة الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٧٧م .

٩ ـ عمر ، احمد مختار : اللغة واللون ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ط١ ، ٢ ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٠ـ عكاشة ، ثروت : التصوير الإسلامي والديني ، مطبعة فينيقيا ، بيروت ، ١٩٧٧م .

١١ـ علام ، نعمت علام : فنون الشرق الاوسط في العصور الاسلامية ، ط١ ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

١٢ـ الواقدي : مغازي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، تحقيق مارسدس جونس ، مطبعة جامعة اكسفورد ، مصر ، ١٩٤٨م .

الدوريـــات

١ ـ الاثري ، محمد بهجة : الالوان .. في الفصحى والدراسات العلمية واللغوية تاليف محمد بهجة الاثري ، محاضرات الندوات المفتوحة ، مطبوعـــات المجمع العلمي العراقي ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م .

٢ ـ حميد ، عبدالعزيز : صور من البسة العرب في العصر الجاهلي ، مجلـــة سومر ، مجلد ٣٩ ، ١٩٨٣م .

٣ ـ شريف ، يوسف : الكعبات المقدسة عند العرب قبل الإسلام ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد (٢٩) ، ١٩٧٨م .

٤ ـ العلي ، صالح احمد : الوان الملابس العربية في العهود الإسلامية الاولـى ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد (٢٦) و (٢٧) ١٩٧٥م و١٩٧٦م .

العدوان من وجهة نظر نفسية

الدكتور طه النعمة

(طبيب نفسي)

الملخص:

بقي العدوان ، عقوداً طويلة ، أسير النظـرة السـلبية الأحاديـة الجانب . ولم يتم الانتباه إلى دوره الإيجابي المطـور للحيـاة إلا فـي العقود الثلاثة الاخيرة . قد احتلت الايثولوجيا موقع الصدارة في دراسـة العدوان والتنبيه إلى أهميته كغريزة في تحسين فرص النوع في البقـاء والنجاح . رغم أهمية العدوان للإنسان ، فرديا وجماعيا ، إلا انه يتخـذ لديه في أحيان كثيرة ، منحى خبيثا يتسم بالعنف ، ذلـك لان التـوازن الحرج بين الاستثارة والكف الخـاصين بـالعدوان كغريـزة عرضـة للاختلال ، لاسباب تتعلق بنمط الحياة الراهنة وبطبيعة تكوين الإنسان. لذا فالعدوان ليس مسؤولا مباشـرة عن السلبيات التي تعزى لـه ، إذ انها نتاج لاختلاف ظروف وكيفية اسـتجابة الأفـراد والجماعـات ، شعوريا ولا شعوريا ، لغرائزهم الرئيسية .

إن الأسلوب الأفضل للتعامل مع العدوان يكمـن فـي استكشـاف الحلقات الإحيائية والنفسية والاجتماعية الخاصة به ، ومحاولـة فهمـه فهما موضوعيا ينأى عن المواقف المتحيزة والمسبقة.

العدوان من وجهة نظر نفسية

الدكتور طه النعمة

(طبيب نفسي)

تمهيـــد

يكتسب العدوان aggression أهميته فـــي حياتنـــا لأننـــا ، أولا ، نمارس العدوان في سلوكنا اليومي دون ان ندري أحيانا ، ولأننا نقـــع ضحية له ونعاني من تأثيراته دون ان نعرف مصدرا لهذه المعاناة فـــي أحيان أخرى. ولان العديد من المظاهر السلوكية الإيجابية والســـلبية ، السارة والمحزنة ، اللاذة والمؤلمة يؤدي العدوان دورا أساسيا فيـــها . ولان الكثير من الطقوس والمراسيم والتقاليد والعادات والقوانين ، ثانيـــا هي نتاج للعدوان ، رغم أننا نجهل عموما ، أو نتجاهل الدور الإيجـابي الهام الذي يؤديه العدوان في حياتنا الاجتماعية وما يضفيه هذا الـــدور من غنى وتنوع عليها. ولان العدوان ، ثالثا، يتخذ في أحيان كثـــيرة ، مظاهر بالغة العنف في العلاقات بين البشر لدرجة يقال فيها ان الإنسان يكاد يكون الحيوان الراقي الوحيد الذي يقوم بقتل أبناء نوعه على نحـــو متعمد ومخطط له *٠ولان معطيات سيكولوجية العدوان ،رابعا ، تحتـل مكانا بارزا في التعامل النفسي على المستويين التعبوي والسوقي فـــي

---

* قد يكون الاستثناء الوحيد المسجل في البرية هو " الحرب " التي قامت , في السبعينات من القرن المنصرم , بين مجموعتين من مجموعات شمبانزي محمية غومبي في تنزانيا ٠ لمزيد من التفاصيل يرجى مراجعة عددي مايس ١٩٧٩ وك١ ١٩٩٦ من مجلة National Geographic٠

مجال ما اصطلح على تسميته الحرب النفسية • ولانه، خامسا، غالبا ما يتم الخلط بين العدوان والعنف بحيث يستخدم أحدهما وكأنــــه مــرادف للآخر ، والحال ان العنف قد يكون أحد المظاهر العديدة للعدوان ألا انه ليس المظهر الوحيد ، وقد لا يكون الأكثر أهمية له ، إذ أن اشد أعمــال العنف فتكا يمكن ان ترتكب دون ان ترافقها أيــــة مشـــاعر او دوافــع عدوانية ، وخير مثال على ذلك ما يقـــوم بـــه القتلـــة المحـــترفون • وبالمقابل فان الكثير من الأنماط السلوكية والاتجاهات التي تخدم أهدافـا عدوانية لا تتسم البتّة بأية مظاهر للعنف .

ما العدوان ؟

الاهتمام بالعدوان جاء متأخرا نسبيا ، كما ان الموقف منه جـــاء منذ البداية ليعكس التفسيرات المتعارضة التي تتبناها المدارس الفكريـــة المختلفة • فموقف السلوكيين يتسم بالوضوح ولكن أيضاً بالبســـاطة • فللسلوكيين التقليديين رأي معروف : الإنسان يولد صفحــــة بيضـــاء ، تملؤها فيما بعد خطوط التعلم والتشريط ، وبذا فالعدوان مكتسب ويتـــم تعلمه من البيئة • إلا إن السلوكيين المحدثين والسيكولوجيين التجريبيين وجدوا أن هذا التفسير موغل في التبسيط ، فخـــرج دولارد ومســـاعداه دوب وميلر في أواخر الثلاثينيات بمقولتهم الشـــهيرة حـــول الإحبـــاط والعدوان •ــ يقصد بالإحباط هنا هو قطع الطريق أمام سلسلة الأفعـــال المتجهة نحو تحقيق هدف ــ والصيغة المبسطة لموضوعه الإحبـــاط ــ العدوان هو ان الإحباط ينتج حالة من التأهب أو الاستعداد لفعل عدواني

وعلى ذلك فكل سلوك عدواني لا بد ان يكون مسبوقا بقدر من الإحباط(١)

سيطرت هذه المقولة ، خلال العقود الثلاثة اللاحقة لظهورها ، على اتجاهات البحوث والدراسات التي حاولت فهم العدوان في المختبر، مما اسهم في تسليط الأضواء على الجوانب الفسلجية لاستجابة العدوان. ورغم الحماسة التي قوبلت بها أول الأمر ألا أن بريقها اخذ يخبو تدريجيا ، بتأثير من الاكتشافات الحديثة والتفسيرات المثيرة القادمة من العلوم العصبية والأحياء النشوئية والايثولوجيا وبالاستناد إلى المبادئ القديمة المتجددة للتحليل النفسي ٠ وليتحدد دور الإحباط في انه يوجد حالة من الاستعداد للعدوان دون ان يكون وجوده شرطا لذلك ٠

ورغم ان التحليل النفسي فتح الباب لدراسة اللاشعور واستكشاف الدوافع الغريزية المختلفة ، ورغم البصيرة النفاذة والملاحظة الثاقبة لأبي التحليل النفسي ، إلا انه بسبب نظرته الايروسية ومذهبه المثنوي، اخطا طريقا كان يمكن ان تكون ممهدة نحو الريادة في إعطائنا فهما حقيقيا للعدوان ، رغم اقترابه الشديد من ذلك في العديد من مؤلفاته المتأخرة ٠ لقد اقلقت سيجمند فرويد مظاهر للعدوان التي كان يلتقيها في كل عطفه خلال عمله كمحلل وفي ملاحظاته لمجريات الحياة اليومية ، فلم يجد مناصا من الاعتراف بوجود غريزة وراء هذا الأمر ٠ ولكن الغريزة لديه يؤدي إشباعها إلى خفض التوتر (اللذة) بينما هذه الغريزة ، كما شاهد آثارها ، مكدرة ومؤلمة ٠ من هنا قادته مثنويته وتأثره بالاتجاهات العلمية السائدة في عصره ــ بخاصة القانون الثاني للميكانيكا الحرارية والانتروبي ــ إلى ان يطلق على هذه الغريزة غريزة الموت (ثاناتوس) كمقابل لغريزة الحياة (ايروس) ٠

وافترض ان هذه الغريزة التي يشكل العدوان أحد مظاهرها تعمل على إعادة العضوية إلى الحالة السابقة لتشكل الحياة ، إذ أن الموت والتحلل هو العاقبة النهائية لكل أشكال الحياة العضوية .(٢)

ويعود الفضل لالفرد ادلر في انه أول من أشار إلى إن إحدى أهم القوى التي تحرك الإنسان هي النزوع إلى السيطرة وتوكيد الذات ، وهذه الإشارة ستكون لاحقا إحدى المعالم المساعدة على فهم الظاهرة النفسية العدوانية • إلا إن عدم قدرته على ربط هذا الاكتشاف الهام بالإطار العام للقوى الغريزية النشوئية قاده نحو منحى اقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم •(٣)

وربما يكون من المثير للتأمل أن يبتدع كارل كوستاف يونغ وهو المثالي النزعة ، الفكرة القائلة بان النفس البشرية ، كما هو حال الكائن البشري العضوي ، مرت وتمر بمراحل نشوء وارتقاء البدايات الأولية والتجربة النفسية الممتدة عبر الزمان للنوع البشري مخزونة بكاملها في ما اسماه باللاشعور الجمعي • وان هذا اللاشعور السلالي البدائي ، بما يمتلك من تنوع وبصيرة ، هو الأصل في تكوين الحياة النفسية للفرد وفي قيادتها •(٤)

قد يعطينا ما تقدم فكرة عما كان بإمكان هؤلاء المفكرين الثلاثة فعله لو انهم استمروا على العمل سوية ، لقد كانت أمامهم أحجية ، كتلك التي واجهت العميان في القصة المعروفة ، وقد امسك كل واحد منهم بجزء من الحل ، إلا إن العناد إضافة إلى الرغبة في توكيد الذات وهذه مفارقة لا تخلو من مغزى ، منعت اجتماعهم والاتصال فيما بينهم منذ افتراقهم التاريخي في بداية العقد الثاني من القرن المنصرم •

عموما، اعتبر التحليل النفسي العدوان ، ابتداءً ، انحراف عن السواء يتعين التعامل معه علاجيا ، ثم اعتبره ، فيما بعد ، نزعة غير مرغوب بها . ولم ينتبه إلى ضرورته كجزء من التراث البيولوجي الحافظ للحياة والمطور لها إلا في وقت متأخر . لذا فالموقف الأولي للتحليل النفسي لم يختلف كثيرا عن مواقف السيكولوجيين التقليديين من سلوكيين وتجريبيين . فهم لم يشيروا ، على سبيل المثال ، إلى إمكانية القضاء على الباعث الجنسي أو تعديله بالتعلم أو الحد من مكافآت الإشباع الجنسي ، لأنهم اعتقدوا إن الجنس إيجابي بينما العدوان سلبي . وهنا يكمن في اعتقادنا ، أساس الالتباس .

ورغم ان قلة من المحللين النفسانيين تقبلوا موضوعة غريزة الموت الفرويدية ، الا انهم وبدون استثناء التقوا حول المفهوم القائل بان العدوان غريزة رئيسية مع إقرارهم ، آنذاك ، بان هذا المفهوم من شانه إثارة معاضل عملية ونظرية هامة . إذ بعد ان قدم فرويد مفهومه هذا في العام ١٩٢٠ ، اعتبر العدوان واقعا في الأرض المشتركة بين البدني والنفسي او ما يمكن اعتباره ظاهرة بدن ــ نفسية لذا فقد بقي مخلصا لقناعاته المبكرة القائلة ان البيانات النفسية لوحدها قد لا تكون كافية لفهم هذه الظاهرة . (٥) وقد أكد هاينز هارتمان واخرين هذا الاتجاه بالإشارة إلى إن صدقية موضوعه غريزة الموت ستتقرر ، على الأرجح ، من قبل البيولوجيا . ولكن إثبات صحة أو خطا هذه الموضوعة لن يؤثر بحال على صدقية كون العدوان هو دافع غريزي.(٦) غير إن جارلس برينر يلخص رأي معظم محللي الربع الخير من القرن العشرين حول الموضوع بالقول ان الأدلة النفسية المتوفرة المؤيدة لكون العدوان غريزة تبدو لنا مقبولة ووافية ،

وإننا بلا شك نرحب بأية أدلة مساندة من فروع المعرفة الأخرى ، رغم إننا لا نرى إنها ضرورية تماما . أما ربط العدوان ببنى وفعاليات تشريحية وعصبية وفيزيولوجية وكيمياوية فهو أمر متروك تقديره للبيولوجيا(٧) وكان أن تصدرت البيولوجيا ، بالفعل ، الصفوف ممثلة بالايثولوجيا ، لتقديم تفسير علمي متماسك لنشوء غريزة العدوان ووظيفتها وجدواها للفرد والنوع .

الايثولوجيا ، مدرسة فكرية ، اتخذت من دراسة سلوك الحيوان في بيئته الطبيعية مختبرا لها . وبحسب جوليان هكسلي فان كونراد لورنز هو أبو الايثولوجيا الحديثة ، وذلك لانه أوجد ، ضمن أمور أخرى ، تفسيرا جديدا لسلوك الفقاريات . إذ اعتبره مؤلفا من وحدات سلوكية ، كما هو الحال بالنسبة للتشريح الذي يتالف من وحدات بنيوية . ولهذه الوحدات السلوكية أسس جينية تم تحويرها خلال الزمن النشوئي الهائل الامتداد بواسطة الانتقاء الطبيعي كإشارات نوعية (خاصة بكل نوع) تعبر عن حالات أو كيفيات انفعالية اتصالية . (٨)

في بداية الأمر رفض لورنز الموقف الفرويدي استنادا إلى ما اعتبره خطأً جسيماً ارتكبته الفرودية عندما أوجدت للموت غريزة . فالغريزة من وجهة نظر الايثولوجيا ، ذات الموقف النشوئي ، يتعين ان تكون لها قيمة في بقاء واستمرار النوع ، وهي لا تنشا إلا لتحقيق هذا الغرض إلا انه يعود فيما بعد إلى الاعتراف بأنه لولا اطلاعه على إنجازات الفرودية المتأخرة أراء الفرويدين المحدثين والأفكار الأساسية حول الدوافع والطاقة النفسية واليات الدفاع لما أمكنه صياغة أفكاره حول العدوان . (٩)

يعرف لورنز العدوان بأنه غريزة القتال داخل ـ نوعية

Interaspecific في الحيوان والإنسان . (٩) هذا التعريف الموجز والمباشر ، لاشك ، يوجب بعض الإيضاحات :

أولاً : ماذا يقصد لورنز، هنا ، بالغريزة ؟ الغريزة من وجهة نظر لورنز هي عدد من الأنماط patterns السلوكية رسيّة النشوء phylogenetic ينتظم فيها كل من الاستثارة excitation والكف inhibition بطريقة يتمم أحدهما الآخر تبادلياً ليكوّنا نسقاً متكاملاً ، كما لو ان الكائن يعرف ما عليه عمله للحفاظ على الذات وعلى استمرار بقاء النوع . (٩) وهذا التعريف للغريزة يستند إلى اعتقاد الايثولوجيين بان الكثير من حلقات السلوك المتتابعة هي برامج معدّة سلفاً في مورثات الوليد . وان هذه المورثات توجه السلوك من خلال عدّة طرق من أهمها ، المثيرات الإشارية أو المطلقات releasers كما اصطلح على تسميتها . وهي تلميحات في البيئة تنطوي على أشكال ، خلفيات أو أصوات ، ذات دلالات منمطة تمكّن الحيوان من التعرف على الأشياء والأفراد الذين سيصادفهم لأول مرة ، فتطلق نتيجة ذلك التعرف أنماطاً سلوكية معينة ومحددة . والاستخدامات الأكثر شيوعاً للمطلقات ذات طبيعة اتصاليـة تتعلق بالأنشطة ذات الأهمية البالغة لبقاء الكائن واستمرار النوع كالقتال والصيد وتجنب الافتراس وجمع الطعام والمغازلة والعناية بالصغار . فالغريزة بهذا المعنى هي برامج جاهزة تحتاج فقط إلى نسق إشاري أو مطلق كي تشغل .(١٠)

ثانياً : لماذا خص لورنز العدوان داخل ـ نوعي ؟ رغم ان لورنز لا ينكر وجود صور بين ـ نوعية interspecific للعدوان ولكنها ليست المقصودة هنا لسببين :

أ. لان ضربة مخلب الأسد الموجهة إلى فريسته وتلك الموجهة إلى غريمه تبدوان متشابهتين في الظاهر ، إلا إن الدوافع الكامنة للصياد وانفعالاته تختلف كل الاختلاف عن تلك الخاصة بالمقاتل، والغريب إن غالبية من ناقشوا موضوع العدوّان وقعوا في التباس الخلط بين الاثنين ، فحمار الوحش ، مثلاً ، لا يثير في الأسد من دوافع العدوان إلا بقدر ما تثيره الدجاجة المشوية من دوافع مماثلة لدى إنسان جائع . إذ بينما تنتمي الأنماط السلوكية الخاصة بالصيد والانفعالات المصاحبة لها إلى غريزة ـ البحث عن الطعام ـ الفموية orality تنتمي تلك الخاصة بالقتال إلى غريزة العدوان ، والفارق بين الاثنين كالفارق بين مجموعة تخرج لصيد الغزلان وأخرى تقوم بأعمال الدورية في الأرض الحرام أو باتجاه مواقع العدو . فالصياد يستمتع بالصيد ويمارسه بمزاج رائق وكأنه يمارس لعبة من الألعاب ـ وهذا ما يفعله القط كما هو معروف للجميع عندما يبدو وكأنه يتلاعب بالفار عندما يكون بمتناول يده -. بينما المقاتل المقبل على الاشتباك مع عدو يملؤه شعور بالقلق والتوجس مع ما يرافقهما من مظاهر استثارية فسلجية معروفة كالخفقان والتعرق ومغص الأمعاء وجفاف الفم وغيرها. واخيراً فان الأهداف التي يتوخاها الصياد مختلفة تماماً عن تلك التي يتوخاها المقاتل .

ب. لان ما يهدد وجود النوع ، بصورة مباشرة ليس الحيوان المفترس والذي اصطلح على تسميته العدو الطبيعي ، وانما الحيوان المنافس على ذات الموارد البيئية والغذائية . ففي عصور موغلة في القدم اصطحب الإنسان معه كلبه البدائي المدجن " الدنكو " إلى قارة استراليا. وقد فرت أعداد منه ثم انتشرت في أنحاء القارة البكر وعادت

إلى أصولها البرية إلا أن الدنكو لم يتسبب في انقراض أي من الحيوانات التي كان يفترسها وانما تسبب في انقراض المفترسات الكلبية الجرابية التي كانت تتغذى على نفس الحيوانات .إذ رغم تمتع الشيطان التسماني والذئب الجرابي بالضراوة وضخامة الحجم ، إلا إن طرق صيدها " المتخلفة " وغباءها النسبي ، بالمقارنة مع الدنكو جعلها تهزم أمام فطنة ذلك الصياد وأساليبه " الحديثة ". فلم تعد طرقها قادرة على منافسته مما أدى إلى تناقص أعدادها وانقراضها واختفائها من القارة تماماً ، وما عاد لها وجود إلا في جزيرة تسمانيا التي لم يدخلها الدنكو أبداً . كما ان الطريقة التي تؤثر في نشوء كل من المفترس والفريسة مثال قياسي على كيفية تسبب الضغوط الانتقائية لوظيفة ما في إحداث سلسة من التكيفات المتقابلة في الاثنين . فسرعة الطرائد ذات الحوافر أجبرت مطارداتها على اكتساب قدرة هائلة على الوثب مع مخالب شديدة الضراوة . وتحوي المكتشفات الاحفورية على أمثلة لا تعد على مثل هذا التنافس النشوئي بين أسلحة الهجوم ووسائل الدفاع . هذا التعاطي بين الآكل والمأكول لا يمكن أن يصل إلى المدى المؤدي إلى انقراض الأخير . فهناك دائما حالة من التوازن متوطدة ومتواصلة بين الطرفين . فأواخر الأسود ستنفق جوعا قبل ان يتسنى لها اصطياد أواخر حمار الوحش . والملاحظ في الطبيعة إن الفرائس هي التي ، في واقع الحال تمارس سلوكاً عدوانياً تهديديا أحياناً وهجومياً تجاه مفترسيها دفاعاً عن نفسها وصغارها وليس العكس . لذا فالقيمة البقائية للصراع ، وبالتالي العدوان داخل ــ نوعي اكثر وضوحاً من تلك الخاصة بالتنافس بين ــ نوعي (٩) . ونظرة عابرة على الوضع الراهن بإمكانها أن تدلنا

على ان الخطر الحقيقي والوحيد الذي يتربص بالإنسان هـــو ، بــدون أدنى شك ، الإنسان نفسه .

كيف يمكن ان تنشأ غريزة كالعدوان ؟

يمكن القول ان مملكة الحيوان تنقسم ، بصورة عامة مـــع بعــض الاستثناءات ، إلى فئتين الأولى ، حيوانات عاشبة وهي فـــي الغــالب اجتماعية ، أي إنها تعيش على شكل مجموعات أو قطعان ،لان الحيـــاة الجماعية تمنحها فرصة افضل لحماية نفسها وبالتالي فرصــــة افضــل لاستمرار النوع . ولكن الحياة الجماعية لا تستقيم إلا بالتنظيم الذي يأخذ شكل تراتب اجتماعي داخل القطيع أو الجماعة ، ضمن تدرج هرمـــي من الذكر الرئيسي نزولاً لكل فرد فيه موقعه ومرتبته الاجتماعية التـــي يلتزم بحدودها وفق معطيات تقررها قدراته على التنافس مع باقي أفراد المجموعة . لذا فان الحيوان الاجتماعي هو حيـــوان متطلـــع للمنزلـــة الاجتماعية الأفضل ، لما تحويه من امتيازات ووسيلته إلى ذلك منظومة الدوافع العدوانية وما يعبر عنها من أنماط ســـلوكية. إضافـــة إلـــى ان التراتب الاجتماعي يساهم في تخفيف النزاعات والصراعات بين أفـــراد المجموعة الواحدة إلى حدودها الدنيا ، لان التنازع سيكون محصـــوراً بين الأفراد المتقاربين في المكانة الاجتماعية وبذا فقـــائد المجموعـــة ، مثلا لا يتوقع ان ينازعه سوى عدد محدود من الذكـــور الذيـــن يلونـــه مباشرة في المكانة الاجتماعية .

والفئة الثانية حيوانات لاحمة وهي في غالبيتها مفترسة صيـــادة ، تهتم ، ضمن أمور أخرى بحقوق السيادة الإقليمية المتعلقة برقعة مجالها

الحيوي للصيد والتزاوج حيث تقوم بتأشير مثل هذه المناطق بروائحها الخاصة لتنبيه الدخلاء من بني نوعها ألا ان هذا هو إقليمها *.(١١)

ويأتي هذا الترتيب للتخفيف، أيضاً ، من آثار النزاعات المباشرة بين أفراد النوع ، خصوصا وان معظمها يمتلك أسلحة فتاكة : فبدلا من التقاتل المباشر على فريسة او طعام ، تتنافس الحيوانات الإقليمية على قطعة من الأرض او الماء أو الهواء تحتوي على الغذاء الذي تحتاجه وبذا يتم حقن دماء أفراد النوع ٠ وحماية الإقليمية تستدعي وجود منظومة من الدوافع والأنماط السلوكية والانفعالية الموجهة نحو الدخلاء. ولاعتبارات تتعلق بنشأة الإنسان فقد اجتمعت لديه الدوافع العدوانية الخاصة بالسعي نحو المكانة الاجتماعية إلى تلك الخاصة بحماية المجال الإقليمي ، وما يرافق كليهما من أنماط سلوكية استثارية وكافّة ٠ بهذا السياق أقام الإنسان الأول نظاما اجتماعيا مزدوجا ، فهو صياد وجامع طعام في رقعة من الأرض عليه حمايتها من الدخلاء ، وهو أيضا جزء من جماعة (قبيلة) يتعين عليه القيام بواجباته نحوها وفي نفس الوقت العمل على تحسين موقعه الاجتماعي فيها متنافسا مع أعضائها الآخرين ، في كل الأحوال تبدو لدينا هنا، نقاط انطلاق نحو تكوين دوافع غريزية تشكل قاعدة لانساق سلوكية متكاملة واستجابات فيزيولوجية ، عصبية وغددية ، سواء ما يعبر منها عن المظاهر العدوانية القتالية الصريحة والسلوك الغريمي التنافسي ، كحركات وإيماءات التهديد واستجابة الكر والفر ، أو ما يعبر منها عن الاحتواء والتنظيم والتهدئة appeasement والكف ٠ في البيئة النشوئية

---

* الإقليم territory : مساحة في المكان براً أو فضاءً ، يدافع عنها حيوان او مجموعة حيوانات عادة إياها محميتها الخاصة حصريا .

الأصلية يعبر عن التهديد بإظهار كافة الأسلحة : منـــاقير، مخــالب ، أنياب ، قبضات ووضعها في اقرب مكان إلى عيني الخصم ، إضافـــة إلى انتصاب القامة ونفش الشعر أو الريش لاعطاء حجم الجسم تـــأثيرا تهديديا اكبر. ويمكن اعتبار اللحية والشاربين لدى الذكر الآدمـــي مـــن أدوات التهديد حيث كان شعرهما ينتصب على الأغلـــب فـــي حـــالات التهديد ليعطي الوجه منظرا مهيبا ومخيفا ٠(١٢) والكثير من الحيوانات اكتسبت أعضاءً هي عبارة عن إشارات قتالية ، كعرف الديـــك الـــذي ينتصب عند التهديد ويخر جانبا عند الهزيمة وهذه إشارة تسليم نشـــوئية لغريمه ٠ كما ان قرون الأيائل والثيران والخراف ، وأصوات الطيـــور وألوان السمك نشأت ، في جانب منها، لتعبر عـــن إشـــارات قتاليـــة. فالزقزقة التي يصدرها عصفور على الشجرة قبيل الغروب مقصود بها تنبيه الآخرين إلى وجوده ودعوة لهم بالابتعاد لان المكان محجـــوز ٠ كما ان ألوان السمك في الحيد المرجاني المزدحم لا تختلف كثيرا عـــن الرايات التي ترفعها السفن عند دخولها المرفأ لتـــدل علـــى جنسـيتها والمكان المخصص لرسوها وما يتضمنه ذلك مـــن تحذيـــر للآخريـــن بالابتعاد عنها ٠

ما هي وظيفة العدوان ؟

الآن إذا ما سلمنا ان العدوان غريزة فما هي الوظيفة التي يمكن لـــه تأديتها ؟ وكيف يمكن بمقدوره المساعدة على بقاء النـــوع ونجاحـــه ؟ بحسب لورنز ، فان للعدوان خمس وظائف (٩) تخدم ذلـــك الغـــرض وهي :

١٠ التوزيع المتوازن لأفراد النوع على كامل الرقعة البيئية القادرة على توفير مقومات الحياة ٠ فالنوع المحصور في رقعة بيئية ضيقة لا يمتلك سوى فرص ضئيلة للبقاء ٠ والعدوان الذي يعبر عنه بالتنازع والتنافس يؤدي إلى انتشار أفراد وجماعات النوع على اكبر رقعة بيئية ممكنة ، وهذا يعني فرصا افضل لاستمراره ٠ فالانتشار يحول دون استنفاذ الموارد الغذائية ويحمي من الهلاكات الكبيرة بواسطة الأوبئة ويحد من الآثار السلبية للتزاوج الداخلي.

٢٠ التنافس على الغذاء ليس المجال الوحيد للتنافس ، سواء بالنسبة للحيوان أو الإنسان ، والذي يؤدي العدوان دورا فيه . فالصراع بين الذكور خلال موسم التزاوج أمر معروف وشائع ومن المفترض ان يرجح مثل هذا الصراع بقاء واستمرار الأليق ، ليس فقط فيما بعد فيما يخص إلباس والدهاء ، وانما أيضاً لان الذكر اللائق هو والد اكفا ، إذ انه اقدر على توفير الحماية لإناثه ولصغاره ٠ كما إن الانتقاء الجنسي الناجم عن التنافس بين الذكور يعني نوع أقوى واكثر تكيفا ، لذا من مصلحة النوع ان يحوز الأقوى والأشد ذكاء فرصا افضل في العيش والتكاثر ٠

٣٠ حماية الصغار : تلعب الأنماط السلوكية الكافة للعدوان دورا هاما في حماية الصغار وتجنيبها آذى البالغين ٠ إذ إن الأنساق الإشارية التي يصدرها الصغار تساهم في تهدئة البالغين وتؤدي بهم إلى رعاية الصغار والعناية بهم ٠ وهذه الأنساق الإشارية هي التي تطلق الاستجابات الامومية والأبوية ٠ فأمهات الطيور اللواتي يكن غاية في العدوانية عند التفريغ ، يترفقن بصغارهن بناء على ما يصدره الصغار من أصوات استجداء للغذاء ٠ وقد أجرى لورنز وفريقه تجربة مهمة

في هذا الخصوص ، عندما قاموا بإتلاف الخلايا الأولية المسؤولة عن تكوين جهاز السمع لدى بعض أجنة الدجاج لجعلها صماء حتى وهي داخل البيض ، عندما حان الوقت ليكون لهذه الدجاجات الصماء صيصانها الخاصة قامت بنقرها حتى الموت الواحد تلو الآخر ٠ لان الدجاجة عندما يفقس بيضها تقوم بنقر أي شيء يتحرك في محيط دائرة معينة حولها وهو برنامج سلوكي مصمم لحماية الصغار من الأخطار وبخاصة القوارض ، ولا يمنعها شيء من نقر صغارها إلا تلك الأصوات الشبيهة بصوت جهاز الاستدعاء الذي يطلقه الصوص بصورة مستمرة ، طالما كان في حالة حركة حول امه٠ لذا ليس مستغربا إن يطلق الكلب البالغ صوتا شبيها بصوت الجرو عندما يتعرض للأذى او في المواقف المثيرة للخوف املاً إن يخلصه ذلك من محنته ٠ وقد يكون العويل الذي يصدره الآنيان الراشد إشارة اتصالية تتوخى ذلك الهدف ٠

٤ ٠ تنظيم القطيع ، النقيل أو الجماعة ومن ثم القبيلة على أسس إن يقودها المجربون والأكثر ذكاء وفطنة في أعضائها ٠ تخبرنا جين كوديل التي أمضت قرابة الأربعين عاما في دراسة ورعاية الشمبانزي في بيئته الطبيعية ، بأنه في كل مجموعة شمبانزي ذكر رئيسي (ألفا)، مسيطر ومتسلط يفرض سطوته على باقي مجموعته باستعراض مبهر أحيانا مرعب لعدوانيته ٠ وتتقبل المجموعة دورها كتابع ، فهي لا تلجا إلى الأحراش هربا من تسلط الذكر الالفا لتعيش منفردة ، إذ هي بحاجة إلى القوة و الأمان الذي تمنحهما كثرة العدد ، لذا فهي تعيش منفردة كجماعة ، وهذا لا يتحقق نتيجة طغيان وقسر الذكر الالفا و إنما لانه يقوم بدور المنظم والحارس والحامي فهو أول المتصدين للأخطار

القادمة من خارج المجموعة ، كما انه لا يتأخر عن المبادرة في حماية ضعفاء المجموعة من أقويائها .(١٣)

٥. تكوين أواصر المودة الطويلة الأمد . وهذه نقطة سيتم إيضاحها لاحقا .

العدوان وفق هذا السياق عملية انتقاء طبيعي داخل ــ نوعي ، تخدم بقاء النوع وتحسين ضروبه . ولكن القوى النشوئية كما هي الحال مع سائر الغرائز الرئيسية ، لا تقدم لنا الأمر على هذا الأساس ، فنحن كأفراد لسنا منشغلين أو معنيين مباشرة بموضوع بقاء وتحسين النوع . لذا يتم تجزئة الغريزة الرئيسة إلى دوافع فرعية ،(دعاها فرويد مشتقات الغريزة بينما أطلق عليها لورنز تسمية برلمان الغريزة . وبرلمان الغريزة أو مشتقاتها تبلغ من الكثرة والتنوع قدر ما يبلغه مجموع التقمصات والتحويلات والازاحات ووجوه التراضي وحلول الوسط والتعلقات والتفضيلات والاهتمامات والأذواق والاتجاهات والمواقف والعادات والمشاعر والانفعالات والقيم والمثل العليا) يتم إشباع او تلبية كل منها منفردة أو مجتمعة ، وفي ذلك إشباع جزئي لمتطلبات الغريزة الرئيسية ، ويحوي كل إشباع مكافأته ومتعته الخاصتين ، كما هو الحال في الحصول على الطعام والتلذذ به وما نحيطه من مراسيم وممنوعات وما يثيره لدينا تناوله من مشاعر المشاركة والألفة . لذا كان " للانتصار" على الغريم والصعود درجة في السلم الاجتماعي ، نشوتهما الخاصتين التي لا تدانيها ، لدى البعض ، أي نشوة أخرى مهما كان مصدرها .

ماذا بشان مخاطر العدوان ؟

حتى لو سلمنا بان العدوان يؤدي دورا هاما في بقاء النوع ونجاحه يكفينا إلقاء نظرة على مخالب الأسد أو أنياب النمر أو قرون الجاموس الوحشي ، لنتأكد شكوكنا في إمكانية ان تكون تلك الأسلحة مصدرا لأخطار جسيمة تهدد بقاء النوع ونجاحه. كيف إذن أمكن التعامل مع مصدر الأخطار هذا ؟

بما أن العدوان غريزة فأنها كما هو الحال بالنسبة لغيرها من الغرائز ما لم تكن محددة ومنضبطة فأنها ستترك آثارا سيئة ليس على الأفراد فحسب وانما على مصير النوع بأجمعه وهذا يتعارض مع أهداف القوى النشوئية . لذا نشا السلاح الفتاك واكتسب السلوك القتالي إشاراته وإيماءاته التهديدية المعروفة ، ونشأت معه جنبا إلى جنب أنماط سلوكية وإجراءات من شانها ضبط وتنظيم العدوان والحد من آثاره الضارة والمؤذية ، متخذة أشكالا وكيفيات عديدة فيما يأتي أهمها :

١. كف السلوك العدواني من خلال الاستجابة لإشارات وإيماءات معينة تسمى إشارات وإيماءات التهدئة والإذعان يصدرها الأفراد المذعنون أو المهزومون لتهدئة المسيطرين او المنتصرين . هذه الإشارات والإيماءات وكذلك الاستجابة لها ذات أصول نشوئية أي إن إيماءة التهدئة التي يصدرها المهزوم تطلق نمطا سلوكيا تسامحيا لدى المنتصر فكيف الأخير عن مهاجمته . والإشارات والإيماءات الخاصة بالتهديد وتلك الخاصة بالتهدئة والإذعان تورث جينيا إذ لكل نوع إشاراته وإيماءاته الخاصة بذلك فالرئيسيات ، عموما ، تعبر عن الإذعان باتخاذ وضع تقديم المؤخرة والذي تم اختصاره إلى " التقديم "

فعندما يريد أي فرد اضهار إذعانه لأخر يبرك على أربع ويدني رأسه من الأرض بعيدا عن غريمه بينما يرفع مؤخرته إلى أعلى قريبا منه ٠ وتشير كوديل في هذا الصدد ، إلى إن إشارات وإيماءات التهدئة التي هي جزء رئيسي من التعاطي اليومي للحياة الاجتماعية للشمبانزي، ليست مقصورة على الأفراد المذعنين إذ يتوجب على الذكر الالفا إظهارها لتطمين أفراد رعيته وتهدئة روعهم ، فهو عندما يريد التدوب من أحدهم تقربا وديا فانه يفعل ذلك بخطوات وئيدة ثم يتوقف جانبيا وليس وجها لوجه على مسافة مناسبة من هدفه باسطا نحوه ذراعه ببطء ملامسا رأسه أو كتفه بأطراف الأصابع ومربتا عليهما وبعد تأكده من نجاحه في تهدئة تابعه يكمل تقربه ٠(١٣) الذئب المهزوم يعرض لخصمه الجانب الودجي من الرقبة مجازفا بحياته لان أي خدش من ناب غريمه تعني نهايته ، إلا إن الرقبة على ما يبدو ، نظام إشاري تطلق لدى الذئب المنتصر سلوكا كابحا لهجومه فيتوقف تاركا خصمه ينسحب، وقد يطارده لمسافة قصيرة كتأكيد لانتصاره ، وللاطمئنان على مغادرة خصمه لمنطقته الإقليمية ٠ وعندما لا يرغب الأيل في مواصلة القتال فانه يعرض منظور جسمه الجانبي ، وهو منظور من شانه ان يوقف خصمه عن مواصلة الهجوم،على النقيض من موقف التحدي المتمثل في المنظور الأمامي للقرون الموجهة مباشرة أليه عندما ينحني راس غريمه إلى الأسفل قبل الشروع بالهجوم٠(١٤) في حين تلجا الكثير من الحيوانات إلى إصدار أصوات تشبه أصوات صغارها لتجنب المزيد من الأذى ٠ أما الإنسان الذي يعد التلويح بقبضة اليد إشارة تهديد نشوئية لديه فان إظهار اليد المفتوحة (التحية) تمثل إشارة تهدئة

لذا يعد الامتناع عن إظهار اليد المفتوحة (أو الامتناع عن التحية أو ما ينوب عنها من أصول اللياقة) إشارة تهديد ضمنية ٠

ويشكل الوجه الطفولي ذو الملامح المسطحة ؛ الأنف الأفطس والفك الضامر والعيون المدورة ، إضافة إلى السلوك الطفولي الأخرق والصوت الاخن ، إشارات تهدئة للراشدين إزاء الصغار ٠ أما انحناء القامة مع طاطاة الرأس فهما من أهم الإيماءات التي تصدر بهدف التهدئة وإظهار الاحترام والاعتراف بسيطرة الاخر ٠

٢٠ الإزاحة ، إذ يتم بواسطتها إعادة توجيه الشحنة العدوانية نحو أهداف بديلة لا تشكل خطرا على النوع بل تؤدي في الغالب إلى نتائج مفيدة ، كما يفعل ذكر البط البري الأعزب ، فهو عندما يقع بصره على أنثاه الموعودة للمرة الأولى ، يقوم بتأدية حركات وأصوات مشابهة لتلك التي يظهرها لغريمه مهددا (وهي حركات وأصوات على جانب من التعقيد) ثم ينتفض باتجاه الأنثى وقبل ان يصل أليها ينحرف ويهاجم هدفا بديلا لها ، مثل أكمة عشب أو طير آخر يقف بالقرب منها، وما ان يتم تحرير هذه الشحنة العدوانية ، نحو الهدف البديل ، حتى تتحول إلى اصرة محبة تربط الذكر والأنثى بتزاوج قد يدوم مدى الحياة ٠(٩) وهو ما يمكن أن يعبر عنه بالمفاهيم البشرية ، الحب من النظرة الأولى ! ومعروف إن بعض الإيماءات التي يؤديها الحيوان تعبيرا عن التهديد ، كالتبختر ونفش الريش أو الشعر وطقطقة المناقير والزقزقة يستخدمها كذلك في الغالب عند التودد إلى الإناث ومغازلتها٠ ومن قديم الزمان تحدثت الحكمة الشعبية بما معناه ان لا محبة إلا بعد عداوة ٠ كما إن الشعراء والمحللين النفسانيين عرفوا منذ زمن بعيد كم يقترب الحب والعدوان (أحيانا الكراهية) من بعضهما البعض حتى

عدّا وجهان لعملة واحدة ٠ إذ أن الشحنة الانفعالية المرتبطة بهما يمكن ان تفرغ وحسب الظروف بهذا الاتجاه أو ذاك ، لذلك كان أحد وجوه المحبة لدى الإنسان عدوانا تمت إزاحة شحنته ٠

٠٣ التطقيس أي إبدال السلوك العدواني الصريح بمظاهر سلوكية طقوسية شعائرية ، لا تشكل خطرا ولا تتسبب في أذى ٠ وهناك مستويان من الطقوس :

أ٠ طقوس رسية النشوء ، بمعنى إنها نشأت تحت ضغوط الانتقاء الطبيعي ، كالمظاهر التهديدية الاستعراضية والاستظهارية ثم الاشتباك الشعائري الذي هو اقرب إلى الرقص منه إلى القتال ، كما يشاهد في الطاووس عندما يبسط ريشه وهو يرقص تهديدا لخصمه وتقربا من الأنثى ، التي ترقبهما عن كثب والتي ستقرر نتيجة صراع الألوان والرقص هذا أي من الذكرين سيكون والدا لصغارها ٠ وكذا في صراع الأيائل إذ غالبا ما يتجنب المتصارعان الالتحام الحقيقي مكتفين بهز الرؤوس المتوجة بتلك القرون المهيبة وضرب الأرض بالأقدام والانقضاض على الشجيرات القريبة لتعريف الخصم بماهية الأضرار التي بمقدور تلك القرون أحداثها لو سنحت لها الفرصة ، وفي معظم الأحيان يقتنع أحد الخصمين بهذا العرض المبهر ويختار الانسحاب .(١٤) لذا من النادر رغم توفر الأسلحة الفتاكة ان نجد صراعا في البرية يؤدي إلى إحداث أضرار جسيمة بالخصمين المتصارعين ، خصوصا إذا كانت فسحة الهروب في الوقت المناسب متاحة ٠ وهذا الأمر لا ينطبق بالطبع على الحيوان المحشور في زاوية فهو سيقاتل مهما كانت إمكانياته متدنية بالقياس إلى خصمه ٠

ب ٠ طقوس اجتماعية ثقافية النشوء ، تتمثل في المراسيم والمظاهر الاحتفالية والشعائر ، مثل التفاخر والمسيرات الاستعراضية للجيـوش ومواكب الفوز في كرة القدم وذم الخصـم وإظـهار جوانـب ضعفـه وتخاذله ورقصات الحرب وحرق رايات الأعداء ، التي تحـل محـل الأفعال العدوانية الصريحة وتؤدي دور المتنفسات غير المؤذية للعدوان وبذا ينشا ، على القاعدة الغريزية للعدوان ، هرم هائل من التكوينـات العضوية والبواعث الفرعية والأنماط السلوكية والطقـوس والعـادات والمعتقدات المتفاعلة والمراسيم والشعائر والقصائد التي تمجد القبيلـة والتماثيل التي تخلد أبطالها ٠ كل ذلك التكوين الـهرمي المقلـوب ذي القاعدة المستدقة والقمة المتسعة يبدو كما لو لم تكن له علاقة ظـاهرة بالبنية التحتية للعدوان ٠

لماذا يتخذ العدوان منحىً خبيثا لدى الإنسان ؟

نظرة عابرة على تاريخ البشرية بمقدورها اطلاعنا على ان البشـر الذين قضوا على أيدي بشر قد لا يقلون عددا عن أولئك الذين قضـوا بين أنياب الضواري أو بتأثير الكوارث الطبيعية ٠ وقد يكون ذلك مـا اكسب العدوان سمعته السيئة ، وجعل الكثيرين بين متجاهل لوجـوده أو مستنكر كونه دافعا جبليا لدى الإنسان او متخف خلـف أقنعـة مثاليـة مترفعة ٠ ولكن مثل هذه المواقف ليس بمقدورها إزالة الإرث الإنساني للعدوان ولن تساعد على وجه الخصوص ، في التوصل إلـى إجابـة شافية للسؤال البالغ الأهمية الآتي : لماذا يتخذ العدوان لدى الإنسان في أحيان كثيرة ذلك المنحى الخبيث الفتاك؟ ويبدو إننا لن يكون بمقدورنـا

اقتراح إجابة تناسب أهمية السؤال ما لم نفهم العدوان بوصفه غريزة ٠ إذ ما كان للعدوان ان يتخذ ذلك المنحى الخبيث والفتاك ، إلا لان التوازن الحرج بين الاستثارة والكف الخاصين بغريزة العدوان عرضة للاختلال في حياة البشر الحالية ٠ أما لماذا حدث ويحدث هذا الاختلال فان ذلك يمكن ان يكون حصيلة للعوامل الآتي ذكرها :

١٠ لان الإنسان ما عاد يعيش في بيئته النشوئية الأصلية ، والمدة القصيرة التي انقضت على قيام التجمعات السكانية المستقرة ومن ثم المدن ليست كافية لإحداث تبدلات إحيائية على الخواص الأساسية للإنسان القبلي وهذا يعني :

أ٠ نشا الإنسان وتكونت انساقه الدوافعية باعتباره كائنا يجوب رقعته الإقليمية ــ بمجموعات ــ صيادا وجامعا للطعام ، وقد عاش هو وأسلافه هكذا مئات الألوف من السنين وحياته في المجمعات السكانية المستقرة لا تتعدى بضعة آلاف عام٠ ورغم انه تكيف بصورة جيدة لبيئته الجديدة ٠ إلا أن ذلك التكيف حصل بواسطة التعلم والتشريط فقط ، دون ان تتاح الفرصة لحدوث تعديل أحيائي رئيسي في الأنساق المتفاعلة لدوافعه العدوانية ٠ وعلى الرغم من وجود الكوابح العقلية والقانونية والدينية للسيطرة على تلك الدوافع وتنظيمها نجد أن تلقائية الاستجابة للدوافع العدوانية تسبق في أحيان كثيرة ، عمل الكوابح وتتخطاها ٠

ب٠ اهم صفات الكائن القبلي تكمن في تعامله على أساس محلي وبعلاقة مباشرة ومتداخلة مع أعضاء القبيلة الآخرين ، فهو يعرف موقعه في الهرم الاجتماعي للقبيلة ، فهذا يعلوه مرتبة وذاك دونه مرتبة ، لذا يتخذ المواقف المناسبة إزاء كل منهما في إطار متفق عليه

قبليا من العادات والتقاليد والأعراف والمراسيم · غير انه منذ غدا مواطنا واجهته مشكلةِ شائكة ؛ فما عاد بمقدوره التعرف على كل فرد من الأفراد المحيطين به ، واصبح بالتالي عاجزا عن تحديد موقعه ومواقعهم في الهرم الاجتماعي وكي يثبت لهؤلاء الغرباء بأنه افضل منهم موقعا فانه قد يلجا إلى كافة الوسائل المصطنعة المتاحة له ، ابتداء بالتزاحم معهم على كل شيء مرورا بتملك الأشياء التي لا ضرورة حقيقية لها والتباهي بها وانتهاء باستخدام العنف ·

ج· لقد أجبرت المدينة الإنسان على العيش في ظروف من الاكتضاض تتعارض وخلفيته الاحيائية · فالبرية ، بيئته النشوئية الأصلية ، كانت تؤمن له الفسحة المكانية المناسبة وهو إحيائيا يتوجس ويغضب (تستثار عدوانيته) عندما يقتحم الغرباء فسحته الإقليمية الحميمة ، فكيف الحال وهذه الفسحة يجري اقتحتمها بانتظام في الشارع والحافلة وغرف العمل ومقاعد الدراسة وغيرها · ورغم المظاهر فلن غلاف التأدب الرقيق الذي يخفي تحته ركاما من الضيق والاستنكار والحنق كثيرا ما يتفجر سلوكا عدائيا نحو أهداف منتقاة أحيانا وعشوائية أحيانا أخرى · وربما كان هذا العامل من أهم العوامل التي تجعل المدن ، بخاصة الأحياء المكتضة فيها مهيأة لتفجرات العنف·

٢· من المفارقات اللافتة للانتباه إن هبة الإنسان الرئيسية المتمثلة في قدرته الفريدة على التفكير والتذكر والتعلم والابتكار ، أسهمت في إحداث الاختلال في التوازن بين الاستثارة والكف عن طريق :

أ· اختراع واستخدام السلاح الذي سهل إمكانية إلحاق الأذى عن بعد ، مما حيد إيماءات واشارات التهدئة والقبول بالهزيمة · فالغرماء نتيجة توفر السلاح ، ما عادوا يشتبكون وجها لوجه ، إلا نادرا لذا لم

يعد بمقدور تلك الإيماءات والإشارات القيام بدورها النشوئي في فك الاشتباك بواسطة كف عدوانية المنتصر وبالتالي الحد من الأضرار الناجمة عن الصراع داخل ـ نوعي ٠ إضافة إلىٰ إن المدة القصيرة التي انقضت منذ اكتشاف الإنسان للسلاح وقدرته على تناقل المعلومات الخاصة بصنعه واستخدامه من جيل إلى آخر لم تمكنه من تنمية كوابح أو روادع إحيائية تلقائية ضد استخدامه المؤذي او المدمر ٠ على العكس من أنياب الأسد ومخالبه ، على سبيل المثال ٠

ب٠ استبدال النسق الاتصالي الإيمائي العياني المباشر والقادر على العمل التلقائي مع المستويات الدماغية تحت اللحائية ، بنسق اتصالي رمزي تجريدي (الكلام) يعمل أساسا على المستوى اللحائي ولا يملك القدرة على التأثير التلقائي في الفعاليات تحت اللحائية المثيرة والكافة للبرامج السلوكية الجبلية ٠

ج٠ مخيلة الإنسان وقدرته على التخطيط للمستقبل جعلت من دوافعه العدوانية لا تختص فقط بالدفاع عن النفس والفسحة الحيوية او بالترقي في المكانة الاجتماعية ، بل وأيضا بالانتقام المبيت له ، من أفراد أو جماعات لم يتعرض اصل إلى عدوانيتهم المباشرة ٠كما هو الحال في أعمال الثار الفردية والجماعية ٠

د٠ أخيرا ، من بين الغرائز الأساسية ينفرد العدوان في انه من غير المسموح به ، اجتماعيا أو نفسيا ، التعبير عنه صراحة ، إذ لا توجد كيفية دينية أو اجتماعية أو قانونية (خارج إطار الحرب) يسمح للإنسان بممارسة عدوانه من خلالها ، كما هو الحال بالنسبة للجنس في مؤسسة الزواج ٠ وانعدام المتنفسات الصحية يمكن ان يؤدي إلى تفجرات تتسم بالعنف وهذا ما يمكن ملاحظته في سلوك الجمهرة أحيانا

عندما تنزع عنها قيودها الاجتماعية وتطلق العنان لدوافعها النفسية القطيعية البدائية فتتحول إلى غوغاء ٠

العدوان في الحياة اليومية :

جاءت موضوعة لورنز حول طاقة الفعل النوعية لتقترح تفسيرا او وصفا موضوعيا لمبدأ الطاقة النفسية الفرويدي ، إذ تشير الموضوعة الى ان عمليات الكف لنمط سلوكي غريزي من شانها تكوين دوافع لا تقل شدة عن الدوافع الغريزية الأساسية قدر تعلق الأمر بالسلوك ــ أي إنها توجد أنماط سلوكية بديلة ــ ويمكن ايضاح ذلك ، باختصار ، في مثال حول سلوك البط البري : فالصراع الداخلي بين القتال عند مواجهة غريم (دافع غريزي) والهروب (دافع غريزي) يبرز في العادة سلوكا غريزيا ثالثا ، كحل للصراع بين الدافعين المتعارضين ، مثل القيام بحركات بناء العش أو التأنق (تنظيف الريش) ٠(١٥) ويمكن ملاحظة نفس الظاهرة في سلوك ذكور القطط اذ كثيرا ما يشاهد أحد القطين الغريمين يقوم في حماة التهديد المتبادل مواءً وتكشيرا ، بتنظيف شعر قوامه أو باقتناص حشرة وهمية تمر بالقرب منه ٠ ان ذلك يعني أولاً ، أن الطاقة الخاصة بسلوك غريزي ما يمكن تحويل اتجاهها أو إزاحتها ، نحو سلوك بديل وبذا تكتسب الأنماط السلوكية البديلة ــ في الرئيسيات العليا خصوصا الإنسان ، هناك بدائل سلوكية مبتكرة وأخرى مكتسبة كذلك ــ خصائص لا تقل أصالة وثباتا عن الأنماط السلوكية الجبلية الأصلية ٠ ويعني ثانيا ، إن شحنة الطاقة النوعية الخاصة بفعل ما ، عندما يتم تخصيصها ، لن يكون بالإمكان

استرجاعها أو إلغاؤها وانما يتحتم تفريغها سواء نحو الفعل الأصلي أو تحويلها نحو أفعال بديلة ٠ لذلك غالبا ما توجه دوافعنا العدوانية سلوكنا في الحياة اليومية ، نحو واحد او اكثر من المواقف او الاستجابات التالية :

١٠ إزاحة طاقة العدوان نحو متنفسات مقبولة ومفيدة ، وأحيانا محببة اجتماعيا مثل توكيد الذات والإنجاز والابتكار والإبداع ، وكذلك الفضول المؤدي إلى المعرفة الذي تقوده الحاجة إلى التحكم mastery في المجهول والسيطرة control وهاتان الحاجتان هما من مشتقات العدوان ٠

٢٠ سلوك عدواني آني ومباشر وصريح نحو موضوع أو موضوعات محددة وبذلك يتم تصريف الشحنة العدوانية أولا بأول ٠

٣٠ استجابة مؤجلة وغير مباشرة ، عندما لا يكون الهدف محددا أو لا يكون متاحا لاسباب ظرفية مكانية أو نفسية اعتبارية ٠ في مثل هذه الأحوال تتوجه الشحنة العدوانية نحو أهداف أخرى ٠ فبواسطة التعميم تتم اعادة توجيه الشحنة العدوانية نحو ما يماثل الهدف الأصلي العدوان لذا قد يصبح كل من يماثله في الانتماء الى مهنة او عشيرة او مدينة ٠٠ الخ ، هدفا للعدوان ٠ او تتم إزاحة الشحنة العدوانية نحو رموز للهدف المقصود ، كما يحدث عندما تزاح الشحنة العدوانية الموجهة نحو الأب ، مثلا ، والذي يمثل الرمز الأولي للسلطة في حياة كل شخص نحو رموز أخرى للسلطة كالمعلمين والمدراء وسواهم ٠ أو قد توجه الشحنة العدوانية نحو كبش فداء ، كما يحدث عندما ، يتعرض موظف ، على سبيل المثال ، الى عدوانية رئيسه ، فانه قد يقوم بتفريغ شحنته العدوانية التي استثارها مديره في أحد مرءوسيه ، وعندما يذهب

هذا الأخير إلى البيت قد تصبح زوجته هدفا لعدوانيته ، التي تنفس عن حنقها بدورها في إحدى بناتها ٠

٤٠ عندما يعجز الشخص عن تفريغ عدوانيته ، كما هو حال البنت في المثال الأخير ، فأنها تنتج شعورا بالغضب ، والغضب المتراكم يؤدي الى التوتر الذي يتحول إلى محنة ذات عواقب نفسية وفسلجية يشكل استمرارها أساسا لاضطرابات جسمية وظيفية متنوعة ، قد تقود بالنتيجة الى مختلف التخريبات العضوية التي اصطلع على تسميتها بالاضطرابات النفسجسمانية ٠او أن ترتد الشحنة العدوانية نحو الذات في هيئة شعور بالعجز ، الذي يعتبر من أسباب الاكتئاب السريري المهمة ٠ كما ان العدوان المكفوف بهذه الطريقة عامل رئيسي من العوامل المؤدية إلى ايذاء النفس والانتحار ٠

خاتمة

بالإضافة إلى ما تقدم ، يتعين الإقرار بان العدوان لدى الإنسان شانه شان الغرائز الأخرى ، يقع داخل النسق الرمزي للنفس ، من جهة والنسق التاريخي الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والقانوني والديني من جهة أخرى ، ولا يظهر كتعبير خام عن الحاجات الغريزية المباشرة ٠ ورغم ان التقريرية الاحيائية لا يمكن تنحيتها جانبا ، إلا إن دورها يتم في أحيان كثيرة ، اختزاله بدرجات متفاوتة ، بحسب اختلاف الظروف والأشخاص والجماعات ، لتحل محله مجموعة من الحاجات والمشاعر والوجدانات والممارسات الممثلة للرمزية النفسية والاجتماعية بمفهومها الشامل ، بدلا من الفعل المباشر المقرر سلفا ٠ فالإنسان الذي يعيش في

أعماقه ذلك الصياد الباحث عن الطعام ، اصبح يخرج متسلحا بحقيبة دبلوماسية أو بجاروف أو بمسطرة أو بسماعة أو بمجرم المعرفة بدلا من الهراوة او الرمح ، في رحلة يومية للبحث عن الرزق (الصيد) كما كان يفعل أسلافه ، متعاونا ومتنافسا مع من حوله في عين الوقت ، إلا إن الطرائد أصبحت اصعب منالا والوسائل الموصلة إليها اكثر تعقيدا والتنافس اشد حدة وفسحة الأرض المتاحة اكثر ضيقا كما أضحى عليه الخضوع لمجموعة من القواعد والنظم والأعراف والتقاليد والقوانين والمحرمات ، كل ذلك جعل طرق التعبير عن عدوانيته تأخذ أشكالا لا حدود لها في التنوع والترميز والتأجيل والإزاحة والتحويل والتطقيس والإعلاء .

وبحسب اعتقادنا ، لن يكون بالإمكان تحسين فرص التصدي لآثار العدوان الضارة في حياتنا أن نحن اعتبرناه ، فقط ، واحد من مساوئ الحياة المحتومة . ولكن ربما كانت فرصنا افضل إذ ما حاولنا فهمه باستكشاف السلسلة المترابطة الحلقات الخاصة به ، بالطبع ، إلى التعرف على آثاره الإيجابية في حياتنا . فهو ليس ضروريا للدفاع عن النفس والحقوق حسب، وانما هو أيضا أساسي للاستقلالية والإنجاز والكبرياء ، كما انه أدى ولا يزال دورا هاما في التطور الحضاري والثقافي للإنسان من خلال المساهمة ، في تكوين أواصره الوجدانية ومعتقداته الأخلاقية وشعائره ومراسيمه واحتفالاته وفنونه التعبيرية .

والعدوان ليس مسؤولا بصورة مباشرة عن الأنماط السلوكية الشاذة الناجمة عنه ، إذ قد يلحق بالاستجابة له ، من الاضطراب ، ما يلحق بسواه من الدوافع الغريزية (نهم الطعام المرضي والاغتصاب على سبيل المثال ، فيما يخص الدوافع الفموية والجنسية على التوالي) .

فالدافع الـــغريزي يمكن ان يضطرب في واحد او اكثر مـــن الأوجـــه آلاتية : أولاً ، طاقة الدافع أي شدته وفتوته ، زيادة او نقصانا • ثانيا ، هدف او وظيفة الدافع ، عندما يضل الدافع عـــن تحقيـق الـــهدف او الأهداف التي صمم لتحقيقها • ثالثا، موضوع الدافع اذ قد يفشل الدافـــع او ينحرف عندما لا يعثر على الموضوع الملائم او لا يتمكن من إقامـــة علاقة سوية معه أو عندما يخطئ في اختيار الموضوع اصـــــلا• لـــذا يمكن القول ان الأنماط السلوكية المعبرة عن العدوان ترتبط ، الى حـــد بعيد بالتكوين الجبلي للفرد ، من جهة ، وبطبيعـــة الظـــروف البيئيـــة والتربوية والاجتماعية من جهة أخرى • فاختلاف شخص عـــن آخـــر ومجتمع عن آخر يتحدد بكيفية تعاطي هذا وذاك، شعوريا ولا شعوريا ، مع الغرائز الرئيسية ، تأجيلا وإزاحة وتحويـــلا وتطقيســا واعـــلاءً• ويذهب اريك أريكسون إلى ابعد من ذاك عندما يشير إلى إن الطقـــوس والشعائر الاجتماعية ذات النشوء الثقافي والأنماط الســـلوكية المتعلقـــة بتحويل العدوان نحو قنوات بديلة ، تميز الجماعات البشرية ، صغيرهـــا وكبيرها بنفس الطريقة التي تميز الصفات الناجمة عن الانتقاء الطبيعي العضوي رسا عن رس ونـــوعا عن آخر ، وقد اسماه الانقسام النوعي الكاذب pseudo- speciation •(١٦)

المراجـــع

1.Dollard, J.et al (1939) Frustration and Aggression. Yale University Press, New Haven. 17 printing 1974 .
1. Freud, S. (1920) Beyond The Pleasure Principle. Standard Edition, Vol. 18, The Hogarth Press(1967).
2. Alder, A. Superiority and Social Interest, London: Routldge & Kegan Paul.
3. Jacobi, J. (1972) The Psychology of C.G.Jung: Yale University Press(1967) .New Haven.
4. Freud, S.(1923) The Ego and The Id.S.E..Vol.19,The Hogarth Press(1967) .
5. Hartmann,H,Kris,E.&Loewenstein,R.M.(1949)Note on The Theory of Aggression .Psychanal . Study Child 3 – 4.
6. Brenner,C.(1979)The Psychoanalytic Concept of Aggression.Int.J.Psycho – Anal.52,137.
7. Huxley,J.Introduction to On Aggression, by Konrad Lorenz. Methuen London(1979).
8. Lorenz,K.(1963)Das Sogenann Bose.Eng.Trans.On Aggression by Marjorie,Methuen .London(1979).
10.Tenbergen,N.(1963)On Aims and Methods of Ethology . Tierpsychologie,20.
11.Ardrey,R,(1967)The Territorial Imparative , London: Collins. 1965 .
12.Guthrie,R.d(1973)Evolution of Human Threat Displa Organs. Evol . Biology , Vol.1.ed Dobzhansky, T.,Hecht,M.&Steere,W.,Appleton – Centurt – Crofts.NY.
13.Goodall,J.(1971) In the Shadow of Man, Fontana Book ،London (1973) .

14.Eibl – Eibesfeldt, Irenaus (1963) Aggressive Behaviour and Ritualized Fighting in Animals', from Massermann,.J.H.(ed),Scienceand Psychoanalysis.NY: grune & Straton
15. Freedman ,A.,Kaplan,H.,&Sadock ,B.(1986)Modern Synopsis of Comprehensive Textbook of Psychiatry. The Williams & Wilkins Co.,Baltimor.
16. Erikson,E.H. Childhood and Society. Norton & Co.Inc,NY . 1967.

الثقافة العربية في ظل متغيرات التقانة المعاصرة*

ا.د. داخل حسن جريو
عضو المجمع العلمي

مستخلص البحث

يواجه المثقف العربي في عصرنا الراهن تحديات كبيرة بسبب التطورات العلمية والتقنية في جميع التخصصات ، وبشكل خاص في مجالات تقانات المعلومات والاتصالات والإلكترونيات والتي كادت أن تجعل هذا العالم الفسيح قرية كونية صغيرة ، نجم عنها تأثيرات ثقافية خطيرة قد تهدد مصير الهوية القومية نتيجة السعي المحموم لكثير من أقطار أوربا الغربية وأمريكا الشمالية لتكريس ثقافتها الغربية بصورة عامة والثقافة الأمريكية بصورة خاصة عبر وسائلها الهائلة في جميع مجالات الحياة . وتطورات كهذه لا بد ان تبعث على القلق لأية أمة تحترم نفسها وتعتز بتراثها الحضاري والإنساني لا سيما ان آلة الإعلام الغربي واسعة الانتشار تروج بصورة منهجية ومنتظمة ومخطط لها بعناية فائقة لمفاهيمها الثقافية وأنماط حياتها وعادات شعوبها ، لا بل وحتى معتقداتها الدينية والسياسية بصورة مباشرة ليل نهار عبر

---

* من بحوث مؤتمر المجمع العلمي لعام ٢٠٠٢ .

محطاتها التلفازية الفضائيـــة وشـــبكات معلوماتـــها وأجـــهزة النشـــر الإلكتروني والأشرطة والأقراص الحاســـوبية المســـموعة والمرئيـــة وغيرها من وسائل عديدة لا حصر لها . وتكمن خطورة هذه الهجمـــة الثقافية على بلادنا العربـــية بأنها تبذو للنـــاس بعامـــة ، والشـــباب بخاصة ، بإطار طابعه علمي وموضوعي ، وكأنها تهدف إلى تحـــري الحقـــائق ، والانفـــتاح على حضـــارات الأمم الأخـــرى بشـــفافية وإنسانية ، وتشجيع الحوار وسماع الرأي والرأي الآخر فـــي أجـــواء الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية والدينية بعيدا عـــن التعصـــب والانغلاق الفكري ، كما يروجون عبر وســـائل إعلامـــهم المختلفـــة . ويذهبون أحيانا ابعد من ذلك بإظهار حرصهم على حقـــوق الاقليـــات العرقية والدينية في هذا القطر أو ذاك بدعاوى التسامح واقامة المجتمـــع المدني القائم على العدل والمساواة بصرف النظر عن اللون و العنصـــر والمعتقد وذلك عبر إيماءات واضحة بان هذه الأفكار إنما هي من بنات أفكار المثقفين الغربيين وإنها نتاج صناعة فكرية غربية .

بينما يعلمون تماما إن الوطن العربي هو مهد اقدم حضارات العالم في وادي الرافدين ووادي النـــيل ، فيهـــما صيغت القوانين ونظـــــم الإدارة ، ونظريات الفلك والرياضيات وهندسة الري وغيرها . وظـــل العراق بتاريخه وحضاراته منطلق إشعاع فكري وحضاري وثقافي على مر العصور . ومنذ القدم أولى العراق التعدد الثقافي أهميـــة ورعايـــة خاصة بدلالة إن الكثير من العلماء والأدباء قد أموا العراق وتفاعلوا مع مدارسه . ومن هنا ينبغي ان يتصدى المثقفون العرب بقوة وحزم لجميع محاولات الغزو الثقافي الذي يستهدف إنهاء دور امتنا الحضاري وتقليل أهمية تراثها العلمي والثقافي واشعاعها الفكري عـــبر حقـــب التـــاريخ

المختلفة ، ولانهم يدركون جيدا أهمية لغتنا العربية في نهضتنا العلميـــة والثقافية ، لذا راحوا يسيئون إلى هذه اللغة بدعاوى عدم قدرتها علـــى الإيفاء بمتطلبات حركة تطور العلوم والتقانة ، ويســـعون لاستبدالها بلغات أجنبية وفي مقدمتها اللغة الإنكليزية بدعوى النـــهوض العلمـــي ومواكبة مستجدات العلوم والتقانة بلغة المصدر ، وهم يهدفون من وراء ذلك خلق حالة انفصام بين المثقفين العرب ومواطنيهم وانمـــاء حالـــة الشعور بالتعالي ، والتعامل بلغتين لغة أجنبية للعلم والتقانـــة ، ولغـــة عربية محلية للتعامل في شؤون الحياة اليومية ، وتكريـــس مفـــهوم إن العلم والتقانة إنما هما نتاجان أجنبيان ، وليس كما هما في حقيقة الأمـــو نتاجان إنسانيان ، كان للعرب فيها إسهام فاعل على مر العصور . وما يؤسف له حقا ان تجد بعض هذه الدعوات الزائفة آذانا صاغيـــة لـــدى بعض المثقفين العرب ، والانكى من ذلك لدى بعض صناع القـــرارات العلمية والتربوية والثقافية في هذا القطر أو ذاك . ومن هنا ينبغـــي ان تتضافر جهود المثقفين العـــرب بالإفـــادة مـــن تقانـــات المعلومـــات والاتصالات ومعطيات العلوم المختلفة بتوظيفها للنهوض بثقافتنا العربية والإسلامية على وفق رؤى حضارية متفتحـــة وبأســـاليب شـــفافة دون تعصب أو تزمت من منطلق حوار الحضارات وتعدد الثقافات . يســـلط هذا البحث الضوء على واقع حال الثقافة العربية في ظـــل متغـــيرات التقانة ودور المثقفين العرب للنهوض بها لتقف على قدم المساواة مـــع أرقى ثقافات شعوب العالـــم بأذن اللـــــه .

مقدمة

الثقافة في اللغة مشتقة من (التثقيف) أي تقويم الأعوج ، وكما في لسان العرب فانّ رجلا ثقفا أي سريع التعلم ، والثقافة سرعة التعلـــم ، وفي (المعجم الوسيط) ثقف الرجل ثقفا أي صار حاذقا فطنا .

أما الثقافة كما نفهمها فهي تعني الإلمام بالعلوم والمعارف المختلفة بصورة شاملة دون ضرورة معرفة تفصيلات كل مـــن هـــذه العلــوم والمعارف . والثقافة بالتأكيد هي نتاج جهد إنساني بالرغبة بالاســـتزادة من المعرفة وسمو الفكر الإنساني وتهذيب طبـــاع الإنســـان وعاداتـــه وتنظيم أسلوب حياته . فالثقافة تنمو وتتطور من خلال تفاعل الإنســـان مع بيئته وعناصرها المختلفة . ولا ريب ان تطور وازدهـــار الثقافـــة يحمل أهمية كبيرة لان الثقافة جزء لا يتجزا من الهوية الوطنيـــة فـــي منظور حضاري يربـــط جدليا بيـــن الماضـــي والحـــاضر نحـــو المستقبل . وفي الوقت نفسه تحمل الثقافة عوامل ضعفها وانحســـارها وربما تلاشيها لاسـباب ذاتية من داخل تكوينها او موضوعيـــة مـــن الخارج ، وان كلا العوامل الداخلية والخارجية تلقي بآثارها على كـــل ثقافة . وتتلاشى الثقافة عندما يتدهور حال شعب من الشعوب ، لكـــن حقائق التاريخ تشير دوما ان الشعوب الأصيلة ذات الأمجاد الحضاريـــة لا يمكن بأي حال من الأحوال ان تتلاشى ثقافتها أو ان تضمحل ، قـــد تخبو جذوة ثقافتها ، وقد تذهب في ضروب شتى ولكنها لا تزول كليا .

حيث ان الثقافة تنطوي على معنى حضاري ، ومن خلال امتـــلاك سمتين هما استعمال الكتابة وحيازة براءة اكتشافها ، فان الأمة العربيـــة

تمتلك قصب السبق في تفعيل معنى الثقافة وامتـــلاك مقوماتـــها ، لان الوطن العربي هو مهد اقدم حضارات العالم في وادي الرافديـــن ووادي النيل ، وان الكتابة المسمارية في العراق القديم هي أول أشكال الحــروف وصيغ الكتابة بحسب ما يذكره التاريخ القديم ويؤكده علماء اللســـانيات حيث انطلق الحرف الأول من حضارة العـــراق في عـــهد ســومر وبابل . كما صيغـــت القوانيـــن ونظـــم الإدارة ، ونظريـــات الفلـــك والرياضيات وهندسة الري والجماليات في العراق القديم . وظل العراق بتاريخه وحضاراته منطلق إشعاع فكري وحضاري وثقافي على مـــر العصور . ومنذ القديم أولى العراق التعدد الثقافي أهمية ورعاية بدلالـــة ان الكثير من العلماء والأدباء والخطباء واللغويين قـــد أمـــوا العـــراق وتفاعلوا مع مدارسه اللغوية وبخاصـــة مدرســـتي البصـــرة والكوفـــة والمستنصرية وبيت الحكمة . وفي العصر العباسي كان الطلاب العرب والأجانب يشدون الرحال الى بغداد ليدرسوا فـــي مدارســـها .. وقـــد ازدهرت في العراق على مر التاريخ كل عناصر الإبـــداع وتلاقحـــت ثقافته مع ثقافات الشعوب الأخرى أخذا وعطاء ، وذلك ما اطلع عليـــه المستشرقون وأدركوه حق إدراكه حتى لو لم يتناوله بعضهم بإنصاف ، لذا فان مستقبل ثقافتنا العربية إنما يعتمد على الاهتمام بإحيـــاء تراثنـــا العربي والإسلامي وعلى درجة تسامح وانفتـــاح مجتمعاتنـــا العربيـــة وشفافيتها تجاه ثقافات وعلوم وفنون الشعوب الأخرى ، وعدم الانغـلاق على الذات .

ويمكن ان تلعب الجامعات والمؤسسات التعليمية دورا هاما في هـــذا المجال لتامين مستقبلا ثقافيا زاهرا لبلادنا بأذن اللـــــه ، كـــي تســـهم إسهاما فاعلا ومؤثرا في الثقافة الإنسانية المعاصرة ، وبناء صرح امتنا

الحضاري وتعزيز دورها الإنساني . ولعل من المفيد أن نشير هنا إلى اهتمام البلدان الغربية بالثقافة إذ يشير (جيروم ويستر) مستشار الرئيسين الأمريكيين كندي وجونسون إلى ان قضايا العلوم والثقافة شكلت منذ الحرب العالمية الثانية تحديا لا نظير له للرئيس الأمريكي . كما يرى الرئيس الأمريكي الدوس هكسلي ان الحضارة الحالية تعمل جهدها لإنشاء قبيلة واحدة تتكلم اللغة الأمريكية ، بينما يرى البريطاني هربرت سبنسر ان ازدهار العلم وانتشار ثماره مرهونان بمدى عظمة الثقافة الإنكليزية وتطور قيمها الإنسانية التي تسمح لنا بالقبض على معنى التقدم وأسراره . وفي المقابل يحاول بعض مفكري الغرب الإقلال من شان حضارتنا العربية والإسلامية اذ يشير غوته مثلا إلى ان ممتلكات العرب الخاصة هي الخيمة والعمامة والسيف ، ويشير امرسون الأمريكي الى ان الدين والشعر هما كامل حضارة العرب ، متجاهلين عن عمد وسبق إصرار ما قدمه العلماء العرب منذ حضارة سومر واشور وبابل وأكد وحضارة وادي النيل والحضارة العربية الإسلامية في عصورها المختلفة من اكتشافات وإنجازات علمية بارزة في حقول المعرفة المختلفة من رياضيات وجبر وكيمياء وفلك وفلسفة وهندسة وغيرها والتي كان لها ابرز الأثر في الحضارة الإنسانية بعامة والحضارة الغربية بخاصة باعتراف الكثير من علماء الغرب أنفسهم وما تؤكده الشواهد التاريخية الشاخصة إلى يومنا هذا ، فالكتابة والعجلة مثلا وهما أهم اكتشافات التاريخ إنما يعود فضل اكتشافهما إلى العراقيين القدماء ، وكذا الحال بالنسبة للكثير من الحسابات الهندسية والرياضية ، وما أهرامات مصر وحدائق بابل الأخير إلا شاهد ودليل على عظمة وإبداعات المهندسين العراقيين والمصريين القدماء [١] .

فحري بالمثقفين العرب ان يحثوا الخطى لبناء مشروع امتنا الحضاري والثقافي بالإفادة من معطيات العلوم الحديثة و التقانة المعاصرة في ظل ثورة المعلومات والاتصالات التي جعلت من هذا العالم الفسيح قرية كونية تتدفق فيها المعلومات في كل اتّجاه ، ولم تعد هناك حواجز بين الدول ، حيث أصبحت معظم الدول النامية فريسة سهلة لغزو ثقافات متقدمة ممثلة بوسائل الإعلام المختلفة ودور نشر كبرى ومراكز ثقافية منتشرة في أرجاء العالم المختلفة ، لا تستطيع الدول النامية مجاراتها باية حال من الأحوال . وفي ضوء هذا الواقع المؤلم تبرز أهمية دور المثقفين العرب بالتصدي الحازم لمحاولات هيمنة وتسلط الثقافة الغربية بعامة والأمريكية بخاصة في مجتمعنا العربي الإسلامي بدعاوى مواكبة التقدم والتناغم مع روح العصر بالإفادة من وسائل الإعلام المختلفة وتقانات المعلومات والاتصالات الحديثة .

الثقافة الوطنية والقومية

لا ريب ان تطور وازدهار الثقافة الوطنية والقومية يحمل أهمية كبيرة لان الثقافة جزء لا يتجزا من الهوية الوطنية في منظور حضاري يربط جدليا بين الماضي والحاضر نحو المستقبل . وحيث ان الثقافة تنطوي على معنى حضاري ، فان الأمة العربية تمتلك قصب السبق في تفعيل معنى الثقافة وامتلاك مقوماتها ، لان الوطن العربي هو مهد اقدم حضارات العالم في وادي الرافدين ووادي النيل . وان الواقع العربي بمعطياته المادية والمعنوية المشتركة المرتبطة بخواص وحدة الأمة

العربية ، يبعث الى الوجود عملية تلاحم واندماج بين عناصره ، فهو ينطوي على ثقافة واحدة عميقة الجذور ، تحمل في مضامينها الأصالة والمعاصرة ، وترتبط روحيا وفكريا بالإسلام خاصة ، وبرسالات السماء عامة ، وبذلك فهي تواصل حي يسحب الماضي نحو الحاضر بما يحافظ على التراث ولا يقفز نحو المعاصرة ، لكن الثقافة العربية قد حملت تحدياتها والتي هي تحديات الأمة العربية ذاتها في التاريخ الحديث والمعاصر . فإذا كانت الأمة العربية قد عانت من التجزئة والاحتلال والاستيطان بفعل السياسة الاستعمارية والصهيونية ، فان الثقافة العربية كانت الهدف الأول في المنهجية العدوانية لاعداء الأمة على طريق تشويه الهوية القومية وإشاعة روح الاغتراب والإحباط وتزوير الحقائق .

وقد تعرضت الثقافة العربية إلى :

أولا : محاولة إلغاء الهوية الوطنية والقومية من خلال تدمير بنى ومؤسسات الثقافة كما حصل في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الفرنسي ، وما حصل وما يحصل في فلسطين العربية من قبل الاحتلال الصهيوني ، وفي أقطار عربية أخرى حيث تسعى الجهات المستعمرة الى فرض ثقافتها وقيمها وعاداتها وتقاليدها ، ومحاولة إحلالها محل الثقافة الوطنية والقومية في محاولة لتجريدها من القدرة على مواصلة البقاء ، وهذا ما تتعرض له أيضا منطقة الخليج العربي في الوقت الحاضر بفعل التواجد الأجنبي الكثيف فيها .

ثانيا : الغزو الثقافي وهو من اخطر الوسائل المعتمدة من قبل الاستعمار والصهيونية في نشر وترويج قيم وأخلاقيات تتنافى وقيمنا العربية الإسلامية الأصيلة . ويتم هذا الغزو من خلال وسائل الإعلام الموجهة والحرب النفسية ، والإعلام والمطبوعات المحددة الأغراض والتقليعات المتعلقة بالأزياء والتسريحات ونشر الأفكار الإباحية وتسخير الإعلانات الدعائية ، والمؤتمرات والمدارس التبشيرية .. ويتم التركيز في عملية الغزو الثقافي على شرائح الشباب باعتبارهم القوى المهيمنة لقيادة حركة المجتمع وبنائه ، وذلك لاضعاف روحهم المعنوية وإشاعة روح الاغتراب فيهم ، وعدم الرضى على كل ما هو سائد في بلدانهم . وتعتمد الدول الاستعمارية دراسات اجتماعية وتفسية معدة من علماء وباحثين في مراكز بحوث وجامعات لديها ، وذلك لتخريب النفوس والعقول وتحقيق حالات الاحتواء والاختراق .

ثالثا : قهر حقوق الإنسان ، لقد أكدت القيم السماوية ان الإنسان قيمة عليا في الحياة ، فهو منطلق السعادة ، ومبعث الأمل كما ان الإعلام العالمي لحقوق الإنسان أكد حق الإنسان في الحياة الحرة الآمنة ، وان قيم الإنسان الفكرية والفلسفية لا بد ان تصان ، وان تجد المؤسسات التي تطورها ، ولكن الملاحظ ان القوى الاستعمارية قد عملت على تسيس حقوق الإنسان خدمة لمصالحها ، وعلى وفق هذا المنهج يمارس الكيان الصهيوني العنصرية ويمارس شتى أنواع القهر على أبناء شعبنا في فلسطين ومصادرة ابسط حقوقهم الثقافية ، والعمل بكل الوسائل على تزوير التاريخ الفلسطيني وطمس معالمه بدعاوى زائفة .

وفي ضوء ما تقدم نخلص إلى حقيقة مفادها ان جهودا حثيثة يجب ان يبذلها المثقفون العرب للنهوض بالثقافة الوطنية والقومية في عالمنا المعاصر الذي يشهد تحولات اجتماعية وثقافية لا حدود لها والتي باتت تخترق جميع الحواجز أي كان ارتفاعها أو سمكها ، وذلك بسبب التطورات التقنية الهائلة ، إذ ما زال دور معظم أقطارنا العربي هو دور المتلقي للثقافات الغربية والأخذ بها دون ان يكون هناك دور فاعل ومؤثر لمؤسساتنا الثقافية في بناء صناعة ثقافة وطنية وقومية تساهم في إغناء التعددية الثقافية وبناء مشروع نهضة امتنا الحضاري والثقافي .

الثقافة والعولمة

أضحى مصطلح العولمة مصطلحا متداولا بكثرة في وسائل الإعلام المختلفة منذ أواخر القرن المنصرم ، وبخاصة في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي وبروز القطب الأمريكي الأوحد الذي يحاول جاهدا الهيمنة والتسلط على العالم بدعوى إقامة النظام الدولي الجديد وإشاعة مفاهيم العولمة التي مفادها إقامة نظام عالمي موحد تنوب فيه كيانات الدول المستقلة وتنصهر حضاراتها وثقافاتها وارثها الإنساني في حضارة وثقافة عالمية واحدة كما يزعمون وهم يسعون بكل الوسائل وشتى الطرق للقضاء على الحضارات الإنسانية المختلفة بدعوى إنها حضارات وثقافات لا تستجيب لمتطلبات التنمية والتقدم الإنساني المنشود في مناحي الحياة المختلفة ، لا بل انهم يزعمون زورا وبهتانا بأنها تعوق حركة تقدم الشعوب ، كما انهم يروجون في الوقت ذاته ان الحضارة الغربية وثقافاتها هي وحدها القادرة على تحقيق التقدم

الإنساني ، ويروجون باستمرار بان صراعا حضاريا مريرا ستشـــهده الإنسانية عاجلا ام آجلا ، ستكون نتائجه وخيمة على العـــالم فصـــدام الحضارات أمر لا مفر منه .

ولانَ الحضارة العربية الإسلامية هي اكثر الحضارات تماسا وتأثيرا في الحضارة الغربية عبر العصور ، ولانتشارها الواسع في أرجاء العـالم المختلفة ، ولأنها حضارة ذات جذور عميقة ، وتحمل رسالة إنســـانية ممثلة بالدين الإسلامي الحنيف إلى شعوب العالم اجمع ، لـــذا راحـوا يفتعلون الذرائع والحجج الواهية للتصادم المبكر مع حضارتنا العربيــة الإسلامية العريقة قبل ان يقوى عود شعوبها ويشـــتد أزرهـــا ، تـــارة بدعوى حفظ الأمن والسلام العالمي ، وأخرى بدعوى تامين مصـــادر الطاقة الضرورية للآلة الصناعية والحربيـــة الغربيـــة ، والان وممـــا يؤسف له حقا انبهار بعض قادة الدول النامية ومنهم قادة دول عربيـــة واسلامية بمظاهر العولمة الزائفة متوهمين ان مسايرة هذه الموجة إنمـا هي السبيل الوحيد لتطور وتقدم بلدانهم الذي سيوفر لـــهم مـــا يســمى بالنظام الدولي الجديد ومرتكزاته الأساسية الممثلة بالعولمة والخصخصة واليات اقتصاد السوق وقوانين منظمة التجـــارة العالميـــة والشـــركات متعددة الجنسية ، متوهمين بان مؤسسات العولمة ستدعم جهودها فـــي التنمية وستفتح لها الأسواق لتصريف منتوجاتها المتواضعة في جودتـها أساسا ، وستسهم بنقل التقانات أليها ، وتطور منظوماتها التعليمية وخلق فرص عمل أوسع وافضل لمواطنيها ، بينما يرى القاصي والدانـــي ان حقيقة العولمة وجوهرها هي خلاف ذلك تماما اذ تسعى الدول الصناعية لسلب ثروات الشعوب واستنزاف ما لديها من قدرات علميـــة وتقنيـــة

برغم محدوديتها وذلك بتشجيعها على الهجرة إليها بدعاوى عدم قــدرة بلدانهم على توفير البيئة العلمية المناسبة لهذه الكفايات .

وفي مجال نقل التقانة فانه ليس متوقعا ان تقوم الــدول الصناعيــة بنقل أية تقنية متقدمة او نافعة الى أي بلد من البلدان النامية . اذ تمارس هذه الدول رقابة صارمة على مثل هذه الأنشطة ، وإذا ما تم نقل أيــة تقنية معينة لهذا البلد او ذاك ، فإنها لا بد ان تكون تقنية ذات آثار سلبية في البيئة او صحة الإنسان ، أو إنها تقنــية قد عفا عليها الدهــر ليس الا ، وفي مجال فتح الأسواق فان الدول النامية لا تقوى فــي معظــم الصناعات على منافسة صناعات الدول الصناعية وبخاصة ان معظمها في مراحل التصنيع الأولى التي تتطلب رعاية خاصة .

والأخطر من كل ما تقدم فــان العولمــة تــهدد ثقافتنــا العربيــة والإسلامية في الصميم لما تروج له من مفاهيم وقيم تتنافى تماما مــع مبادئنا الإسلامية المستندة إلى مبادئ السماء واحترام الــذات البشــرية وتماسك الأسرة كونها نواة المجتمع وان القيم الروحية أهم مــن القيــم المادية وان العدل أساس الملك وغيرها من قيم سامية ونبيلة توارثتــها أجيالنا العربية جيل بعد آخر .. وتسعى العولمة الثقافية لإلغاء الهويــة القومية وذلك بإحلال الهوية العالمية بديلا عنها والإقــلال مــن شــان الثقافات غير الغربية وإشاعة استخدام اللغة الإنكليزيــة بالإفــادة مــن تقانات الاتصالات والمعلومات الحديثة باعتبارها لغة العلــم والثقافــة والأدب التي ينبغي على الجميع تعلمها والتحدث بها وبخلافه لا تستكمل شخصية المثقف المعولم على وفق قيم ومعايير العولمة .

ولعل ما هو قادم اعظم واكثر خطورة وتهديداً لنسيج مجتمعاتنا مــا لم يتم التصدي الحازم لجميع مظاهر العولمــة وأســاليبها الخبيثــة .

وستمارس الدول الصناعية ضغوطا شديدة على الدول النامية ليس في مجال التقانة فحسب ، بل في جميع العلوم والمعارف العامية بدعاوى حقوق الملكية الفكرية والتي ستؤدي الى حجب الكثير من هذه المعارف عن الدول النامية والتي كانت مشاعة حتى عهد قريب لجميع الدول ، وينطبق الشيء نفسه على نتائج البحوث العلمية وحجب دراسة بعض التخصصات العلمية والتقنية في جامعات الدول الصناعية لمواطني الدول النامية بصورة عامة ومواطني الدول الإسلامية والعربية بصورة خاصة ، الأمر الذي يتطلب ان تتضافر الجهود الخيرة اعتمادا على الذات أولاً وعلى تعاون القوى الخيرة في العالم ثانيا ،لبناء منظومات علمية للعمل العلمي المشترك لاعداد الملاكات العلمية والتقنية وتبادل الخبرات والمشورة العلمية لضمان أمن واستقلال أقطارنا العربية [٢].

ولعل أسوء إفرازات العولمة هو ما يتعلق بزيادة المصاعب الاقتصادية والمشاكل الاجتماعية للعديد من الدول النامية التي لا يجد مواطنيها لقمة العيش لسد رمقهم ،بينما تقدم لهم وسائل الإعلان المختلفة عبر محطات القنوات الفضائية التي تقتحم حدود هذه الدول والدخول إلى بيوت الناس نماذج الحياة الغربية التي تتسم بالرفاهية إلى حد التخمة ، مما يزيد الشعور بالحنق والضيق من أوضاع نظام التجارة العالمية والإحساس بتعاظم رغبة الأقوياء في فرض ثقافتهم السلوكية على الآخرين .

الثقافة والتعليم

يحدد المعنيون بشؤون التربية والتعليم وظائف الجامعة عادة بثلاث وظائف رئيسية هي التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع ، وعلى

الرغم من أهمية هذه الوظائف الجامعية في عالمنا المعاصر ، إلا أن هناك وظيفة رابعة للجامعة المعاصرة ألا وهي وظيفة الجامعة الثقافية ، أي قيام الجامعة بتثقيف طلبتها أولا وقبل كل شيء بصنوف الثقافة المختلفة ، اذ لا يكفي تأهيلهم في مجالات تخصصهم وتزويدهم بالعلوم والمعارف والتقانات المختلفة وإكسابهم المهارات اللازمة لممارسة أعمالهم في حقول تخصصاتهم بعد تخرجهم من الجامعة ، وانما يستلزم الأمر إعدادهم بحيث يكونون قادرين على إدراك أهمية تخصصاتهم العلمية وانعكاساتها على تطور مجتمعهم ورقي أمتهم في سلم الحضارة الإنسانية وتحقيق رفاهية شعبهم وحقه في الحياة الحرة الكريمة على وفق اختياراته الحرة بعيدا عن مداخلات الدول الأخرى الساعية إلى فرض هيمنتها وفرض وصايتها استنادا إلى منطق القوة الغاشمة والغطرسة البلهاء بدعاوى زائفة تارة بالحرص على الشرعية الدولية وأخرى بحفظ الأمن والسلام ، كما يستلزم ان تسعى الجامعة الى خلق جيل مشبع بالقيم والمبادئ الإنسانية المستندة إلى جوهر عقيدتنا الإسلامية السمحاء والتراث التليد لامتنا العربية واسهامها المميز في الحضارة الإنسانية على مدى التاريخ .

ولاجل إعداد جيل مشبع بالقيم العربية الإسلامية والمبادئ الإنسانية النبيلة نرى ضرورة ان يطلع الطلبة الجامعيون على لمحات من ثقافات الأمم والشعوب المختلفة مع التركيز على ثقافتنا العربية والإسلامية بصرف النظر عن تخصصاتهم العلمية كي يكونوا قادرين على التصدي للثقافات الوافدة التي يروج لها البعض بهدف طمس او الإقلال من شان ثقافتنا العربية والإسلامية بدعاوى وذرائع شتى وذلك بابراز أصالة ثقافتنا ودورها الرائد في الثقافة الإنسانية عبر العصور والازمان

المختلفة . ولا بد من إعداد أجيال قادرة على التعامل مع العلوم والتقانة بشفافية وحس إنساني مرهف وذوق حضاري سليم وإدراك واع لاحتياجات الأمة وطموح مشروع ان تأخذ امتنا دورها الإنساني المميز بين أمم الأرض باعتبارها أمة عريقة وذات أمجاد حضارية وتراث إنساني مميز دون استعلاء او انتقاص من حضارات وثقافات الشعوب الأخرى . وبعبارة أخرى ان ما مطلوب من جامعاتنا هو إعداد جيل مسلح بالعلوم والتقانات والمعارف المختلفة من جهة وامتلاك ثقافة إنسانية واسعة مستندة على مقومات حضارتنا العربية الإسلامية الممتدة لآلاف السنين من جهة أخرى . أي تخريج ملاكات علمية وتقنية رفيعة المستوى علميا وعالية التأهيل نظريا وعلميا في فروع المعرفة المختلفة ، ومدركة تماما لدورها الإنساني والحضاري لبناء صرح امتنا وتحقيق نهضتها اعتمادا على إمكاناتها الذاتية أولاً وقبل كل شيء والإفادة من خبرات وتجارب الآخرين من منطلق التكافؤ وتبادل المنافع المشروعة الأمر الذي يتطلب الإلمام بثقافات الشعوب الأخرى بصورة أو بأخرى .

لذا يجب ان تهتم الجامعة المعاصرة بالتطورات الثقافية في مختلف إرجاء العالم لما لهذه التطورات من تأثيرات وانعكاسات على أي بلد من البلدان عبر وسائل الإعلام المختلفة ، الأمر الذي يتطلب مواجهتها بعقل متفتح وبصيرة علمية ثاقبة للإفادة مما هو نافع منها ونبذ ما هو ضار وسيء . وعلى الجامعة ان تتصدى للظواهر الثقافية في الوسط الجامعي او خارجه وبخاصة الظواهر التي لا تنسجم مع ثقافتنا العربية الإسلامية وموروثنا الحضاري ، ويجب ان تسعى الجامعة إلى توشيج العلاقة بين التخصصات الدراسية المختلفة وعدم وضع الحواجز

السميكة فيما بينها بحيث يتم تقريب الدراسات العلمية والتقنية اكثر فاكثر من الدراسات التي يطلق عليها دراسات إنسانية وذلك بزيادة عدد المواضيع الإنسانية كالفلسفة والأدب والفنون وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وغيرها ضمن المناهج الدراسية الهندسية والطبية وبقية التخصصات العلمية ، والعكس صحيح أيضا أي تدريس طلبة التخصصات الإنسانية مواضيع علمية وتقنية مبسطة منها على سبيل المثال لا الحصر علوم الحاسبات ونظم المعلومات وتطبيقاتها في علوم اللغة والأدب والاجتماع والشريعة والفقه وغيرها ، إضافة التعريف بالإنجازات العلمية والتقنية المختلفة وانعكاساتها على مجمل الحياة الإنسانية ، وابراز دور العرب الحضاري قديما وحاضرا ومستقبلا وتنشيط حوار الحضارات الإنسانية وفضح محاولات البعض في فرض نموذج حضاري معين وتهميش الدور الحضاري للأمم الأخرى بوسائل وأساليب شتى .

ولا بد ان تهتم البرامج الجامعية بإبراز الهوية القومية المميزة لامتنا العربية وتراثها الثر التي كان لها أثرها الواضح في الحضارة الإنسانية ، وكذلك الاهتمام بمقومات الثقافة العربية التي عمادها الدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية ، لذا ينبغي ان تهتم الجامعات بالثقافة الإسلامية على وفق مبادئ الدين الحنيف القائمة على أسس المودة والتراحم والتكافل الاجتماعي والاقتصادي ذلك ان الدين الإسلامي قد جاء هدى ورحمة للعالمين ، وان تسعى الجامعات إلى جعل اللغة العربية التي هي أحد مقومات الثقافة أداة فاعلة للتعليم الجامعي في جميع تخصصاته دون استثناء ، والى نشر العلوم والثقافة بلغة عربية ميسرة بين قطاعات الناس المختلفة . والى إبراز دور العلماء العرب

في مختلف العصور في الحضارة الإنسانية والتواصل بين حضارة الأمس وحضارة اليوم على طريق بناء مشروع امتنا الحضاري الذي تحاول القوى الاستعمارية والصهيونية إعاقته بوسائلها الخبيثة تحت ذرائع وأساليب شتى . ولا بد من التصديَ العلمي الحازم للكتابات غير النزيهة التي تحاول تشويه تاريخنا العربي والإسلامي والتقليل من شان إنجازاتنا الحضارية من قبل بعض الكتاب الصهاينة او الكتاب المتصهينين والكتاب الشعوبيين ومن بعض الكتاب الذين يطلق عليهم مصطلح المستشرقين . وتكمن خطورة هذه الكتابات بأنها تصدر من قبل جمعيات او مؤسسات ظاهرها علمي وبعضها مؤسسات جامعية مرموقة تمولها شركات ومؤسسات مختلفة لتمكين هذه المؤسسات الأكاديمية من تقديم منح وإعانات مالية لعلماء وباحثين وطلبة دراسات عليا في بلدان مختلفة للانخراط بهذه البرامج التي تتخذ من الأساليب العلمية وسيلة لتحقيق أغراضها المشبوهة بالإساءة إلى تراث امتنا العربية المجيدة والتي قد تنطلي على بعض ممن تبهرهم الحضارة الغربية دون تبصر ، متوهمين ان كل ما يقدمه علماء ومفكرو الحضارة الغربية إنما يمثل حقائق ثابتة لا غبار عليها حيث لا يعنيهم سوى الحقائق العلمية وانهم منزهون من أية أغراض أخرى . باعتبار ان الجامعات والمؤسسات البحثية مؤسسات ذات استقلالية عالية لتصريف شؤونها العلمية ، ناسين أو متناسين ان من يملك المال إنما يملك في الحقيقة السلطة لتوجيه أية مؤسسة جامعية او علمية بالاتجاهات التي يرغب بها عبر المنح والإعانات والهبات المالية التي يقدمها لها تحت أغطية شتى . فالجامعات والمؤسسات العلمية في مختلف أنحاء العالم إنما هي جزء لا يتجزا من مجتمعاتها وتوجهاتها

الفكرية والسياسية في إطارها العام . ومن هنا ينبغي ان تتولى الجامعات نشر روائع الفكر العربي والإسلامي على أوسع نطاق وبخاصة بين طلبة الجامعات وجيل الشباب والتأكيد على التواصل الفكري والحضاري بين إنجازات الأمس وإبداعات علمائنا ومفكرينا في العصر الراهن وإشاعة روح التفاؤل بمستقبل امتنا الزاهر علميا وتقنيا وفكريا وثقافيا وحضاريا دون أدنى شك ذلك ان امتنا تمتلك كل أسباب النهضة والتقدم والرقي .

وان تسعى الجامعات إلى تنشيط التفاعل بين الثقافات المختلفة وثقافتنا العربية الإسلامية مع مراعاة الخصائص المميزة لثقافتنا وإدراك ان أي ثقافة من هذه الثقافات إنما هي حصيلة ظروف وبيئات حضارية وتراث أمم مختلفة ، وان ما يصلح منها في هذا البلد او ذاك ليس بالضرورة ان يصلح في بلد آخر ، فالثقافات كالنباتات تماما ، كل منها لا تنمو وتزدهر الا في بيئاتها الخاصة بها . كما ان ما يصلح من هذه الثقافات في زمن معين ، فانه ليس بالضرورة أيضا ان يصلح في زمن آخر فالنباتات التي تنمو صيفا فإنها لا تثمر شتاء ، وكذا حال الثقافات فان ما كان صالحا منها في عهود سابقة قد لا يكون صالحا في عصرنا الراهن . ومن هنا لا بد من انتقاء الثقافات التي تتلاءم وخصوصية امتنا زمانا ومكانا وبلورتها باتجاه خلق ثقافة عربية واسلامية ذات أهمية خاصة بأمتنا دون انغلاق او تعصب ، وانما تأصيل الثقافة العربية بالإفادة من جذور الثقافة العربية والإسلامية وتطورات ثقافات الأمم والشعوب المختلفة في عصرنا الراهن أي باختصار شديد عصرنة ثقافتنا العربية والإسلامية الأصيلة .

الثقافة وتعريب العلوم

يلعب التعريب بعامة والترجمة بخاصة دورا هاما بإثراء العلوم والمعارف الإنسانية المختلفة ونقلها من شعب الى آخر ، وقد أدرك العرب الأوائل أهمية الترجمة في إغناء ثقافتنا العربية والإسلامية حيث برع العلماء العرب المسلمين في نقل علوم بلاد فارس والهند والإغريق في عهد الدولة الأموية ، وتطورت اكثر في عهد الدولة العباسية حيث انشأ الخليفة المأمون بيت الحكمة وجعله بمنزلة مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة وعين فيها الاكفياء من المترجمين أجرى عليهم الرزق الوافر بعثا لهم وحفزا للعزائم[٣] . وبذلك أرسى السلف الصالح أسسا وقواعد سليمة لتفاعل الثقافات لاثراء المعارف الإنسانية المختلفة . وفي ضوء التدفق المعرفي الهائل لا بد من اعتماد أساليب حديثة ومتطورة في الترجمة والتي أبرزها الترجمة الآلية المستندة الى تقانات المعلومات واللسانيات . أما التعريب فهو أوسع واعمق من عملية الترجمة كثيرا ، اذ ان مفهوم التعريب يعني انه أداة التعبير عن الأفكار العلمية والمسائل التقنية بلغة عربية عصرية سليمة ، وانه الوسيلة لنشر العلوم والمعارف المختلفة بين الناس بلغة عربية سلسة ومفهومة من قبلهم بيسر وسهولة ، كما انه يعني القدرة على نقل النتاج العلمي والمعرفي العربي إلى شعوب وأمم أخرى بلغتنا القومية للإسهام في الثقافة والحضارة الإنسانية ذلك ان العلوم والتقانة إنما هي نتاج إنساني تسهم فيه شعوب العالم المختلفة بحسب إمكاناتها ودرجة تطورها ، وامتنا العربي برغم ما تعاني من مشاكل وصعوبات وما تواجه من تحديات وانقسامات حادة في الوقت الحاضر فهي تضم علماء

ومفكرين ومبدعين في شتى التخصصات العلمية والتقنية ممن لهم باع طويل ونتاج علمي غزير ينبغي لنا تعريف العالم بهم ونتاجهم العلمي وإسهاماتهم في الفكر الإنساني الخلاق أسوة بإقرانهم في دول العالم الأخرى . وخلاصة القول ان عملية التعريب تعني إنشاء مدارس علمية وفكرية وثقافية عربية الوجدان والضمير واللغة والانتماء والتعبير عن حاجات الأمة وتطلعها المشروع الى التقدم والازدهار . تبدا عملية التعريب أولا بترجمة أمهات الكتب العلمية والتقنية الأجنبية ، ويتطلب ذلك تهيئة مستلزمات الترجمة بدءا بإعداد مترجمين أكفاء يجيدون اللغة العربية ولغة أجنبية واحدة في الأقل . ويفضل ان يكونوا قد تلقوا تعليمهم في أحد البلدان المتقدمة واطلعوا عن كثب على واقع الحركة العلمية والتقنية فيها وعايشوا أجواء لغتها ، وحيث ان العلوم والتقانة تشهد تدفقا معرفيا هائلا في شتى التخصيصات ، ولغرض مواكبة هذا التدفق لا بد من اعتماد وسائل ترجمة آلية حديثة كما هو سائد في البلدان الأخرى التي سبقتنا في هذا المضمار ، والاستفادة من تجاربها الرائدة ، أي باختصار لا بد من اعتماد الترجمة الآلية الفورية ويتطلب هذا توفير التخصيصات المالية اللازمة لهذا الغرض ، وهنا لا بد ان تتضافر جهود اكثر من قطر عربي واحد لتخفيف ضغط الأعباء المالية ولتعميم الفائدة عليها جميعا ، وبعدها يتم إنشاء هيئات وطنية من كبار العلماء وأساتذة الجامعات ورجال الفكر والثقافة لانتقاء الكتب المراد ترجمتها سنويا وفق خطط علمية مدروسة جيدا وبرامج تنفيذية دقيقة ، ومراجعة هذه الخطط بين الحين والآخر للتوثق من حسن سير تنفيذها . ومن ذلك يتضح ان التعريب لا يعني الانغلاق على الذات كما يشيع بعضهم ، إنما هو العكس من ذلك تماما فهو الانفتاح والاطلاع

على النتاج العلمي والمعرفي والثقافي بأبهى صوره وارقى أشكاله والإسهام والتفاعل مع هذا النتاج أخذا وعطاء ، وبذلك نضمن لبلادنا حصانتها العلمية والثقافية وبتأصيل العلوم والمعارف في بيئة علمية وثقافية عربية سليمة والتخلص نهائيا من حالة الاغتراب العلمي والثقافي الذي يعيشه بعض المثقفين العرب إلى حد ازدواجية شخصياتهم ومعاييرهم بسبب انبهارهم بثقافات الغير ، فتعريب العلوم والتقانة يعد ركيزة أساسية من ركائز النهضة الثقافية العربية المعاصرة اذ لا يمكن لامة محترمة ان يكون نتاجها الثقافي نتاجا هامشيا لا قيمة له في الأوساط الثقافية ، ولا يمكن الارتقاء بالنتاج الثقافي العربي ما لم يتفاعل مع النتاج الإنساني على قدم التكافؤ من منطلق الإبداع الفكري والعلمي مع مراعاة الخصائص الحضارية لامتنا العربية .

الثقافة والإعلام

أدت ثورة المعلومات والاتصالات إلى تغييرات جوهرية في البنية الاجتماعية والثقافية في جميع بلدان العالم ، حيث أسهمت إسهاما فاعلا في نقل ثقافات وعادات وأسلوب الحياة من الدول الصناعية الأكثر تطورا الى دول العالم الثالث الأقل تطورا ، ذلك ان الدول الصناعية تسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المرئية منها والمسموعة والصحف والمجلات والكتب المختلفة ، بينما لا تستطيع الدول النامية مجاراة هذه الدول نظرا لما يتطلب ذلك من استثمارات مالية ضخمة جدا . وانه لامر طبيعي ان تسعى الدول الصناعية عبر وسائل إعلامها المختلفة إلى نقل صورة مشرقة عن مجتمعاتها

باعتبارها مجتمعات راقية ومتطورة ينبغي ان تقلدها الشعوب بدعاوى إنسانية مفادها ان العالم قد اصبح قرية كونية تتفاعل فيها الحضارات والثقافات المختلفة ، بينما هم يقصدون في حقيقة الأمر هيمنة ثقافتهم الغربية عامة ، والثقافة الأمريكية بصورة خاصة ، لما يتمتعون به من قوة ونفوذ هائلين في الوقت الحاضر .

وقد دلت جميع تجارب الأمم والشعوب على مر العصور بانه لا يمكن ان تقوم شراكة حقيقية ، اقتصادية كانت ام حضارية او ثقافية بين أطراف غير متكافئة في إمكاناتها ، اذ ان الغلبة دوما في صف الأقوياء ممن يمتلكون أدوات الفعل والتأثير في الإحداث . يشير واقع الحال الراهن ان مصادر الأخبار في العالم في الوقت الحاضر تعتمد على خمسة وكالات للأنباء هي : رويتر البريطانية والاسوشيتدبرس الأميركية واليوناتيدبرس الأميركية ووكالة الأنباء الفرنسية ووكالة ايتارتاس الروسية . وانه أمر طبيعي جدا ان تنقل هذه الوكالات وجهات نظر مجتمعاتها ، ان لم نقل حكوماتها ، إزاء الأحداث المختلفة في بقاع العالم .

كما تشير المعلومات إلى ان الولايات المتحدة الأمريكية وحدها مسؤولة عن نقل وتوزيع ٨٠% من المعلومات والبيانات في العالم ، وهي تسعى الى نشر ثقافتها الأمريكية من خلال وسائل إعلامها المختلفة ومؤسساتها الثقافية وجامعاتها ، إضافة الى مراكزها الثقافية التي تسعى لنشر اللغة الإنكليزية ونظمها التعليمية في إرجاء العالم المختلفة . وتقوم بريطانيا بنشر ثقافتها الإنكليزية عبر مؤسسات رابطة دول الكومنويلث common wealth . اما فرنسا فإنها تمارس حملاتها الثقافية من خلال رابطة التحالف الفرنسي Aliance

Francaise التي استحدثت عام ١٨٨٣ بهدف مضاعفة تأثير فرنسا في الخارج ، ونشر الثقافة واللغة الفرنسية في العالم ، ويتبع لهذه الرابطة ١٠١٠ لجنة وجمعية في الخارج تقوم بتنظيم المؤتمرات والاجتماعات وافتتاح المكتبات ولديها ٦٠٠ مركزا منتشرا في إنحاء مختلفة من العالم [٤].

يروي أحد الكتاب التونسيين في مقال نشر عبر شبكة الانترنيت مؤخرا انه عندما ذهبنا نحن أبناء المغرب العربي الى فرنسا للدراسة كان لدينا ذلك اليقين بان فرنسا دولة عظمى وهي تفتح لنا كل الأبواب لنتعلم ونتحضر ونستفيد من نتاجها الحضاري الرفيع ، لكن كلمة ألقاها الرئيس الفرنسي جورج بومبيدو قال فيها لكل الفرنسيين علموا هؤلاء القادمين من الشرق اللغة والثقافة الفرنسية ليشتروا كل شيء فرنسي بعد ذلك .

وحتى فترة قريبة ، كانت البلدان النامية محمية من اثر المعلوماتية ، أما اليوم فان إعادة الإنتاج غير المكلفة والنقل السريع قد وضعا البلدان النامية وجها لوجه مع العرض الباهر للمواد الثقافية التي خلقت للثقافات الأجنبية ومن اجلها . يكمن الخطر بعدم استعداد الشعوب في العالم الثالث لتفسير واستعمال هذا التدفق المعلوماتي . وبشكل عام لا توجد مواد منتجة محليا تساويها ، والمواد الأجنبية ذات جاذبية رفيعة ، لكنها ضعيفة فيما يتعلق بمحتواها الثقافي ، ان غياب وكالات الأنباء الوطنية ذات المعلوماتية المناسبة في اغلب بلدان العالم الثالث جعل من غير الممكن ان يعرف مواطنو أي بلد الأحداث التي تجري في بلادهم او في بلدان العالم الثالث . وهذا هو سبب احتلال الأخبار الخارجية لهيئة الإذاعة البريطانية مكانتها المرموقة في العالم الثالث .

ويعتمد الوطن العربي إلى حد كبير على البرامج التلفازية الأجنبية . ليس هناك شك بان هيئات الأنباء الأجنبية هي متحيزة لبلدانها وتقوم بعرض الأنباء على وفق ما يناسب مواطنيها اكثر ما يناسب مواطني الدول الأخرى(٥) .

ان التعرف على الثقافات الأجنبية أمر مرغوب وإيجابي ، إلا ان الخطر يكمن في ان تصبح هذه الآثار الأجنبية بديلا عن الإبداع العربي وليس مساعدا او حافزا له .

وقد نتج عن هذه الهيمنة شيوع عادات وسلوك واخلاق وأساليب حياة وأنماط معيشة وظواهر اجتماعية بعيدة تماما عما كان سائدا في معظم دول العالم ، حيث اصبح نمط الحياة الغربية الأنموذج الذي تسعى معظم دول العالم الى تحقيقه بصورة او بأخرى على الرغم من وجود تيارات هامة تسعى بكل إمكاناتها لمنع هذا التوجه او على الأقل تهذيبه بما يتماشى وقيم مجتمعاتها المتراكمة عبر تاريخها وارثها الحضاري الذي يمتد في بعض هذه المجتمعات الى آلاف السنين .

وفي عصرنا الراهن أدت التطورات الهائلة في تقانات المعلومات والاتصالات من ألياف بصرية واقمار صناعية وبرمجيات حاسوبية وشبكات معلومات الى زيادة هيمنة الدول الكبرى اكثر من ذي قبل في المجالات المختلفة ، فالولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية هي مصدر المعلومات الرئيس في العالم من برامج تعليمية وبرامج تسلية وبرامج الإخبار في جميع المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية وهي تدخل إلى جميع الدول الأخرى دون اية حواجز ، الأمر الذي يتطلب ان تتضافر الجهود الخيرة للحد من تأثير هذه الثقافات الوافدة التي لا تقيم وزنا للثقافات الوطنية للبلدان النامية والتي

يمتلك معظمها ثقافات عريقة ذات جذور حضارية تمتد لآلاف السنين ، وبذلك تتمكن من الحفاظ على هويتها الوطنية وثقافتها الأصيلة المتفاعلة مع ثقافات شعوب العالم المختلفة .

الثقافة الرقمية

تتناول وسائل الإعلام المختلفة في السنوات الأخيرة مصطلح الثقافة الرقمية وتتحدث هذه الوسائل عن فجوة رقمية بين الدول المختلفة من جهة ، وبين الفئات الاجتماعية المختلفة داخل الدولة الواحدة من جهة أخرى .

يقصد بالفجوة الرقمية القدرة على استحصال المعلومات من شبكة المعلومات العالمية (الانترنيت) ووسائل تقانات المعلومات المختلفة وتوظيفها لخدمة أغراض المجتمع المختلفة ، اذ يلاحظ ان هناك تباينا واضحا في قدرات الدول فيما يتعلق بامتلاك تقانات المعلومات وفي القدرة على توظيفها لغايات ومقاصد علمية وثقافية واجتماعية واقتصادية وغيرها من جهة ، كما يلاحظ ان هناك تباينا واضحا في قدرات الأفراد والجماعات داخل البلد الواحد نفسه من جهة أخرى . فعلى مستوى الدول يلاحظ ان الدول الصناعية في أوربا واليابان وأمريكا الشمالية وبعض أقطار جنوب شرقي آسيا أوفر حظا بامتلاك تقانات المعلومات واكثر قدرة على توظيفها لأغراضها المختلفة ، بينما لا تمتلك الدول النامية الا النزر اليسير من هذه التقانات والتي تنعكس سلبا على قدرتها بالإفادة منها بصورة فاعلة ومؤثرة لصالح أغراضها المختلفة ، أما على صعيد الدول بصورة منفردة فانه يلاحظ ان الفئات

العمرية دون سن الأربعين سنة في جميع دول العالم هي الأكثر تعاملا مع تقانات المعلومات المختلفة ، وان الرجال اكثر استخداما لها من النساء وان سكان المدن اكثر استخداما لتقانات المعلومات من سكان الأرياف ، وان الأغنياء عموما اكثر استخداما لها من الفقراء في كل زمان ومكان .

ومن هنا فقد برز مصطلح الأمية الحاسوبية والذي يقصد به عدم قدرة الأفراد على التعامل مع الحواسيب بأي شكل من الأشكال ، والذي تطور في السنوات الأخيرة إلى مصطلح الفجوة الرقمية Digital divide ليؤشر مدى التباين في القدرة على التعامل مع الحواسيب وتقانات المعلومات وشبكاتها المحلية والدولية والإفادة منها في مختلف شؤون الحياة بين الدول المختلفة من جهة وبين فئات المجتمع الواحد في البلد الواحد من جهة أخرى ، واعتبارها مؤشرا على مدى الرقي والتقدم ، وكالعادة تسعى الدول الصناعية وخاصة الدول الكبرى منها إلى احتكار هذه التقانات ومنع انتشارها إلى الدول الأخرى إلا بالقدر الذي يخدم مصالحها الاقتصادية الضيقة بحيث تكون الدول الصناعية مالكة لهذه التقانات وتكون الدول الأخرى مستهلكة لها لا غير ، وهي لذلك تفتعل الحجج والذرائع الزائفة لتحقيق غاياتها ومقاصدها السيئة والتي آخرها ذريعة مكافحة الإرهاب .

يشير أحد تقارير التنمية البشرية لهيئة الأمم المتحدة (UNDP) ان مجموع عدد مستخدمي شبكة الانترنيت قد بلغ عام ٢٠٠٢ في أرجاء العالم المختلفة ما مجموعه ٢, ٥٤٤ مليون شخص بعد ان كان عددهم ١٥٠ مليون شخص عام ١٩٩٩ أي بزيادة مقدارها ٣٤٩ مليون

شخص خلال ثلاث سنوات فقط ، ويتوقع ان يصل عدد المستخدمين قرابة مليار شخص بحلول عام ٢٠٠٥ . يتوزع هؤلاء المستخدمين عالميا بنسبة ٣٣,٣ % في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ونسبة ٥, ٣١ % في أوربا ٩, ٢٨% في شرق آسيا والمحيط الهادي ٤,٧% في أمريكا اللاتينية و ٠,٩ % في الشرق الأوسط و ٠,٨% في أفريقيا . وتبلغ نسبة المستخدمين قياسا إلى مجموع السكان في المناطق المختلفة ٥٦,٦% من مجموع سكان الولايات المتحدة الأمريكية وكندا و ٢٣,٦% في الدول الأوربية ٤,٢% في دول شرق آسيا والمحيط الهادي و ٤,٧% في دول أمريكا اللاتينية و ٢٢,٤% في دول الشرق الأوسط و ٠,٥% في الدول الأفريقية ، وتجدر الإشارة الى ان المعدل العام في العالم يبلغ ٨,٥% . وقد حذر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في تشرين الأول ١٩٩٩ أثناء انعقاد مؤتمر الاتصالات في جنيف بسويسرا من خطر حرمان الدول الفقيرة من الإفادة من الثورة المعلوماتية اذ لا يصح ان بلدا أوربيا صغيرا مثل السويد يفوق عدد مستخدمي الانترنيت فيه عددهم في عموم قارة أفريقيا ، وان ثلثي مستخدمي الانترنيت في العالم في خمسة أقطار فقط هي الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبريطانيا وألمانيا وكندا وان ما موجود من مواقع الانترنيت في مدينة نيويورك مثلا هو اكثر مما موجود في قارة افريقيا بأكملها . كما تتباين الدول الأوربية نفسها ففي السويد والدنمارك وفنلندة يملك ثلثا السكان وسائل اتصال بالانترنيت مقابل عشر السكان في دول حوض البحر الأبيض المتوسط .

وعلى صعيد اللغات المستخدمة في شبكة الانترنيت تقع اللغة الإنكليزية في المقدمة بنسبة ٤٠% تليها اللغة الصينية بنسبة ٨ ,٩%

واللغة اليابانية بنسبة ٧,٢% بينما يبلغ عدد مواقع الانترنيت باللغة الإنكليزية ما نسبته ٨٠% من مجموع المواقع في العالم .

يشير أحد تقارير الاسكو إلى ان معدل الاستخدام العالمي لشبكة الانترنيت يفوق معدل الاستخدام العربي ٢٤ مرة وان استخدام الدول النامية يفوقه ٢,٥ مرة وان معدل استخدام الدول الصناعية يفوقه ٨٠ مرة . اما معدل انتشار الحواسيب الشخصية في الوطن العربي فانه يقل عن المعدل العالمي سبع مرات وعن المعدل في الدول الصناعية ١٤ مرة . بينما تمتلك الولايات المتحدة الأمريكية اكثر من نصف الحواسيب الموجودة حاليا في العالم في الوقت الذي لا يزيد عدد سكانها على ٥% من مجموع سكان العالم . ولا شك ان هناك تباينا في عدد الحواسيب وعدد مستخدمي شبكة الانترنيت على صعيد الأقطار العربية نفسها ، اذ تقع مصر وتونس ولبنان والإمارات العربية المتحدة في مقدمة الأقطار العربية ، وفي مجال الاتصالات فان الحال لا يختلف كثيرا اذ لا يزيد عدد الخطوط الهاتفية في أفريقيا على هاتفين لكل ١٠٠٠ نسمة مقابل ٢٨٠ هاتف في الولايات المتحدة الأمريكية و ٣١٤ هاتف في الدول الأوربية ، ناهيك عن النقص الشديد في الملاكات العلمية في مجالات تقانات المعلومات والاتصالات الذي تعانيه معظم الأقطار النامية وافتقار العديد منها إلى الخبرات الضرورية لإرساء أسس البنى التحتية لهذا القطاع الحيوي والهام جدا ، إضافة إلى قلة الأجهزة المتوفرة لديها وتواضع مواصفاتها وبطأ سرعتها وضعف كفاءتها قياسا لما هو موجود في الدول الصناعية ، وجميع هذه الأمور تؤثر سلبا في مجالات التعاون الإقليمي والدولي .

الثقافة والمعرفة

أصبحت المعرفة في الوقت الحاضر أحد أهم عناصر الإنتاج في الاقتصاد المعاصر . عليه يصبح توليد المعرفة واستخدامها أمرا ضروريا للتنمية .

ويقصد بالمعرفة هنا المعرفة العلمية والتقنية او ما يطلق عليه باللغة الأجنبية (Know – how) وحيث ان الدول متباينة في امتلاكها لهذه المعرفة فالدول الصناعية لديها مخزون معرفي هائل جدا ، بينما لا تمتلك معظم الدول النامية إلا قدراً متواضعاً من هذه المعرفة ، لذا فقد نجم عن هذا التباين ما يعرف بفجوة المعرفة **Knowledge gap** أي الفروقات بين الدول بامتلاكها المعلومات والمعارف العامية والتقنية ، وبالتالي الفروقات في القدرات على توظيف هذه المعارف لتحقيق التنمية في البلدان المختلفة في شتى مجالات الحياة . أصبحت المعلومات والمعرفة أحد أهم مصادر القوة في عصرنا الراهن ، وتفوق هي أهميتها مصادر الثروة الطبيعية وراس المال وقوة العمل ، او في احسن الأحوال . فأنها لا تقل عنها أهمية بتحقيق التنمية والتطور لأي بلد من البلدان الأمر الذي يتطلب بذل جهود حثيثة بكل الوسائل الممكنة لامتلاك المعرفة وبناء مجتمع المعلومات والمعرفة لتحقيق وتأثر التقدم والازدهار لبلادنا .

يلعب التعليم بعامة والتعليم العالي بخاصة والبحث العلمي وتقانات المعلومات والاتصالات دورا هاما في تنمية مجتمعات المعرفة ، لذا فقد أولتها الدول المختلفة اهتماما بالغا من خلال الاستثمارات المالية الكبيرة في هذه القطاعات والتأكد من مردوداتها الاقتصادية المؤثرة في تنمية

مجتمعاتها وتحقيق فرصا افضل في المنافسة مع الدول الأخرى في جميع المجالات . وتعد فجوة المعرفة أحد أهم مؤشرات تقدم ورقي وتطور المجتمعات في عصرنا الراهن ، الأمر الذي يتطلب بذل جهود حثيثة لغلقها ، او في الأقل عدم التسامح باتساعها الى حدود يصعب معها غلقها في المراحل الراهنة . يشير السيد جيمس ويلفنسون رئيس البنك الدولي في أحد تعليقاته ان أحد أسباب فقر الناس هو عدم قدرتهم على منافسة الآخرين لافتقارهم إلى المعرفة . وتشير الوقائع إلى اتساع فجوة المعرفة بين الدول الصناعية والدول النامية اكثر فاكثر في وقتنا الحاضر وذلك بسبب ازدياد القيود التي تفرضها الدول الصناعية على انتقال المعلومات والمعرفة الى الدول النامية بدعاوى حماية الملكية الفردية والتي ازدادت حدتها في السنوات الأخيرة بدعاوى محاربة الارهاب ، وحجبها عن فئات بعينها لحرمانها من الإفادة منها في رقي شعوبها وتقدمها في الوقت الذي يشهد فيه العالم تدفقا معرفيا هائلا في شتى العلوم والمعارف ، وان وسائل نقل ونشر هذه المعلومات الممثلة بشبكات المعلومات وأقراص الحواسيب ووسائل الاتصالات المختلفة أصبحت متاحة لجميع الدول . والجهود ما زالت مبذولة في مختلف دول العالم للإفادة من خدمات الانترنيت ومنظومات الحواسيب المختلفة وذلك بتهيئة الملاكات العلمية المتخصصة في تقانات المعلومات والاتصالات والتوسع في عدد نقاط الاتصال بشبكة الانترنيت .

لقد أصبحت المعرفة العلمية والتقنية في الكثير من الأحيان سلعة تجارية لا يمكن الحصول عليها الا بعد دفع ثمنها الى مالكيها الذين يحرصون اشد الحرص على احتكارها وعدم بيعها إلا وفق شروطهم الخاصة ، الأمر الذي يتطلب تضافر جهود علمائنا ومبدعينا لتنمية

المعرفة العلمية والتقنية وتبادل الخبرات لتوظيفها لأغراض رقي وتقدم مجتمعنا الناهض . وفي جميع الأحوال لابد من الاعتماد على قدراتنا الذاتية في المقام الأول بعد الاعتماد على الله الواحد الأحد . ولتحقيق هذا الغرض لا بد من إعادة نظرٍ شاملة وجادة في مؤسساتنا التعليمية لتكون بحق مصدر إثراء للمعرفة العلمية والتقنية التي يمكن توظيفها في مجالات الإنتاج الصناعية و الزراعية والاقتصادية ، والعمل الدؤوب على تراكم هذه المعارف لبناء الخبرات الوطنية المتقدمة إذ لم تعد هناك قيمةٍ تذكر لعلوم او معارف لا ترتبط بصورة او بأخرى باحتياجات مجتمعاتها . وتعد الحاضنات التقنية أحد أهم وسائل ربط المعرفة العلمية بجوانبها التطبيقية وتعد المجمعات العلمية احد أهم البيئات التي تنمو وتزدهر فيها المعرفة العلمية ، وتتوفر لديها فرص تحويلها إلى منتوجات صناعية وسلع تجارية ، وفي ضوء ما تقدم نوصي بالآتي :

١. اعتماد سياسة علمية واضحة لبناء مجتمع المعلومات والمعرفة ، تنبثق عنها خططا علمية بعيدة ومتوسطة وقريبة المدى ومؤشرات لقياس مدى كفاءة تنفيذ هذه الخطط وتأشير مدى إسهامها بتحقيق تقدم المجتمع ورقيه . ولهذا الغرض يمكن استحداث مجلس علمي يضم كبار المختصين في علوم وتقانات المعلومات والاتصالات والإلكترونات والحواسيب لتحديد معالم واتجاهات هذه السياسة ومتطلبات تنفيذها بصورة فاعلة ومؤثرة باتجاه تحقيق النهضة العلمية المنشودة .

٢. البدء بإنشاء المدارس الذكية (smart school) والتي بدأت بتنفيذها أقطار عديدة في أمريكا الشمالية والاتحاد الأوربي وجنوب شرق آسيا . ويقصد بالمدرسة الذكية المدرسة المزودة جميع صفوفها

الدراسية بالحواسيب والمتاحة فيها خدمات الانترنيت لجميع تلاميذهـا ، الأمر الذي يعني اعتمادها مناهج دراسية خاصة بالإفادة مـن تقانـات المعلومات والاتصالات وهذه المدارس آخذة بالتوسع ، وهي تهدف الى بناء جيل متعلم ومزود بالمهارات والاتصالات للتعـامل بفاعليـة مـع متطلبات مجتمع المعرفة .

٠٣ بناء الخبرة الوطنية وذلك بإعداد ملاكات علمية وتقنية قـادرة على التعامل مع منظومات ما بات يعرفه بالحكومة الإلكترونية والتجارة الإلكترونية . ولا يمكن تحقيق ذلك بفاعلية ما لم يتم البدء الفعلي بقيـام بعض مؤسسات الدولة ومؤسسات النشاط الخاص المباشرة بمثل هـذه الخدمات والأنشطة ولو بصورة محددة .

٠٤ نشر الوعي الوطني بأهمية تقانات المعلومـات والاتصـالات وانعكاساتها الكبيرة على رقي وتطوير المجتمع ، وبخاصة بين الفئـات العمرية فوق سن الأربعين سنة حيث مـا زال الكثـير مـن أفرادهـا يتخوفون كثيرا من استخدام الحواسيب حتى في المجتمعـات المتقدمـة مقارنة مع الفئات العمرية الشبابية ، وكذا الحال بالنسبة للفئات النسـوية ومجتمعات الريف وكذلك فئات الدخل المحدود ، أي بعبارة أخـرى ان تكون تقانات المعلومات في متناول الجميع .

٠٥ المراجعة الدورية للوقوف على مـدى الإفـادة مـن تقانـات المعلومات والاتصالات في التنمية الشاملة .

٠٦ رصد حركة تطور العلوم والمعارف في العالم وتأشير مـدى اتساع فجوة المعرفة بين بلادنا والبلدان الأخرى لاتخـاذ الإجـراءات المناسبة الشاملة بشأنها .

مستقبل الثقافة العربية

تمتاز كل أمة من الأمم بخصائص حضارية وثقافية خاصـــة بـــها تعتمد على درجة رقيها وعمق أرثها الحضاري ، فالشعوب البدائية مثلا لا تمتلك سوى ثقافات بدائية محدودة ، وبالتالي تكون معرضة اكثر من سواها للغزو الثقافي من الأمم الأكثر تحضرا ، وذلـــك عـــبر وســـائل وأساليب شتى بدعاوى نقل الحضارة والتحديث ونشر الثقافة والعلـــوم ، وقد ينجم عن ذلك ان تفقد هذه الأمم خصوصيتها وهويتـــــها الوطنيـــة وحتى لغتها بحيث تكون لغة الأجنبي هي لغة التفاهم بين أبناءها ، وقـــد تتغير معتقداتها وحتى الدينية أحيانا . أما الأمم العريقـــة ذات الأمجـــاد الحضارية والإرث الثقافي التليد ، فانه في الغالب يصعـــــب اختراقـــها حضاري الأمد طويل ، اذ إنها قد تخترق هنا او هناك في هذا الوقت او ذاك ، ولكن سرعان ما تستعيد مثل هذه الأمم العريقة هويتها في وقـــت اخر ، وهكذا كان دوما شان امتنا العربيـــة المجيـــدة عـــبر العصـــور والازمان ما ان تكبو لحظة وتتعرض لغزو من هذا الطـــرف او ذاك ، إلا وتعود أقوى عزيمة واشد باسا واكثر إصرارا علـــى امتـــلاك كـــل أسباب التقدم والازدهار ، الأمر الذي ينبغي ان يدعو المثقفين العـــرب إلى التفاؤل اللامحدود بحتمية بناء المشروع الثقافي العربي الموحد .

ولكي تزدهر ثقافتنا العربية لا بد ان ترتكـــز دعائمـــها الأساســـية المستندة الى جذورها الإسلامية وموروثها الحضـــاري الأصيـــل مـــن جـــهة ، والأخذ بأسلوب التفكير العلمي السليم على وفـــق التطـــورات العلمية والتقنية الحديثة من جهة أخرى ، وكذلك التفاعل مع حضـــارات

وثقافات الأمم والشعوب المختلفة ، ومواجهة الثقافات الوافدة الى بلادنا والتي يحاول مروجوها طمس معالمنا الحضارية والثقافية بذرائع شتى ، أي باختصار شديد خلق البيئة الثقافية الأصيلة المتفتحة والمتفاعلة مع ثقافات الشعوب الأخرى والمستنيرة بالفكر العلمي الخلاق في إطار علاقات إنسانية متكافئة بحيث تسهم ثقافتنا العربية إسهاما فاعلا في الثقافة الإنسانية المعاصرة أخذاً وعطاء ، وان لا تكون هذه الثقافة هامشية تدور في فلك الثقافات الأخرى ، وفي جميع الأحوال لا بد ان تتسم الثقافة العربية بمحتواها الإنساني وان تعبر عن آمال وطموحات امتنا وتطلعها المشروع نحو ذرى التقدم وان تستجيب لمتطلبات بناء صرح امتنا الحضاري على وفق رؤيتنا العربية الإسلامية وتعزيز مكانة بلادنا في المنتديات العلمية والثقافية العالمية وابراز دورها الإنساني المشرق . لا بد إذن ان تأخذ ثقافتنا بالأساليب العلمية والإفادة من التطورات التقنية لنشر المعارف الإنسانية المختلفة . حيث انه لم يعد بإمكان أي شعب من الشعوب ان يعيش منغلقا على ذاته لا يؤثر او يتأثر بما يجري حوله في عصرنا الراهن ولان قوة تأثير أي شعب انما تعتمد بالدرجة الأساس على ما يمتلكه من مقومات حضارية وإنسانية معاصرة ، والعكس صحيح أيضا أي ان أي شعب من الشعوب سيكون فريسة سهلة في حالة افتقاره الى المقومات الحضارية والإنسانية وتخلفه في امتلاك ناصية العلوم وحلقات التقانة التي أصبحت تمثل عصب الحياة المعاصرة ، فبدون امتلاك منظومات علمية وتقنية متطورة لا يمكن ان يكون لأية أمة شان يذكر في عالم اليوم شئنا ذلك ام أبينا ، ولا يمكن لعلم ان يكون نافعا ما لم نكن قادرين على توظيفه لمصلحة بلادنا بصورة فاعلة ومؤثرة ، الأمر الذي يتطلب تحديد اتجاهات العلوم

والتقانة الحديثة على وفق احتياجات بلادنا والتي قد لا تكون بالضرورة متوافقة تماما مع اتجاهاتها في بلدان أخرى في بعض الأحيان أي بعبارة أخرى ان لا تقاد انقيادا أعمى لمجريات تطور العلوم والتقانة في بلدان أخرى تحت تأثير الشركات الكبرى التي تروج لتسويق منتجاتها بأساليب شيطانية أحيانا تحت أقنعة وواجهات علمية براقة بدعاوى مواكبة التقدم العلمي والتقني بل والحضاري أيضا .

ان مستقبل الثقافة العربية إنما يعتمد بالدرجة الأساس على العناية بلغتنا العربية ، لغة القران الكريم ذلك ان اللغة العربية هي أهم أداة ووسيلة للتعبير عن ثقافتنا العربية والإسلامية حاضرا ومستقبلا وإنها احد أهم وسائل التواصل الحضاري بين أجيال امتنا عبر عصورها التاريخية المختلفة من جهة ، وبين أبناء وطننا العربي في أقطارنا المختلفة من جهة أخرى . ويعود إليها الفضل في حفظ تراثنا الحضاري والثقافي ولا عجب ان تسعى القوى المناهضة لتقدم بلادنا إلى الإساءة إلى لغتنا العربية بدعاوى شتى ، تارة بالسعي إلى إبراز وتعزيز اللهجات المحلية في بعض أقطارنا العربية بدعاوى إنها أقوى على التعبير عن مشاعر ووجدان وأحاسيس أبناء تلك الأقطار ، وتارة بدعاوى إزالة الثنائية بين الفصحى والعامية بدمجها في لغة واحدة باسم اللغة المحلية السائدة نطقا وكتابة في كل من أقطارنا العربية وأخرى بدعوى عدم استجابة الأبجدية العربية لمتطلبات التقانة الحديثة في منظومات الاتصالات والمعلومات والتقانات المختلفة ، محاولين استبدالها بحروف لاتينية كما فعلت بلدان أخرى اعتقادا منها بان ذلك مظهر من مظاهر التقدم العلمي والحضاري . ويزعم آخرون ان اللغة العربية هي لغة أدب وشعر اكثر منها علم وتقانة ولا تستطيع مفردات

هذه اللغة الاستجابة لمتطلبات العلوم والتقانة الحديثة ليس بسبب افتقارها إلى المصطلحات العلمية فحسب ، بل انهم يزعمون الى عدم قدرتها على التعبير الدقيق أحيانا لوصف الظواهر العلمية لدرجة ان البعض منهم لا يمكنه تصور إمكانية كتابة بحث علمي بلغة غير اللغة الإنكليزية او إحدى اللغات الأوربية .

ولا شك ان المؤسسات الثقافية الأجنبية تشجع مثل هذه التوجهات بكل الوسائل الممكنة ليس لنشر ثقافتها فحسب ، بل لطمس معالم الثقافة العربية والإسلامية التي يرون فيها تهديدا لمصالحهم . ولاجل النهوض بثقافتنا العربية لا بد ان نولي لغتنا العربية جل اهتمامنا وفائق عنايتنا ، وكخطوة أولى على هذا الطريق ان نهتم اهتماما بالغا بتعريب التعليم الجامعي في جميع تخصصاته واتجاهاته وان نرفض رفضا قاطعا أية دعوات لتأجيل ذلك تحت أية مبررات او ذرائع أياً كانت دوافعها اذ لا يمكن لامة تنشد التقدم والازدهار ان لا تعتني بازدهار لغتها لتستوعب جميع مفردات العلوم والتقانة المعاصرة ، وإلا فان الأمور قد تزداد تعقيدا يصعب معها مستقبلا التصدي لمعالجتها ذلك ان العلوم والتقانة في تطور دائم مستمر ، وان إعداد المتعلمين بلغات أجنبية في تزايد مستمر ، وان البعض قد تترسخ لديهم قناعات للأسباب التي أسلفنا ذكرها بقصور اللغة العربية عن تلبية متطلبات العلوم والمعارف المختلفة كلما طال الزمن والحال على ما هو عليه ، وخلق حالة انفصام بين الثقافة العربية وثقافات الشعوب الأخرى التي قد ينبهر بها البعض الى الحد الذي لا يمكنه رؤية سواها ، وقد يعيش البعض منهم غرباء في السلوك والتوجه وهم في وسط أبناء شعبهم اذ تعيش جنبا إلى جنب فئتان ، إحداها مشبعة بالثقافة العربية الإسلامية ، وأخرى متأثرة

بثقافات شعوب أخرى بدرجة او بأخرى . ولا بد من تأكيد حقيقة هامة ان الدعوة لتعزيز ثقافتنا العربية لا تعني الانغلاق على الثقافات الأخرى ، وانما إبراز الثقافة العربية أولاً وقبل كل شيء والإفادة من نتاجات الشعوب الأخرى بما في ذلك تعلم لغاتها وترجمة نتاجاتها العلمية والثقافية لتكون في متناول المتعلمين والمثقفين في بلادنا . ويعتمد مستقبل الثقافة العربية على الاهتمام بإحياء التراث العلمي العربي الإسلامي ليس بهدف إبراز دور العلماء العرب وإنجازاتهم العلمية وإسهاماتهم في حقول المعرفة على أهمية ذلك فحسب ، بل ولخلق حالة من التواصل بين ثقافة ألامس واليوم باعتبار ان التراث إنما يمثل البعد الإنساني للثقافة العربية وتطورها ، ولا يقصد بإحياء التراث العلمي العربي التغني بأمجاد الماضي التليد ، بل تسليط الضوء على إبداعات العقل العربي والإفادة منها بتعزيز دور ثقافتنا العربية في إعداد جيل سليم مؤمن بدور أمته الفاعل في بناء الحضارة العربية الإسلامية شانها بذلك شان جميع الأمم ذات الحضارات العريقة أي باختصار توظيف الفكر العربي الإسلامي في عصوره الذهبية لبناء ثقافة عربية عميقة الجذور وعصرية التوجه دون انفصام بين الماضي والحاضر والتطلع الى مستقبل ثقافي زاهر بأذن الله .

كما ان مستقبل الثقافة العربية يعتمد على درجة تسامح وانفتاح المجتمعات العربية وشفافيتها لتقبل الآراء المختلفة في شؤون الثقافة والعلوم والفنون المختلفة ، وعدم الانغلاق على الذات ، والإفادة من تجارب الاخرين ، والسعي الدؤوب لاكتشاف المبدعين والموهوبين في شتى التخصصات ورعايتهم وتامين الحياة الكريمة لهم بما يؤمن انصرافهم التام للثقافة والعلوم . ولا شك ان المؤتمرات العلمية

والحلقات الدراسية والمعارض الفنية وتكريم المبدعين ونشر نتاجاتهم وإبداعاتهم كلها وسائل مضافة لتنشيط حركة الثقافة العربية ، وتلعب وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية دورا كبيرا بنشر الثقافة بين قطاعات الناس الواسعة محليا ودوليا .

الخاتمة

أدت التطورات العلمية والتقنية ، وبخاصة التطورات الحاصلة في تقانات المعلومات والاتصالات والحواسيب والإلكترونيات ، إلى تأثيرات بالغة في مناحي الحياة المختلفة ، نجم عنها تحولات اجتماعية وثقافية كبرى . لقد أدت ثورة المعلومات والاتصالات إلى إزالة الحواجز بين الدول ونظرا لعدم التكافؤ بين الدول الصناعية الكبرى في أوربا وأمريكا الشمالية ودول العالم الأخرى ، وللانتشار الواسع لبعض اللغات الأوربية وبخاصة اللغة الإنكليزية لاسباب معروفة فقد ادى ذلك الى ما يعرف بالغزو الثقافي لبلدان العالم الثالث ، أي هيمنة الثقافة الأوربية بعامة ، والثقافة الأمريكية بخاصة ، وإحلالها محل الثقافات الوطنية الى الحد الذي باتت فيه هذه الثقافات الأجنبية تهدد الهوية القومية والخصوصية الوطنية وإلغاء الإرث الحضاري للعديد من بلدان العالم الثالث . وتكمن خطورة هذا الغزو الثقافي بطرائق عرضه وتقديمه الى الدول الأخرى بصورة براقة وبإيحاءات تتناغم وروح

العصر ومواكبة التقدم وتحقيق الذات البشرية ومجافاة التعصب من منطلق الانفتاح ، الأمر الذي يبهر البعض من المثقفين .

ولان امتنا العربية الإسلامية كانت على الدوام أمة حضارة وصاحبة رسالة إنسانية وذات ارث ثقافي عظيم فقد استهدفت ثقافتنا هذه بالتشويه تارة ، وبالتزوير أحيانا ، وبالافتراء بعدم قدرتها على الاستجابة لمتطلبات الحياة العصرية ، وغير ذلك من دعاوى باطلة لا حصر لها . لذا يصبح لزاما على جميع المثقفين العرب شحذ الهمم وحث الخطى للنهوض بثقافتنا العربية الإسلامية وبناء مشروع امتنا الحضاري لتأخذ امتنا موقع الصدارة بين حضارات وثقافات الأمم ، ولا يمكن تحقيق ذلك الا باعتماد العلم منهجا والتقانة الحديثة أداة .

المصادر

١ـ جريو ، داخل حسن ، ثقافتنا العربية وافاق المستقبل ، جريدة الثورة ، ٢٠٠١/١/٧ .

٢ـ جريو ، داخل حسن ، العولمة استعمار جديد ، جريدة الثورة ، ٢٠٠٢/٥/٩ .

٣ـ الخوري ، شحاذة ، الترجمة والثقافة ، مجلة التعريب ، العدد العاشر ، ١٩٩٥، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ، دمشق ، سوريا .

٤ـ فلحوط ، صابر ، البخاري ، محمد ، العولمة والتبادل الإعلامي الدولي ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ١٩٩٩ .

٥ـ زحلان ، انطوان ، العرب والعلم والتقانة ـ سلسلة الثقافة القومية (١٩) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٨ .

THE YEMEN LIBERAL MOVEMENT
IN ADAN

Dr. Ibrahim kalph Al - Obayd
Member of Academy of Sciences.
Department of H:story
College of Art
Baghdad University

ABSTRACT

The aim of this research is to study the Yemen Liberal Movement, which contribute in great deal in the political development in North yemen and its attitude tword Emama which crowned in 1948 coup.

The activity of this Movement was in Adan, where its leaders had immigrated from north to this city, for they found in it some kind of relative freedom, and they also made a kind of relation with some Political powers abroad espec:ally Egypt. In adition to that the research also deal with the political thought of the Movement and the reasons of its failure in achieved its principles.

ARABIC AND THE CHALLENGE OF GLOBALIZATION

Dr. AHMAD MATLOOB
Member and Secretary -
General of the Academy
of Sciences

ABSTRACT

Arabic faced many challenges during the twentieth century. The most serious of these challenges was the call for using Slang Arabic. This call would have died had it not been for Globalization which calls For The Fusion of culture and the domination of one of the international languages.

Arabic, which is the language of The Holy Qur'an has always held its ground against such dubious calls.

Iraq has been giving great attention to Arabic. It has promulgated a law for the Safe guarding of Arabic.

This research touches upon the threats of Globalization and Iraq's Stand in this respect. The research also presents some suggestions to safeguard Arabic and thus keep it expressive of Arabic culture, the unity of the Arab nation and its Origina lity.

AL - HAMRA PALACE

Dr. Talat AL - Yawer

Member of A - of - S

ABSTRACT

Al-Hamra palace is one of the most famous and not able mounments during the period of the Arab in Spain. It is the last purely Muslim building in Spain, and one of the most richly decorated palaces in the world. The plain includes two oblong courts at right anyles to each other.

The elaborate court of the hions Surrounded by Columus with Stalactife capitals supporting wooden arcading decorated in Stucco. At the eastern end of the court is the Hall of Judgement and on either side are the Smaller Halls of the Two Sisters and of The Abencerraies with roots formed of Stuccoded raults. The Court of The Al-berce has two Storeyed archde an the south and on north in the luassive Tower of Comares is the hall of the Ambassadors Crowned with a Polygoual dome and haring deeply - recessed windores. The decorations of the rooms consists of a dado of coulouned enamelled files on the walls and of most elabonate ornament above wodelled in plaster and colouned. The ornaments display the features characteristic of all Muslim architecture - geometrical interlacing stalactites bands of decorative lettering

It must be added that the gardens and the fauntains within the palace add greatly to its charm and impartance.

MATHEMATICS : THE INVISIBLE CULTURE

Adil G. Naoum

Member, Iraqi Academy of Science

ABSTRACT

The development of methematics during its long history is related to the development of the culture of the socicties and the development of these societies had a big influence in determining the nature of mathematics in them.

On the other hand, mathematics today has a big influence (often non visible) on science and society. Mathematics plays an important role in determining the way human beings work and even the way they think. And hence determine, to a large extent, the culture of the societies.

In this article we elaborate on these ideas and give support for their truth.

AL- KHALIFHA OMAR BIN AL- KHATAB

Massage To Abu - Mussa AL - Asha'ari

In Jurisprudence.

Dr. Bassal Taha Jassim

University of Mosul

ABSTRACT

This research aims to discussnig facts denoting that the Caliph Omar Bin Al-khatab did not send the massage which was attributed to him, to the ruler Abu Mussa Al Asha'ari.

If had been there some of the significant principles which included in the massage and actually issued by him in the form of recommendations. some of the jurisprudential and legislative principles included in it might have been laid down lately in his era; the so-called The Prophet Companions Era.

Weather this massage has been issued to Abu Mussa or not, it really comprises important principles. and qualitative rules in jurisprudence. Its content matches the Islamic Sharia. Thus, we must stick to it as a source of jurisprudence.

COLOUR MODIFICATIONS IN HOLY QUT'AN AND AL - HADITH AL - SHREEF

Dr. Ayath Abdul Rahman
College of Fine Arts

A B S T R A C T

Theholy Qur'an mentioned six colours. white, Black, Red, Yellow, Green. And blue, these six colours where ment:oned in holy Qur'an in their occuationed, and there were mentioneb in holy Qur'an and holy tradition. To with different languges and colours and ayate to these people thinking of the giving simple symobles like show the relation between special colours with some relgions behaviour, and the holy Qur'an said in preeisely that people wisdom of good and its greatest kingdom.

Aggression: A psychological Perspective

Dr. Taha AL NA' AMA
(Psychiatrist)

ABSTRACT

For decades aggression was confined to a negative, one- sided evaluation. Its positive and constructive role has been recognized, only, in the last three decades. Ethology played a major role in recognizing the importance of aggression for the survival and success of all vertebrates, including humans. Despite its importance in the advancement of human life, individually and socially, aggression is blamed for the viscous and violent aspects of human behavior. Those aspects are due to disorders, in the current mode of human life, of the critical balance between excitation and inhibition forces of the aggressive drive. Therefor, aggression is not, directly, responsible for the negative outcome; rather they are the products of the way with which individuals and groups deals, consciously and unconsciously, with major drives. The best way to deal with aggression can be achieved only through objective exploration and understanding of its impact upon our life.

THE ARAB CULTURE IN VIEW OF MODERN TECHNOLOGY

Prof . Dr. Dakhil H. Jerew
Member of Academy of Science

Abstract

This paper is concerned with the study and analysis of modern Arab Culture in the view of the tremendous advances in modern science and technology, particularly in the field of information and communication sector, which has resulted in a wide spread of western European and north American culture, opposed to Arabic and Islamic culture in many respects. To meet these challenges serious efforts are needed to show the grandeur of the Arab and Islamic culture by keeping up with the latest advances in science and technology, so as to make once more our country the cradle of culture and civilization.

الدكتور جوامير مجيد سليم في ذمة الخلود

"بسم الله الرحمن الرحيم"

" كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام "

صدق الله العظيم

فقد المجمع العلمي بمزيد من الأسى والحزن عالماً بارزاً من علمائه ومفكراً من مفكريه وداعيا حثيثاً للوحدة الوطنية ، وفي هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ العراق الحديث مرحلة الاحتلال . ذلك هو المرحوم الدكتور جوامير مجيد سليم عضو المجمع العلمي وعضو هيئة الرئاسة فيه .

حصل الدكتور جوامير من مواليد السليمانية عام ١٩٣٢ على شهادة البكالوريوس في الهندسة الميكانيكية بدرجة الشرف من ــ جامعة بغداد ــ عام ١٩٥٩ والدكتوراه من جامعة دريزدن التكنولوجية في ألمانيا الديمقراطية عام ١٩٦٧ .

عين مدرساً في معهد الهندسة الصناعية العالي بجامعة بغداد عام ١٩٦٧ حيث انتهى به المطاف مدرساً هناك في العام نفسه فكان لقائنا الأول .. عُين عام ١٩٦٨ رئيساً لقسم الهندسة الميكانيكية في المعهد . وفي العام ١٩٦٩ / ١٩٧٠. عُينت عميدا لكلية الصناعة ــ جامعة بغداد ــ التي تحولت

فيما بعد إلى الجامعة التكنولوجية ، فانتقل الدكتـــور جوامـــير إليها في العام نفسه رئيسا لقسم هندسة المكائن والمعدات والذي ظل يشغلـــه حتى عـــام ١٩٧٨ .. وتوطـــدت علاقاتنـــا فـــي العمـــل الوظيفي والمهني .. لاسيما لجنة تعـــادل الشـــهادات في نقابة المهندسين وعضـــويته في جمعيـــــة المهندســـين العراقيـــة نائبـــا للرئيس ١٩٧٠ــ ١٩٧٤ وعضـــو هيـــئتها الإدارية حتى ١٩٨٥ . وعضويته فـــي مجلـــس إدارة مركـــز بحوث الطاقة الشمسية فـــي مجلس البحث العلمـــي للســـنوات ١٩٨١ــ ١٩٨٩ . تم اختيار المرحوم الدكتور جوامير عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٧٩ وأعيد اختـــياره عنـــد إعادة تشكـــيل المجمع العلمي عـــام ١٩٩٦ لمكانتـــه العلميـــة ولصفاته المحمودة ولشخصيته المتميزة .. ففي الفترتين كـــان عضواً في هيئة الرئاسة في المجمع ورئيساً للهيئة الكردية منـــذ عام ١٩٨٢ حتى وافته المنية هذا العام الأليم .

لقد عرفت الدكتور جوامير طيلة هذه السنوات صديقا وفيـــاً وعالماً زاهداً ومفكراً وطنياً . دؤوباً في أداء ما يوكّل إليه دقيقا في عمله مخلصا في أداء واجباته كرس جُـــلّ وقتـــه لعملـــه الأكاديمي و المهني حيـــث عمـــل نائبـــا لرئيـــس الجامعـــة التكنولوجية وأشرف على العديد من طلبة الدراسات العليا فـــي هندسة التكييف والهندسة الحراريـــة ، وحضـــر العديـــد مـــن

المؤتمرات والندوات العلميـــــة والمهنيـــــة داخـــل العـــراق وخارجه فكان رحمه الله يتقـــن اللغـــات العربيـــة والكرديـــة والألمانية والإنكليزية ويلم باللغة الفرنسية . نشر العديـــد مـــن البحوث وله كتب منشورة بالعربية والكردية .

لقد كان رحمه الله هادئ الطبـــع لطيـــف المعشـــر دمـــث الأخلاق صريح في قول الحق محبوب ومقـــــدر مـــن جميـــع معارفه وأصدقائه يعمل بنكران ذات .

لقد فقد المجمع العلمي والعراق بوفاتـــــــه علمـــاً بـــارزاً وشخصية متميزة وعزائنا لزملائه ولعائلته الكريمة انه تـــــرك علماً ينتفع به وذرية صالحة وطلاباً وزملاءً يذكرونه بـــاعتزازٍ وتقدير .. وإنا لله وإنا إليـــه راجعون .

الدكتور ناجح الراوي
عضو المجمع العلمي

"المرحوم المهندس الدكتور جوامير مجيد سليم أغا"

عضو المجمع العلمي العراقي – رئيس الهيئة الكردية
ولد في السليمانية ١٩٣٢/٤/٦ توفي في بغداد ٢٠٠٣/٧/٢٢

حَلَّ القَضَاءُ فَغَابَ العِلْمُ وَالقَلَمُ ... فَهَلْ نُطِيقُ فِرَاقاً أَيُّهَا العَلَمُ

قَدْ غِبْتَ عَنَّا فَصَارَ القَلْبُ فِي حَزَنٍ ... وَدَارَ بِالنَّفْسِ هَمٌّ شَابَهُ الأَلَمُ

فَالتِّكْنُولُوجِيَّةُ المِعْطَاءُ فِي شَجَنٍ ... قَدْ نَالَهَا اليَوْمَ فِي أَرْجَائِهَا السَّقَمُ

بَلَغْتَ عِلْماً لأَجْيَالٍ، بِمَفْخَرَةٍ ... حَتَّى بَلَغْتَ مَقَاماً دُونَهُ النُّجُمُ

وَمَجْمَعُ العِلْمِ قَدْ غَارَتْ مَحَاسِنُهُ ... بِفَقْدِكَ اليَوْمَ، يَامَنْ قَوْلُهُ الحَكَمُ

مَا كُنْتَ إِلاَّ صَدِيقاً صَادِقاً سَنَداً ... يَفِيضُ عِنْدَكَ عِلْمٌ زَانَهُ الكَلِمُ

حُزْتَ المَكَانَةَ فِي فِكْرٍ وَفِي عَمَلٍ ... فَمَنْ لَدَى الصَّحْبِ بَعْدَ اليَوْمِ مُحْتَكَمُ

كَمْ نَالَكَ الحُزْنُ فِي حَالٍ وَفِي وَلَدٍ ... وَأَنْتَ تَصْبِرُ وَالأَيَّامُ تَلْتَهِمُ

نَبْكِيكَ دَمْعاً وَفِي أَكْبَادِنَا كَمَدٌ ... وَالدَّارُ تَبْكِيكَ وَالأَوْطَانُ وَالأُمَمُ

فَحَسْبُكَ اليَوْمَ أَنَّ المُلْتَقَى نُزُلٌ ... فِي جَنَّةٍ لَكَ فِي أَقْطَارِهَا النِّعَمُ

مازن عبد الحميد كاظم
عضو المجمع العلمي العراقي
٢٠٠٣/٧/٢٣

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add : ACADMY OF SCIENCES.

P. O. BOX 4023 AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

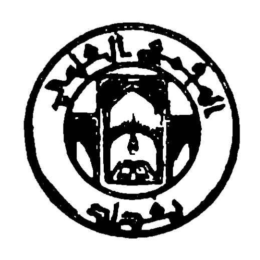
Tel : 4221723 - 4222066 **Fax : (964 - 1) 4254523**

E-mail : aos@uruklink.net

— Annual Subscription : In Iraq (4000) I. D.

— Outside Iraq (50 Dollars) air mail not included

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ٢٠٠٣



Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

No. 1 **Vol. 50**

1424 H – 2003